تاريخ اليهود القديم بمصر



تأليف
د. عبد المحسن الخشاب

مكتبة مدبولي

تاريخ اليهود القديم
في مصر

الطبعة الأولى
١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م

تاريخ اليهود القديم بمصر

تأليف

د. عبد المحسن الخشاب

مكتبة مدبولي

اهـــــــــداء

إلى

أختى مقبولة رحمها الله

وإلى

أستاذى الراحلين

P.Jouguet　　　P.Graindor

المقدمــة

« صدق الله العظيم »

« قيام التاريخ الآثار شاهد صدق على ما أتى فى الكتب السماوية »

« خروج اليهود من مصر خوفاً على دينهم وعودتهم إليها بيهوديتهم لتسلم من أعدائها وأعدائهم فتصون مصر اليهودية حتى من اليهود أنفسهم »

« انا الرب إلهك الذى اخرجك من ارض مصر، من بيت العبودية »
(خروج ٢٠/٢)

2. Εγω εἰμι Κυριος ὁ Θεος σου, ὁστις ἐξηγαγον σε ἐκ γης Αἰγυπτου, ἐξ οἰκου δουλειας.

Exodus XX. 2.


اليهود فى مصـــر والخروج منها

لما أمر الله موسى باخراج اليهود من مصر كما ورد فى ذكر الله الحكيم « ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعادى فاضرب لهم طريقاً فى البحر يبساً لا تخف دركاً ولا تخشى غرقا طه (٢٠)/٧٦ ــ ٧٧ صدق الله العظيم .

وفى التوراة الخروج ٣ : ٧ ــ ١٠ « فقال الرب انى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم انى علمت أوجاعهم ، فنزلت لأنقذهم من أيدى المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة وواسعة إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً ، إلى مكان الكنعانيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين والآن هوذا صراخ بنى إسرائيل قد أتى إلىّ ورأيت أيضاً الضيقة التى يضايقهم بها المصريون فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبى بنى إسرائيل من مصر » .

كان الخروج إذن بتدبير من موسى عليه السلام بأمر من الله وكما بين الكتاب المقدس فقد كان اليهود فى وضع غير ملائم أتوا إلى مصر وكانوا منعزلين عن الناس وخرجوا من مصر ــ غير مبالين بل كانوا فرحين بذلك ــ إلى سيناء ، وقد طلب موسى إلى فرعون أن يبعد بقومه عن العاصمة المصرية مسيرة ثلاثة أيام ليكون بعيداً عن المصريين حتى لا يغضب الناس إذا ماضحى اليهود بأضحية يتعارض ذبحها مع التعاليم المصرية (الخروج ٨/٢٧ ــ ٢٨) .

كان اليهود فعلا فى ضيق شديد من أمرهم ، فهم قبل رسالة موسى يخالفون المصريين فى عبادتهم فبينما المصريين يعبدون أوزوريس وايزيس وحورس كانوا هم من عبدة « ست » كما سنرى ، ثم بعد رسالتهم زادت عزلتهم فى أمر العبادة فكما يخبرنا المؤرخ اليونانى بلوتارخوس أن

كل اقليم فى مصر له حيوان مقدس خاص به دون أن يكون لهذا الحيوان بالضرورة تقديس فى إقليم آخر (فقرة ٧٤) وغير سكان هذا الاقليم لا يأبهون بهذا الحيوان ولا يقدسونه مما كان سببا فى احتكاك خطر بين هذه الأقاليم المصرية يرقى أحياناً كثيرة إلى حد الاقتتال . وقد قدر موسى هذه الحساسية تقديراً دقيقا فى خطتة الانعزالية وعمل لها حسابا بالغ التقدير والحرص فقد كان مصريا أولاً ثم كاهناً عظيما عليما بدقائق الأسرار والطقوس المصرية حتى أنه عندما أمره الله أن يضحي قومه ببقرة ذعر بنو اسرائيل وهم العالمون بمدى خطورة ذبح البقرة لحساسية هذا الموضوع بالذات عند المصريين واهتمامهم الشديد فيما يخص الأضاحى نتيجة لمذهبهم الدينى فيما يخص عبادة أوزوريس وحورس إله الخير وما فى ذلك من خلاف فى عبادة ست أو كما يسميه اليونانيين تيفون إله الشر . صدق الله العظيم ، فعندما أراد موسى أن يتبين أى بقرة يذبحها قومه كانت حكمة الله وعلمه أن يذبحوا تلك البقرة بأوصافها التى سمح للمصريين بذبحها فكان أمره أن يذبحوا بقرة صفراء تسر الناظرين لا شية فيها .

فيخبرنا بلوتارخوس وغيره من الكتاب القدامى المؤرخين أن المصريين أنفسهم كانوا يبيحون ذبح الماشية من العجول والأبقار الصفراء التى لا توجد فيها أية شية أو علامة بيضاء ولا سوداء بل هى صفراء خالصة كلون « ست » إله الشر الأشقر فكانت الشقرة هى اللون المميز له وهى فى نفس الوقت لون اليهود الذين يأتون من الصحراء أى الإله ست وعبدته من مصريين مواطنين ويهود غرباء . وكانت الطقوس الأوزيرية لا تبيح ذبح الأضاحى إلا ذات اللون الأصفر الخالص .

أما لماذا تردد اليهود فى ذبح هذه البقرة وتشددوا فى معرفة أوصافها فشدد الله عليهم فذلك لأنهم كانوا يعيشون فى مصر ووشيكو الخروج منها وفى عقولهم ونفوسهم وثنية يعلمها الله فدارت فى أفكارهم وذاكرتهم أفكار التقاليد المصرية وشروط ذبح بقر الأضاحى وخطورة الخروج عن أحكام التقاليد الدينية فليس لذابح بقرة يشوب لونها شية ــ كما يخبرنا ديودوروس وغيره يمنع ويحرم ذبحها ــ إلا عقوبة الاعدام فكان خوفهم هو سبب ترددهم وتشددهم ورعبهم من العقوبة وخوفهم من التعرض لغضب المصريين ملأ قلوبهم رعبا وتغلب على مشاعرهم ونملك الذعر أحاسيسهم من خطورة وحساسية هذا الأمر فما أن قال الله أنها بقرة صفراء فاقع لونها لا شية فيها قالوا لموسى الآن جئت بالحق واطمأنوا أن الله ينجيهم بذلك مما كانوا يخافون فذبحوها(١) .

فانظر حكمة موسى عليه السلام وعلمه بالأسرار المصرية ومايتعلق بأمر الحيوانات وتقديسها فى مصر واحاطته بأهمية ذلك وحساسيته الخطرة عند المصريين . فأنظر مايرو يه مونتيه (ملاحظة ١٠١/٣٣) ثم ملاحظة (٢١/٣٣ ـــ ٢٢) من أن قمبيز عندما أتى إلى مصر كان ضمن جيشه فرقة من اليهود ولما وصل إلى أسوان وكان بها جالية يهودية كبيرة لها مذبحها ومعبدها الخاصان بها

وعند حلول عيد الفصح وهو عيد خروج اليهود من مصر احتفل اليهود الجنود بهذا العيد فذبحوا الخراف وشووها على أفران فى مجموعات خاصة بكل عائلة وقبيلة فهاج شعب أسوان وثار غاضبا عليهم وعلى الجالية اليهودية فى أسوان من غير الجنود وكانت مذبحة هدم فيها المعبد والمذبح إذ أن إله أسوان المقدس هناك فى تلك المنطقة هو خنوم أى آمون برأس كبش وكان الحامى الطبيعى لجنس الغنم

لم يدرك اليهود فى جيش قمبيز أن الخروف حيوان مقدس فى أسوان وهو رمز الاله خنوم الخالق كما سيأتى ذكره وكان ذلك سبب نكبتهم فى عيدهم ولو كانوا قد تذكروا أو فطنوا لما فعله موسى ووعاه من قبلهم أو كانوا على علم بما أنزل عليه وماطلبه من فرعون فى أن يكون على بعد مسيرة ثلاثة أيام من العاصمة تجنبا لما قد يتعارض مع طقوس المصريين (الخروج ٨ : ٢٧ — ٢٨) إذا ذبحوا مالا يرضون عنه من ضحايا اتقاء لهذه النتيجة التى حاق خطرها بيهود أسوان فى عهد قمبيز الفارسى فيما بعد بقرون من الزمان عديدة ولكنهم كانوا لا يعون (ملاحظة ٣٣/٢٢ — ٣٣) ثم (ملاحظة ٣٣/١٠١) .

فى مصر بل فى كل مجتمع قديم يحذر حكماؤه وأخلاقيوه وهم الكهنة والحكام و يعظون الناس ويحذرونهم من عدم التمسك بالفضيلة ويحضونهم على الخير والتقوى وتجنب الزيف واتباع الشيطان ومعصية الآلهة والبعد عن تعاليم الدين والتشبث بالمراسم والطقوس ولذا فقد جرت على ألسنة الحكماء والأخلاقيين حكم وأمثال ومواعظ ونقشت هذه الحكم والأمثال على جدران المعابد واللوحات والبرديات والجعارين وفى كتاب الموتى ونصوص الأهرام والتوابيت . و ينطق بها الناس إذا ما ادلهمت الأمور واستشرى الفساد والشر فيعرفون طريقهم إلى سواء السبيل . وقد كانت هذه المواعظ والحكم والأمثال معروفة لموسى و بنى إسرائيل فى مصر فما أن خرجوا من مصر إلى سيناء حتى فرضت عليهم فى دين اليهودية هذه الأخلاقيات فى كتابهم المقدس فرضا ألزموا باتباعها وأنذرهم الله فى دينه بالعقاب والردع والعذاب الشديد إذا حادوا عن تعاليمها وخرجوا عن قانونها وعصوها واتبعوا هواهم ، فكانت هذه الوصايا العشر كما يرى الأستاذ فؤاد حسنين فى كتابه (٢٠/ ٧٥) ثم بترى (٣١) أن كتاب العهد والوصايا كما يقول الأستاذ فؤاد حسنين (يتفقان تماما مع ماجاء فى شريعة كل من مصر و بابل أى كتاب الموتى وشريعة حامورابى بتعاليمها وأخلاقياتها التى فرضت على اليهود فى سيناء وقد تركوا هذه التعاليم التى أخذوها عن الشعبين الساميين العريقين ثم مع مضى الزمن حوروها بعض التحوير) .

وهكذا يتفق العلماء قدامى ومحدثون على أن فكرة التوحيد الحاسمة القاطعة التى نادى بها موسى كانت نداءه بعبادة الله فى المعبد بدون أى صورة أو أى شكل أى بدون تجسيد وثنى كما

يحدثنا الجغرافي المؤرخ سترابون كما سنرى فيما بعد . وهكذا اختار موسى و بنو إسرائيل الله وهو سبحانه لم يخترهم ، فإن اصطفى موسى فذلك لا يعني أنه اختار بني إسرائيل .

فالأخلاقيون في كل زمان وقبل الكتب السماوية كانوا يبشرون ويحذرون و يعظون كل في مجتمعه بما يهدي أقوامهم ، ففي المجتمع المصري الذي عاش فيه بنو إسرائيل والساميين قبلهم من هكسوس وأهل يوسف النبي في أفاريس وشمال الوادي وشرقه في جوشن كان الحكماء من قديم الزمن يجأرون بالشكوى من سوء الأخلاق و ينادون بالاصلاح الخلقي والأدبي مما نجده في أمثالهم وعلى جدران المعابد كما قدم لنا بلوتارخوس احدى هذه الحكم حفرت على جدران معبد أثينا بمدينة « سايس » الآن (السنطة) في الدلتا وهي حكمة مصرية صميمة كما سنرى وقد ظل الأمر قاصراً على النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى في العصور المتأخرة أفلم يغضب الأخلاقيون من سوء حال الحمام العام في العصر الروماني وما كان يحدث فيه من انحرافات مخزية صارخة فنادوا بألا يدخل الرجل الحمام العام ومعه غلام إلا إذا كان ابنه ولا امرأة إلا زوجته ، ونصحوا الناس والحكام المترددين على الحمام ألا يسرفوا من التسكع وإطالة المكث بالحمام يضيعون الوقت في العبث بدون طائل حول موائد الميسر ومعاقرة الخمر ومجالسة النساء مما كان سبباً من أسباب انحلال الامبراطورية الرومانية ، فقد كان الامبراطور على رأس هؤلاء المسرفين من الهواة للحمام العام الذي فاق في ذلك الوقت أكثر القصور أناقة وفخامة وترفا .

ثم نجد أن فكرة ضياع الوقت هذه قد استولت على عقول الرومان والقائمين منهم على أمر (التياترو) المسرح الروماني في أول عهد الرومان به . ففي هذا العهد كان المسرح يبدأ العمل — كما كان عند اليونان منشئيه وأصحابه — مع خيوط الشمس الأولى في الصباح حتى الغروب فما كان من القائمين على هذا المسرح إلا أن أخلوا صالة المشاهدة من المقاعد إلا صفوفا قليلة من المقاعد القريبة من الأوركسترا أمام المسرح للممتازين من أعضاء السناتو أو الحكام وأما بقية الصالة وراءهم فلا مقاعد للشعب بها على الاطلاق وكان على مريدي الاستمتاع بالعرض المسرحي من الشعب ممن يعرفون اللغة اليونانية وهي لغة المسرح الروماني في أولى مراحله ، كان على هؤلاء أن يحضروا مقاعدهم معهم وقد كان ذلك لسبب ألا يضيع الشعب وقته سدى طوال اليوم إذا ما وجد مقعدا يستقر فيه .

ورغم ذلك لم يأبه أحد بحكم ومواعظ وارشادات هؤلاء الأخلاقيين المصلحين الناصحين ولم يفكر أحد فيما يسدونه من نصح وقول ثم تنتصر المسيحية وتسيطر فإذا هي تردع الناس عن غيهم كدين له قوة الردع ويخاف المؤمنون من غضب الله عليهم وعذابه لهم فيستقيم الحمام العام ولكن إلى حين ، فحتى الأديان يأتي عليها وقت يفتر التقيد بها عند الناس و يغيب عنهم وعيهم الديني فيرتدون إلى سابق عهدهم وسلوكهم المعوج بل و يرتد بعضهم و ينافق فلا يبقى عنده للدين أثر فعال إلا من رقابة القوانين ورجال الدين و يصبح الحرام محببا إلى الناس يتهافتون عليه

و يتحايلون على التوصل إليه و يفتعلون البدع الخارجة على الدين و ينغمسون فى المنكر رغم ما ينتظرهم من عذاب وعقاب شديدين . وهكذا قام الوعاظ وعلماء الدين فى المعابد والكنائس والمساجد يذكرون و يرشدون و يرفعون المعنو يات كما فعل الأنبياء والدميورج قديما وهذا ما نراه فى أمر بنى إسرائيل فمن بعد موسى مباشرة سلكوا مسلك التقوى والورع ثم يفتر تمسكهم بدينهم فيسيرون فى دروب العقيدة والإيمان بالخرافات حتى ينسوا الدين وشر يعته واتجهوا إلى طر يق الباطل وانحطوا إلى درجة الطغاة واللصوص كما يقول الأستاذ سترابون فى ملاحظة (١ ــ ٢) . .

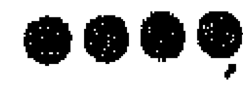
وهكذا فمن قديم الزمن وقبل الأديان يقوم الحكماء من أهل التقوى والعلم بواجب التنبيه ، فنجد تلك الحكمة التى أوردها بلوتارخوس كما نقشت على جدران معبد أثينا فى سايس فى الدلتا « أيها الناس جميعا كبيرا وصغيرا ، إن الله لا يحب الفسوق » .

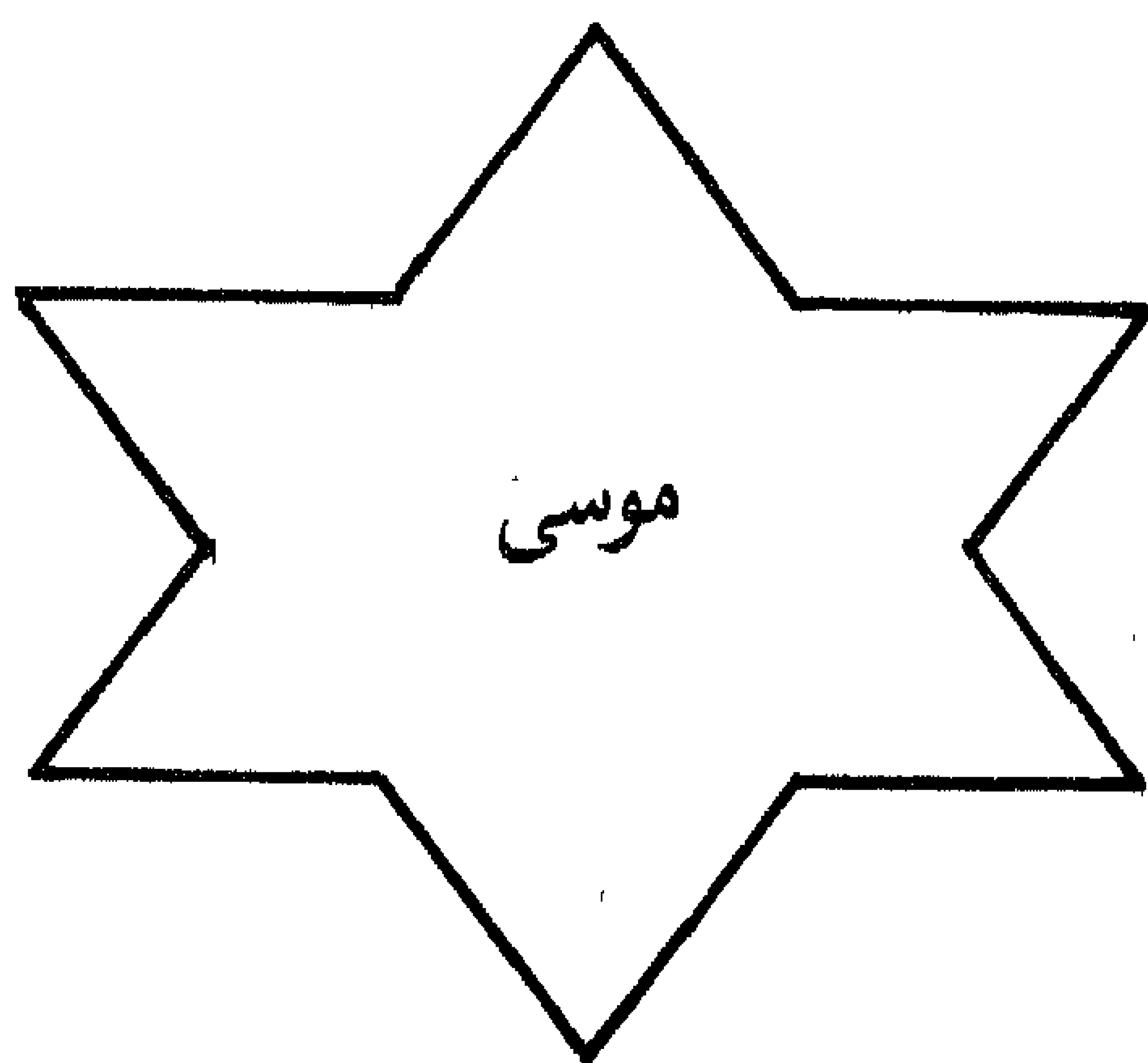
هكذا كان حال اليهود و بشهادة التار يخ الثابتة ، فبعد أن استقروا واغتصبوا أرضاً ليست لهم على حساب قبائل من جنسهم سامية فى كنعان وفلسطين لم يبشروا بدينهم الجديد ، بل جعلوه ديناً عنصر ياً غير عالمى وقد أحس بذلك أنبياؤهم بعد موسى فأرادوا لليهودية انتشاراً ولكن كانت عنصر ية القوم غالبة حتى أعرض الكثير عنها أى اليهودية وظلت وحدتهم العنصر ية مرتبطة باليهودية وحتى الله أرادوا له أن يكون عنصر يا بغير ما أراد موسى الذى اختار عبادة الله الواحد المطلق فادعوا أن الله اختارهم عنصرا ممتازا مميزا عن الخليقة جمعاء ، زعم باطل وادعاء كاذب وتفكير عنصرى كافر فلم يكن الدين لهم ر باطا لوحدة دينية بقدر ما كان رابطة عنصر ية معتدية ، فبعد موت موسى ــ كما يقول سترابون عنهم ــ ، وقبل أن تفتر جذوة وشدة الإيمان فى قلوبهم « أن خلفاء موسى قد استمروا لبعض الوقت يتصرفون تصرفاً مستقيماً وكانوا فعلاً أتقياء » ثم « بعد ذلك أولاً تولى من بينهم من يؤمن بالخرافات » ثم من بعدهم أتى رجال من الطغاة » (١) ثم هو يذكر أشياء نشأت عن هذه الخرافات كعادة الطهارة للنساء والرجال وتحريم اللحوم كما نعلمه عنهم اليوم و يثبت صحة ما كتبه سترابون عنهم ولكن المهم فيما يرو يه عنهم أن « من الرجال الطغاة نشأت شرذمة من اللصوص » (٢) وهذا تطور يعرف العالم كله أمره ثم انه هو ما نقاسى منه فى شرقنا اليوم .

كان موسى يطلب الابتعاد بقومه وأن يعزلهم بأن ينأى بهم أو بدينه الجديد فيبعدهم عما يفعله المصر يون وما يعتقدون تخلصاً مما كان عليه قومه قبل رسالته من مشاركة المصر يين عقائدهم وتقاليدهم وما سيجدونه من عبادات عند الكنعانيين وكانوا فى طر يقهم إليهم وهم أيضا من عبدة الشور ثم يقدر الامكان تخفيفا عنهم مما يقاسون فى عملهم الشاق وسخرتهم فى مشار يع فرعون وما يقتضيه ذلك من صناعة ضرب الطوب وغير ذلك مما كانوا منه يعانون ثم

سياسة ترو يضهم على الاستقرار بدل بدواتهم وترحالهم فى جوشن وخوف الحاكم من انضمامهم مع من يغزو مصر من هذه الناحية .

ولكن ماذا وراء موسى فى تدبيره وماذا يخيفه من مشكلة الاضاحى عند المصر يين وعنده ثم من هو موسى قبل أن تنزل عليه الرسالة السماو ية الأولى وماذا يعنى اسمه وكيف سمى بهذا الاسم .




موسی

موسى هذا الاسم الذى لايمكن للانسان أن يتصور أن ابنة فرعون المصرية تختار للطفل الذى وجدته على حافة اليم اسما عبرانيا ، بل ان هذا (الاسم موسى) بديهيا وطبيعيا كان اسماً هيروغليفيا نقل إلينا باليونانية وذكره جميع الكتاب اليهود اليونانيين القدامى وقد كتب فى ذلك الأستاذ تشيرنى مقالاً وافياً تناول فيه اشتقاق اسم موسى([3]) وهو بحث هام ومصدر رئيسى لهذا الموضوع .

ولابد أن تكون السيدة ابنة فرعون قد فكرت مليا فى اختيار هذا الاسم فليس من المعتاد أن يجد الانسان كل يوم طفلا ملقى فى الماء ومعرضاً للهلاك غرقا ، بل من المحتمل أن تكون تلك الصدفة النادرة وملابستها قد أوحت إلى السيدة باسم يتفق وهذه الذكرى الفريدة كما أشار جوزيفوس الكاتب اليهودى اليونانى فيما سيأتى ذكره ، فقد أوضح الظروف التى أحاطت بالطفل وقت أن عثرت عليه بنت فرعون وكانت سببا فى تسميته باسم موسى .

وعلى عكس ما تصوره الأستاذ مونتيه Montet (٣٣/ ٣٤ ـ ٣٥) من أن السيدة أطلقت اسم موسى على الطفل حيثما اتفق كأول اسم ورد على خاطرها ، مع أن ظروف وجود الطفل ملقى فى الماء بهذا الوضع تحتم عليها عكس هذا التفكير المرتجل تماما ، ففاجأة هذه الصدفة النادرة تستدعى حتى وهى بين أفراد حاشيتها التساؤل والتشاور فى اسم يناسب ذلك الحدث ، ولكن مونتيه يقول انها قد أسمته موسى من كلمة (مس) معتقداً أن السيدة لم تقصد أن تقول شيئاً آخر غير ما تعنيه عبارتها المشهورة « هذا ما انتشلته من الماء » بعكس ما يظن جوزيفوس وكل من أتى بعده من كتاب يهود ومسيحيين من أن هذه العبارة تفسر اسم موسى . فحسب رأى مونتيه ان السيدة لم تفكر مطلقا فى كل ذلك وان موسى أو mesy أو messo هو المقطع الثانى

من الأسماء المصرية المركبة التى كان يتسمى بها المصريون مثل تحتمس Thutmes ورع موزاً Ramosa، فمقطع هذه الأسماء الأول هو اسم لإله يكون المولود قد ولد فى ذكرى ولادته. ولكن هل ممكن حقاً معرفة ذكرى مولد أى إله تلك التى صادفت مولد موسى وقد وجدته السيدة ملقى فى اليم ولم تلده ؟

إن العادة كما افترض الأستاذ مونتيه أن يترك اسم الإله فى هذه الأسماء مستترا فى المقطع الأول ولكن ذلك بعيد الاحتمال إذ ان مونتيه قد تناول اسم موسى كمقطع واحد كما ذكر بالعبرية واعتبره مقطعا واحدا بمعنى mes (مس) بمعنى وليد أو طفل و يظل الاسم بذلك حسب افتراضه مبتورا إذ أنه يتساءل : هل نسيت السيدة فى ذكرى أى إله كان مولد موسى ؟ هذا رأى احتماله بعيد.

فمن الطبيعى اذن أن يكون هذا الحدث باعثا للبحث عن اسم يتلاءم معه ومع ملابساته، وقد كان أقدم من نحى هذا النحو الكاتب اليهودى فيلو الذى ولد فى (٤٠ م) إذ يقول « اختارت السيدة اسم موسى لأنها انتشلته من الماء ــ ثم لأن المصريين يسمون الماء موى (moy). (٤)

وهنا تجد أن الأستاذ فيلو يبرز أصل الاسم الهيروغليفى فى المقطع الأول فعلا من اسم موسى كما لاحظ ذلك الأستاذ تشيرنى.

أما الكاتب اليهودى جوز يفوس فيشير أولاً إلى تلك الظروف التى « لابست العثور على موسى و وقوعه فى النهر ثم تسميته باسمه ». (٥)

ثم يحلل شطرى الاسم فالمصريون يسمون الماء mo أو moy موى وهذا هو اشتقاق الشطر الأول كما قال ذلك أيضا فيلو أما عن الجزء الثانى الذى لم يتعرض له فيلو وهو مقطع ouses أوسيس فيقول جوز يفوس ان اوسيس « هم الذين انقذوا من الماء » وعلى ذلك فقد أطلقوا عليه هذا الاسم بعد ان كونوه من كلا « المقطعين ».

هذا هو الرأى الذى يتفق وطبيعة الأشياء ففعلا لابد وان هذه المناسبة كانت شاغلا للأميرة وحاشيتها وأثارت اهتمامهن حتى طبقوا شطرى هذا الاسم على الطفل الذى يدل دلالة واضحة على طبيعة الموقف.

التزم اذن الكتاب اليونانيون يهود أو مسيحيون وعلى رأسهم جوزيفوس باشتقاق الاسم من أصل هيروغليفى ولم يشذ من ذلك أحد حتى المؤرخين المحدثين فذكر الماء وارد فى الجزء الأول من الاسم موــ أوــ موى وقد أكده جوز يفوس مرة أخرى فى كلامه عن ابيون Apion قائلا « ان اسم موسى هذا يدل حقاً على انه أنقذ من الماء ». (٦)

فالاسم اذن مصرى ولم يكن مطلقا عبرانياً مبنياً من كلمة واحدة (موسى) العبرية بل هو مركب من مقطعين moy و Yeses أى موى واوسيس وليس مقنعاً كما ذكرنا من قبل أن يرجع بعض المحدثين الاسم موسى العبرانى ذى المقطع الواحد إلى mes و(ميس) أى وليد الهيروغليفى وقد قامت محاولات حتى قيل حل رموز اللغة الهيروغليفية كما يذكر تشيرنى بالرجوع إلى اللغة القبطية فموى (moy) أى الماء فى الجزء الأول ثم أوسى بمعنى فى صحة جيدة أو سليم للمقطع الثانى وهكذا يتطابق المعنى فى اللغتين القبطية والهيروغليفية فاكتمل اسم موسى المصرى الصميم لا العبرانى الذى أخذ مقتضبا من اسم موسى ذى المعنى الواقعى مصداقا لما نزلت به الكتب السماوية .

وأما القول بأن أوسيس تعنى حسى الهيروغليفية بمعنى المكرمون لأنهم ماتوا غرقاً فى النيل وأخرجت أجسادهم لتدفن و ينعمون بالأبدية فهذا الاستعمال (أو المعنى كان بداية) من الأسرة الثلاثين ومابعدها أى بعد موسى بقرون عدة .

ثم يورد الأستاذ تشيرنى أيضا ما ذهب إليه الأستاذ المؤرخ كلمنت السكندرى الذى عاش ٢٠٠ م فى تحليله اسم موسى بأنه يعنى ان « موسى أخذ من الماء الذى كان معرضاً للموت فيه » . (٧)

وهكذا يجمع القدامى من الكتاب اليهود اليونانيين والمسيحيين على أصل اسم موسى وصلته بالماء بمعنى الذى أنقذ من الماء أو أنجى ، كما ورد فى الخروج و(٢ : ١٠) « ولما كبر جاءت به إلى ابنة فرعون فصار لها ابناً ودعت اسمه موسى وقالت انى انتشلته من الماء » .

ثم قوله تعالى وهو أصدق الصادقين « ولقد مننا عليك مرة أخرى ، إذ أوحينا إلى أمك ما يوحى ، أن اقذفيه فى التابوت فاقذفيه فى اليم فاليلقه اليم بالساحل يأخذهُ عدو لى وعدو له ... » طه (٣٧ : ٣٩) .

هذه نشأة اسم موسى الطفل كما تؤكده الكتب السماوية والكتاب اليهود والمسيحيون وقد أجمعت هذه المصادر كلها على أنه أنقذ من الماء ، وقد كان تبنى بنت فرعون له ــ والتبنى عُرْف فى مصر القديمة مأخوذ به قانونا ــ سببا ان يأخذ موسى بقسط كبير من التعليم والتثقيف كواحد من أبناء الأسرة المالكة حتى أصبح كغيره « أحد الكهنة وقائماً على جزء كبير من مصر السفلى أو الأرض السفلى كما يسميها المصريون » فيما ذكره المؤرخ الجغرافى والفيلسوف الرواقى سترابون الذى عاش فى القرن الأول الميلادى فى كتابه الجغرافيا . (٨)

هذا ما يرويه سترابون عن وجود موسى بمصر فى صدر حياته ثم يجمل فى ايجاز خروجه من مصر فيقول « ولكنه ذهب من هناك إلى بلاد يهودا إذ أنه لم يكن راضياً عن الأحوال فى مصر وصحبه ناس كثيرون ممن كانوا يعبدون الله » . (٩)

وهكذا يذكر سترابون خروج موسى مع قومه ، من مصر ، ويجمل عدم موافقة موسى على مسلك فرعون مصر بسبب ديني واضطهاد المصريين قومه من اليهود وتسخيرهم فى الأشغال العامة ، وهذه هى الأحوال التى لم يرض عنها موسى فى مصر وكانت سببا فى محاولة الخروج رغم عدم موافقة فرعون على ذلك ومنعه اليهود من الخروج .

أما الأحوال الدينية فقد كانت هى الأهم وموسى فى تأمله فى سيناء قبل الرسالة وفى وجوده بمصر قبل سيناء كان لديه وقت عظيم وطيب للتأمل والتفكير والتفلسف فقد ألم بأطراف الديانة المصرية وتعارف على أسرارها وما وجد فيها من شذوذ وخروج عن منطق العقل وخالفها فيما بينه وبين نفسه حتى أرسله الله رسولاً ، وكان هذا الجانب هو الأهم والأكثر بروزا لعيان الباحثين دون غيره من جوانب الوجود الأخرى لليهود فى مصر ، ولذا فقد خصها سترابون بالذكر وهى لب الديانة اليهودية وأساسها . مما يدل على أن مصادر سترابون كانت صحيحة ثابتة بل ودقيقة فقد أبرز وهو الفيلسوف الوثنى الذى يهمه بحث تلك النقاط الأساسية والتركيز عليها ، فهى أس ما قامت عليه فلسفة موسى ومنطقه الدينى أى التوحيد الذى غمضت معالمه فى الوثنية التى سبقت موسى يقول سترابون(١٠) « كان موسى يقول و يعلم كيف أن المصريين كانوا على خطأ فيما كانوا يمثلون به الإله أو الكائن المقدس فى صور حيوانات وسائمة كما كان يفعل الليبيون أيضا » .

ولما كان التجسيد فى العالم الوثنى القديم كله بصور الإله بصور مختلفة ، وكان موسى لا يرضى ولا يوافق على ذلك فأتت رسالته محرمة أى تجسيد بأية صورة فقال مشيراً إلى اليونانيين وما « أتوه من خطأ كما فعل الوثنيون الآخرون فشكلوا الإله بصورة آدمى » .

وكان يعتقد و يبشر بأن الله واحد أحد « ان الله هو هذا الذى وحده يحيط بنا جميعا ويحيط بالأرض و بالبحر و بطبيعة الكائنات وبما نسميه بالسماء والكون » ، « فأى إنسان أذن أن يكون له عقل فيجرؤ أن يرسم صورة للإله تشبه أى مخلوق . بيننا » ، « كلا يجب أن يقلع الناس جميعا عن عمل أية صورة للإله وأن يقيموا رحابا مقدسا منفصلا ومعبدا عظيما يعبدون الإله فيه بدون صورة » . (١١)

هذا هو منطق موسى ورأيه فبعيدا عن التجسيد يمكن بالعقل وحده ادراك الله ويمكن أن يفهمه من لم يكن من الأنبياء واضحاً شاملاً لا شك فيه ولا مراء وقد كانت معرفة الله محددة بمعرفة قوانين شريعة موسى وفى هذا المعبد الذى يعبد فيه الله بدون صورة ينام المؤمنون من صادقى الرؤيا ويحلمون ، كما كان يفعل الوثنيون المصريون فى معابد آلهتهم الممثلة بصور شتى من حيواناتهم المقدسة يأتون إلى تلك المعابد طلباً للاستشارة والتنبؤ عن طريق الأحلام فيما يخص أشخاصهم فى الصحة وفيما يخص حياتهم الفردية وما ينوون القيام به من مشروعات وأغلب وأهم

مـا يـلـتمسون فى المعبد من الآلهة أولاً وآخرا العافية والشفاء من أمراضهم وما يألمون منه ، وكانت وسـيـلتهـم الـوحـيـدة فى ذلك النوم والأحلام أى ما يعرف بالتنويم أى (incubation) وسيلة الاتـصـال بـالـقـوى الـروحـانـيـة الـعـلـيـا عن طريق روحى بالتنويم فى المعبد وظهور الإله نفسه للمريض و وصفه لهم الدواء وكانت أحلامهم هذه عبارة عن تشخيص للمرض وكان المفسرون لهـذه الأحـلام ــ مـن الـكـهـنـة الرسميين فى المعبد ، وغيرهم من مفسرى الأحلام من غير سلك الـكـهـنـوت ــ أطـبـاء لهـم خـبـرة وتجارب كبيرة من كثرة ما شاهدوا من مرضى يشكون أمراضاً كثيرة متباينة وما يراه هؤلاء المرضى فى أحلامهم وما سمعوه من الالهة التى تظهر لهم من وصفات عـلاجـيـة وأدوية وايحاء بما يجب أن يفعل ليتم لهم الشفاء ، فكانت نشأة الطب فى المعابد وكان يـدرس فى مصر الـقـديمـة فى أقـسـام خـاصـة منهـا تـسـمـى « بيوت الحياة » وكان الكهنة أطباء مختـصين ، وكـان ذلـك أيـضـاً فى الـمـعـابـد الـيـونانية وقد ظهر من بين هؤلاء الكهنة اليونانيين أو مـا يـسـمـون بـالاسـكـلـبـيـادس Asklepios أى أبـنـاء إلـه الشفاء اليونانى اسكلبيوس «Asklepios» ــ الـطـبـيب العظيم أبو الطب هيبوكراتس Hippocrates الذى كون مـن هـذه الجـمـاعـة من الكهنة الأطباء أول جماعة أو نقابة للأطباء لها قانون والتزامات أخلاقية للـعـمـل فى فن الطب ثم قسم ترتبط به هذه الجماعة من الكهنة و يلزمهم باتباع تقاليدهم المهنية وأصـولهـا والـتـزام الـشـرف المهنى الأخلاقى (ويمكن الرجوع فى ذلك إلى كتاب د . عبدالمحسن الخشاب : الحمامات الشفائية القديمة)(١٢) فكان هيبوكراتس العظيم كما سماه سقراط واسمه الذائع بالعربية « أبوقراط » أول من حدد للأطباء طريقهم وسلوكهم .

كـان هـؤلاء الأطـبـاء مـن الـكـهـنـة يشخصون المرض عن طريق أحلام المرضى أو من ينوب عنهـم أى مـن يحـلـم بـدلاً عنهـم فى المعبد إذا استعصى على المريض المجئ إلى المعبد أو من امتنع عنهـم النوم مثل مرضى الأعصاب ، وكان هؤلاء « الحالمون » يتطوعون أحياناً لأن ينوّموا ويحلموا لمـن يـعـرفـونـه حـبـا وكـرامـة للخير ، ومنهم المحترفون الذين يحلمون للناس ولأنفسهم طبعا وتلك كانت مهنة شائعة فى معابد اليونان وغيرها قديما وكما كانت وإلى وقت قريب تعمل شيخة الزار أو كـاشـف الـغـيب بينما يأخذون (الاثر) من الزبون ويحلمون له و يصفون له وسيلة العلاج على أساس ما رأوه له فى المنام (الخشاب الحمامات الشفائية (١٢) ثم التياترو القديم)(١٣) .

كـان هـؤلاء الـكـهـنـة الأطـبـاء من مفسرى أحلام المرضى يشخصون الأمراض عن طريق الأحـلام ثم يـضـعـون لـلـمـرضـى الـعـلاج والدواء ولهذا ذكر كبير فى تاريخ الطب القديم (أنظر مـلاحـظـة ١٢) وكان من بين تلك الأدوية ووسائل العلاج الحمام وقد وجد منه الكثير فى مصر وهـى أنـواع خاصة من الحمامات العلاجية قام على أساسها الحمام العربى العام ، ثم فى البيوت الـقـديمـة و يـسـمـى الحـمـام الغربى ثم عند العامة حمام السوق وكان الحمام قديما يوصف حسب ما يشير به الطبيب ساخناً أو بارداً وقد قيد استعماله طبيا فى الأول هيبوكراتس .

وقد كان من المفسرين الخصوصيين للأحلام خارج نطاق المعبد من غير رجال الكهنوت الرسميين من ـــ من لهم وسائلهم الاعلامية الخاصة بهم كما سترى عند الحديث عن الاله ابيس «Apis» كما ذكر الكتاب الأقدمون من اليونانيين كان المرضى يلجأون إلى معبد از يس ثم اوز يريس (يتاح فى منفيس) حيث يوجد عجل ابيس ، و يتوسلون ان تتجلى عليهم الألهة فى منامهم ، وخاصة از يس لتصف لهم الدواء بنفسها وتهبْهم الشفاء من أمراضهم الجسمانية والروحية ، وان تفرج كربهم وتلهمهم الصواب فيا ينوون القيام بعمله ، وكانت از يس كما يقول المؤرخ اليونانى ديودوروس آلهة الشفاء والدواء وصانعته أيضاً فارماكو بيوس «pharmacopios» فتتجلى عليهم بصورتها كاملة فى منامهم بالمعبد ، وتشفى حتى من استعصى شفاؤهم على يد الأطباء ، وكانت تسمى باز يس الشافية Hygieia وكان ذلك يحدث أيضاً فى المعابد الكبيرة مثل معبد سرابيس إله الشفاء المصرى وزوج از يس هيجيا Hygieia وهو الند أو الشبيه بالاله اليونانى اسكليبيوس **Askelpios** الاله اليونانى المعالج «Deus - clinicus» وهو إله الطب وأبو الأطباء وكان أشهر معابد العلاج فى مصر معبد سرابيس فى كانوبوس Canobos فى الأسكندر ية (أبوقير الآن) ينام فيه الناس كما يروى سترابون لنا وصفا مفصلا ممتعا (كتاب ١٧ فقرة ١٧ / ١) للرحلة المرحة التى يقوم بها الناس من الاسكندر ية حتى كانو بوس واحتفال الناس فى تعبدهم فى معبد سرابيس ، ثم نومهم وأحلامهم وأحلام من ينوبون عنهم عند العامة ، والخاصة من الحكام والعظماء والمثقفين ، وما يحدث بعد ذلك من معجزات وشفاء ، وكان من ذلك ان بعض مفسرى الأحلام Onirocritai كما ذكرنا يعلنون عن أنفسهم وهبة الله لهم بموهبة تفسير الأحلام ، كيوسف النبى قبلهم فيلجأ إليهم الحجاج إلى المعبد لتفسير أحلامهم ومنهم طائفة من المفسرين اشتهروا فى هذا التخصص من أهالى جز يرة كر يت قديماً كما سيأتى ذكره .

هذا هو التقليد المصرى الوثنى وغير المصرى من بعد فى العالم القديم كله وليس هناك طر يقة للشفاء من أمراض النفس والجسد إلا طر يقة التنويم هذه أى incubation ، والأحلام كما أنها أيضاً كانت طر يقة للاستشارات فى كل الأغراض سياسية وتجار ية إلى غير ذلك إلا أنه بعد رسالة موسى يستمر هذا الوضع التقليدى ، فى المعبد اليهودى فيسمح موسى لليهود أولئك الذين تصدق أحلامهم أن يناموا فى معبدهم وان يحلموا لأنفسهم ولغيرهم على الطر يقة الأولى ، كما يخبرنا بذلك سترابون (١٤) فيوحى إليهم فى منامهم بكل مايستشيرون فيه ، ومن هنا كان كل مايؤمر به أنبياء اليهود وحى يأتيهم فى رؤ ياهم ، وطبعا بهذه الطر يقة المصر ية القديمة واليهودية فيا بعد كانت تأتى الناس فى منامهم بالمعبد طرق شفائهم وحلول مشاكلهم كل حسب شكواه وموضوع استشارته ، فكان المعبد اليهودى الذى أخلى من الأوثان و يعبد فيه الله مجردا من أية صورة أو أى تمثيل يوحى فيه للمتقين الصالحين بالعلامات والرموز بالشفاء مما يشكون منه صحيا

ويحل مشاكل حياتهم ولكن فى هذه الحالة لايرون فى منامهم الله بل وحى يأتيهم من أنبيائهم وكهنتهم دون رؤ ية الله فهم لا يرون الله إلا بإدراكهم العقلى .

هذا هو المناخ الذى نشأ فيه موسى فى مصر ، وكان سائداً فى العالم القديم خارجها ، وكما يقول سترابون أن موسى لم يرض عن هذه الأحوال فأمر أتباعه تجنب كل ذلك وأن يتجهوا إلى الله الأحد الذى يحيط بكل شيء والذى اختاره موسى فعبده بدون صورة ولا وسيلة ، فنجد أن موسى قد تمثل نفس الطر يقة التقليدية القديمة للاتصال الروحى بالله عن طر يق الأحلام الشائعة آنذاك « إن الذين تتحقق أحلامهم أى الذين تصدق أحلامهم عليهم أن يناموا فى المعبد (معبد موسى) يحلمون لأنفسهم ويحلمون أحلاماً أخرى لغيرهم » (١٤) .

إذن فهذه العادة المصر ية قد استمرت عند اليهود بأمر موسى من مصر القديمة الوثنية إلا أن من يسأل فى هذا المعبد ومن يرجى منه الشفاء و يطلب منه العون هو الله إله موسى ، فكان النوم والأحلام فى معبد موسى اتصالاً أيضا روحياً مباشراً بالله الذى لا صورة له على عادات المصر يين فى أحلامهم الشفائية وغير الشفائية ، واتصالهم المباشر بالقوى العليا فإن رأى الوثنيون الإله فيما يمثله من حيوان أو إنسان فإن موسى رآه روحياً لا صورة له ولاقر ين كما كان يعرف المصر يون أمون الخفى فهم لا يرونه ولا يسمعونه وهو ملء سمائه وأرضه فلا يدركونه بالحس بل العقل ، كما أدرك موسى الله بإدراكه العقلى فوصل إلى معرفته . ثم يبشر قومه بأن من صلحت حياته فعاش عيشة صالحة ينتظرون من الله (سيكون جزاؤهم عند الله) خيرا وعطاءً حسنا أو علامة من الله (تنفعهم) وأما غير هؤلاء فلا ينتظرون شيئا (١٥) .

هذه هى الحكمة المصر ية والأمثال السار ية من حكماء مصر تماما كما سنرى ، وقد أصاب سترابون هذا الفيلسوف المؤرخ وأوجز فى سرد تعاليم اليهودية وما كان قائما قبل أن يبعث موسى وما صار بعد أن أرسل نبيا وتؤ يده فى روايته المراجع السماو ية والآثار وتار يخ تصرفات بنى إسرائيل بعد موسى ونكوصهم عن تعاليمه وشر يعته فيقول سترابون ان موسى « بمثل هذه الأقوال (الحكيمة) قد أغرى رجالاً كثير ين من أصحاب الرأى من قومه (طبعاً) باتباعه » ثم يروى لنا ما يطابق الخروج وذلك دون أن يذكر شيئاً عن تفاصيل خروج اليهود من مصر كما فعل الكتاب اليهود الذين تتبعوا العهد القديم فيما ذكروه ومشوا فى خطه الدينى فيقول ان « موسى قاد هؤلاء الرجال ، « إلى ذلك المكان حيث يقوم القدس فى أورشليم » أى كما وجد ذلك فى وقته هو ، وقد استولى على هذا المكان بسهولة إذ أن هذا الموقع لم يكن بالمكان الذى يحسد عليه ولا يستحق أن يحارب الانسان من أجله فهو مكان صخرى رغم أن ماءه كثير ، ومايحيط به من أرض كان قحلا وصخر يا أيضا ولم يستعمل موسى سلاحاً للدفاع عن المكان بل فى نفس الوقت بدلاً من ذلك تحصن بتقديم الأضاحى واحتمى بر به إذ اعتزم أن يقيم مكانا لعبادته (١٦) ووعد قومه أن « يعد لهم عبادة ومراسم غير مرهقة لمن اتبعها ولا تقيده بحرمان روحى ولا أية متاعب

غريبة ، وعلى ذلك ذاعت شهرة موسى « وبسمعته الطيبة بين هؤلاء الناس » فهو « لم يقم حكومة من أى نوع » (١٦) .

صدق سترابون فلم يقم موسى حكومة فهو لا يزال شريدا مطاردا فى أرض مصرية ولكنه وجد فى سيناء مجالا أمكنه فيه ممارسة رياضية روحية حرة بعيداً عن يد المصريين الذين ظنوا أنه سيفنى مع قومه فى رمال سيناء ، فقام ينشر دعوته بين الرحل من قبائل سيناء واتسع مناخ التأمل والتفكير فعزم على بناء معبد يهودى على شريعته . صدق سترابون فقد أصاب فى تعقل فيما رواه من معلومات يعرفها من مصادر بينة الصحة دون أن يعلق عليها بشيء أو يقارنها بوجهة نظر أخرى فلم ينحاز أو يتباعد لشيء فى نفسه ولم يتأثر بعاطفة دينية ، لم يغال فى تحمس دينى فيجاوز الحقيقة كما فعل غيره من الكتاب اليهود فيما سنذكر فيما رواه ترى موسى أقرب ما يكون إلى الرأى الصائب بعيدا عن أى مؤثر دينى وقد أجمل سترابون تاريخ موسى كفيلسوف كما نكاد نعرفه من الكتب المقدسة ثم هو يكمل قصة اليهود من بنى إسرائيل بعد موسى و بعد بناء المعبد فى القدس فيقول فيما سبق ذكره (أنظر ملاحظة ١ ــ ٢) فمن طبقة الأتقياء الذين قادوا بنى إسرائيل فى أول الأمر بعد موسى مباشرة إلى أن يفتر الحماس الدينى عندهم تبرز طبقة المؤمنين بالخرافات (ملاحظة (١) فيما سبق) ثم لما ينتهى الأمر بهم إلى أن يصير الدين عندهم كتاب فى مكتبة فقط بعيدا عن صدورهم ينساه الناس فى دنياهم أو يتناسونه فى باطلهم وزيف شرفهم وعملهم ، ظهرت فيهم طبقة الطغاة ومنها تبرز طبقة اللصوص (أنظر ملاحظة (٢)) الذين حتى لو ذكروا إنجيلهم وعهدهم تحايلوا فيتخذون منه سيفا يقتلون به الآخرين طعماً فى أرضهم وأموالهم وما يملكون بل تحايلوا فاتخذوا منه دافعاً لسفك الدماء والسلب والنهب تعصباً مقيتاً واشباعا لعاطفة عنصر يتهم ولبغى المعتدين .

فما يثبت صحة رواية سترابون هذا المحقق الفليسوف انه ذكر ضمن عاداتهم « الطهارة عندهم للرجال والنساء » (١٧) .

ورغم ذكره ذلك ضمن خرافاتهم إلا أن هذا يثبت من جهة أخرى أن كل ما كان عند اليهود فى ذلك الوقت حتى الوصايا العشر أصله مصرى فليس لليهود حضارة خاصة بهم فما كان لديهم من عادات وحكمة وأقوال صارت مبادئ يدين بها العالم كله ليس إلا من أصل الحضارة المصرية ولما ان أرادوا لتلك الحضارة ألا تكون مصرية ظهر زيفهم وكذب ادعائهم فمن عاش من بنى إسرائيل خارج مصر لم يكونوا إلا رحلا رعاة لا ذكر لهم أو مستضعفين تذكرهم لوحة منفتاح بأن قضى عليهم الملك وأصبح لا وجود لهم ولم يعد لهم قمح ولا عيش . وأما موسى فنشأ فى مصر وكان حكيما بحكمتها .

أما طغيان المنحرفين فيكون نتيجة الأنانية الجامحة الجشعة الشرسة والطموح الضال والطمع الأثيم والاستيلاء بغير حق واستباحة السرقة والسلب والقتل و بث الرعب فى الآخرين واطلاق يد غير الأمناء المسعورين فينهبون و يستحوزون على كل ماتمتد إليهم أيديهم ثم يستولى عليهم الخوف فيبدأون بالهجوم والاعتداء و يسرفون فى أنانيتهم وذاتيتهم فتستعر فى نفوسهم نشوة الامتلاك والتملك للأرض والمال والرجال يستذلونهم عبيداً أرقاء مما يتيح الفرصة لانطلاق اللصوص ذوى الضمائر الخربة والنفوس الوضيعة لخدمة الطغاة وارضاء أطماعهم وشهواتهم « فقال سترابون فثار بعض اليهود وخربوا أرضهم ثم الأرض المجاورة لهم » بينما « تعاون البعض الآخر مع الحاكمين واستولوا على ممتلكات الغير واجتاحوا جانباً كبيراً من سوريا وفينقيا » أما قلعتهم القدس فكانوا يكنون لها احتراماً لم يعافها اليهود كمقر للطغاة لكنهم كانوا يحترمونها و يقدسونها كمكان مقدس » (١٨) .

هذه .. هى شهادة التاريخ على لسان الجغرافى المؤرخ الفيلسوف استرابون ذهب إليهم وسمع عنهم ومنهم وخبرهم ورآهم وسجل وروى للأجيال غير منحاز ولا متجنى وأخذ من مصادر لا شك صحيحة تكاد تتطابق ما لدينا من نصوص دينية وكتب سماوية رغم بعده كوثنى عن اليهود واليهودية ثم نكوصهم وما أصدق من القرآن الكريم شاهداً على ردتهم ورجوعهم إلى عبادة العجل وعرفهم التاريخ مشعوذين أفاقين مغامرين لصوص وهم فى كل ذلك يهودا يطرحون دينهم وتعاليمهم خلف ظهورهم فلا يرون إلا ما كانوا عليه قبل موسى من سوء سجية وعبادة وثنية وكأنما مابشر به موسى فيهم لم يصل إلى قلوبهم وكان كساء رقيقاً لم يخف وجوههم القبيحة عن الناس ، فهم لا يأبهون بالقيم ولا يأنفون من ضلال رغم دين اتخذوا منه اسما وصفة لهم وطرحوا أخلاقياته وقيمه وفضائله وروحيانياته فلا يتذكرونها إلا إذا رجعوا إلى القدس والمعبد ولكنهم لا يخجلون من خطاياهم فانظر قول سترابون (ملاحظة ١٦) أنهم لا يأنفون أن تكون مدينة القدس قلعتهم مقر طاغية ولكنهم فى نفس الوقت يكنون لها احتراما وتقديسا كمكان مقدس فيه معبدهم .

انهم اختاروا الأرض والدين من غير خلق فتناسوا السماء وازدوجت الأمور فى عقولهم فلا فرق بين الضلال والعدوان والقسوة وتحللهم من دينهم هذا الذى يحترمون من أجله القدس وهذا هو الكفر بعينه والضلال المبين ، ولا شك أن ما وصلت إليه السيدة فيولت ماكدورمت (١٩) من أن اليهودية أو ما تسميه بالموسيزم بمقارنتها بالديانة المصرية التى كما نرى بحق أنها نتمثل فى الأعمال الانسانية اليومية للمصريين الذين بديانتهم يشعرون بوحدتهم وارتباطهم بعالم البشر أحياء وأموات فيستزيدون و يطيلون فترة سعادتهم أطول مدة ممكنة فالديانة المصرية كما تقول السيدة ماكدورمت صلة ربط المصريين بموتاهم و بالناس جميعا .

وأما رأيها فى اليهودية أو الموسايزم أو اليودايزم .. فهى ديانة أو وسيلة بها ينفصل شعب و ينعزل بنفسه و يصبح حياً متحركاً للوصول إلى هدفه من التطور فى وحدة دينية عنصرية قوية خاصة فمن عهد ابراهام إلى عهد موسى بنيت اليهودية أساساً على طاعة الشريعة التى تحوى العهد وفى الابتداء كان عمل هذه الطاعة هو خلق فريق أو جماعة عنصرية يرتبط بعضها ببعض بصلة الدم لمناهضة الشرك والتمسك بالوحدانية ولم يكن مباحاً لأعضاء هذه الجماعة أن يتزوجوا مع جيرانهم ، وعند اليهود ، وهذا هو المهم ، الإله كان تعبيراً عن القومية أكثر منه صورة بشر أو رمزا للكون الشامل » . (١٩)

وسنرى فيما بعد .. أن ذلك كان واضحاً وملموساً تماماً فى عهد هونيا منشىء القدس المصرى فى العصر البطلمى .

وهكذا حرص موسى على قوميته واهتم بتخليص ناسه من بنى إسرائيل من المصريين ومن مصر رغم ما وصل إليه هو فيها من مركز سام خطير يشهد بذلك كل النصوص الدينية والشواهد التاريخية . فالله الذى اختاره لهم كان قد اجتمع اليهود عليه واتحدوا منه مجمعا لليهود ومن بعد خروجهم من مصر إلى سيناء والأرض التى وعدهم الله موطناً يتجمعون فيه و باستيلائهم كما ذكرنا من قول ستترابون على المقدس فى فلسطين كما فعل ذلك فيما بعد هونيا الرابع الكاهن الأعظم سابقا فى قدس أرض هونيا أى مدينة الشمس فى مصر والذى كان يعتبر نفسه خليفة لموسى فى مصر بعد أن ساءت أحوال اليهود فى مقدس فلسطين فجمعهم فى مصر فى عهد البطالمة بأن أنشأ لهم معبداً ومذبحاً يلتفون حوله على غرار ما كان فى القدس الفلسطينية حسب نبوءة النبى اشعيا ــ ثم انتشارهم مع موسى تسللا فى أرض كنعان أو فلسطين فاينما ساروا كان الله معهم و بأمره رعاة وحضر ، ان كان فيهم حضر ، يتحركون ولكن فى حصار من أنفسهم بين الناس وعزلة وكان الله من اختيارهم واعتبروه رمزا عنصريا لهم فاليهود على خلاف المسيحيين والمسلمين لم يعتبروا دينهم دينا عالميا للبشر عامة وان كل من يدينون به يكون أخا لهم فى الدين بل قصروه عليهم قبائلا وجنسا ولم يحاولوا التبشير به خارج مجتمعهم العنصرى بل كانوا فى حدود جنسيتهم فقط يهودا بينما انتشرت المسيحية المنبثقة من اليهودية وانتشر الاسلام بعد ذلك ودان بهما العالم أجمع وكان الاسلام خاصة دينا عالميا فقد أرسل النبى صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين وليظهر الدين « على الدين كله » وقد كان المسلمون يبشرون بالاسلام عن طريق نقودهم التى انتشرت فى العالم الرومانى والفارسى وكانت كلها ذهبا وفضة و برونزا تحمل مثل هذه الآيات وغيرها من القرآن بين أيدى المتعاملين بها ممن سيطروا سياسيا عليهم بالفتوحات كخلفاء للامبراطورية الفارسية والرومانية .

وكذلك كان يفعل المسيحيون فى العصر المسيحى قبل الاسلام أو البيزنطى أو الرومانى المتأخر فى امبراطوريتهم الواسعة التى ورثها المسلمون فكانت النقود البيزنطية تحمل صور المسيح

و بيده الانجيل تبشيراً بالمسيحية بين الخلق . وهذا واضح حتى الآن من عدد المسلمين والمسيحيين وسعة رقعة انتشارهم فى العالم بأسره ثم عدد اليهود الذين كانوا بنى إسرائيل وأصبحوا الآن فى إسرائيل إسرائيليين .

ورغم ان الاسلام نزل فى جزيرة العرب أول مانزل إلا أن العرب قاموا بالدعوة له بين العالم أجمع عن طريق دعوتهم سلما ولكن اليهود كانوا قلة مبعثرة مستضعفة من البدو ولم يمكن أن يناهض دينهم الإله الأكبر ابن آمون أى فرعون الذى يؤمن به المصريون جميعا وهم فى ضعفهم وتأخرهم وصغر شأنهم لم يكن أمامهم إلا الهرب بدينهم من أكبر وأقدم دولة فى العالم القديم حضارة ورسوخا وعددا وكان ذلك بالنسبة لهم عيد الخلاص وذكراه عندهم عيد الفصح فلما ذهبوا إلى سيناء وجدوا عدداً من البدو من جنسهم قليلون من عبدة الثور أيضاً فلم يبشروا بالدين إلا فى بنى جنسهم من أسباط بنى إسرائيل ولما انتشروا تسللاً إلى البلاد الأكثر حضارة منهم كنعان وفلسطين وسوريا كانت عزلتهم بين هؤلاء المتحضرين سببا فى عدم تأثيرهم فيمن حولهم وكان انطواؤهم هذا سببا فى أن يكونوا مشغولين بأنفسهم غرباء عمن حولهم فلم تقم لهم حضارة يتأثر بها أحد ، حتى الله اختاروه هم رباً لأنفسهم وكان موسى كما يقول الأستاذ در يوتون فى حديثه مع فرعون يقول « رب العبرانيين » (أنظر ملاحظة ٢٤) .

ثم هم الآن فى عصرنا يحتكرون السامية كما احتكروا اليهودية لأنفسهم وأخذوها هى الأخرى رمزاً عنصرياً لهم فمن عاداها وناهضها يكون فى نظرهم معاديا ومناهضاً لإسرائيل والیهود وهم يعرفون أن العرب ساميون وأن قدماء المصريين والاشوريين والبابليون ساميون وأقدم حضارة فى العالم حضارة الساميين ممثلة فى مصر الفرعونية وآشور (٢٠) كما يذكر ذلك الأستاذ الدكتور فؤاد حسنين أما هم فيعرفون أنهم وجه السامية القبيح .

ان تقيدهم بتلك العنصرية البغيضة ظاهر فيما لم يصلوا إليه بعد من تحديد تعريفهم من هو اليهودى .. ؟ فليس لأى انسان أن يكون يهوديا كما يكون أى فرد مسلما أو مسيحيا دون قيد أوشرط وحتى لما ضربوا نقودهم كان تبادلها محدودا بينهم فى حيزمدنهم ولم يكن لها انتشار فهى عملة خاصة لاقيمة لها خارج نطاق مدنهم بل محلية ضيقة الاستعمال لا سوق تجارى لها فى الخارج فكانت غير معروفة ولكنها كانت تحمل أهم معالم معبدهم و بعض رموز هامة دينية كعصا موسى التى صارت حية تسعى وهى التى تشكلت بها النجمة السداسة اليهودية كما سنرى فيما بعد .

فإذا ما رجعنا إلى الكتاب اليهود من اليونانيين الذين يتحدثون عن موسى واليهودية فعلينا أن نأخذ بحذر شديد وترو كبير أقوال المؤرخ جوز يفوس فالتعصب والتحيز الذى أبداهما ليس إلا خلفية لكل مايقوله هذا المؤرخ اليهودى فى كلامه عن موسى وقومه فى مصر فأخطاؤه المتعمدة

ومغالطاته ومخالفته حتى للتوراة وتعمد تناسيه له إنما يدل على تعصبه وعنصريته الجامحة والواقع أن مغالطته فى سرد تاريخ مصر فى ذلك الوقت قبيل الخروج كان أساسها هذا التعصب وشدة تحيزه لخلق ولزعم دور لليهود وخاصة لموسى فى حرب افتعل وقوعها بين مصر والأحباش (النوبة) آنذاك .

فبعيداً عن الخلافات الدينية بين فرعون مصر وموسى وقومه من العبرانيين لم تقم فى تلك الفترة أية حرب بين مصر و بين غيرها أياً كانت والعجيب أن جوز يفوس فى كتابه « الآثار اليهودية » فيما سنذكر فى العهدين المحتمل فيهما الخروج عهد امنيوفيس الثانى وعهد رمسيس الثانى إن صح ماذهب إليه القائلون بذلك كانت مصر فى أوج قوتها سياسيا وعسكريا ثم ان عدم ذكر هذه الحروب واتجاه رمسيس الثانى للشرق كل ذلك يدحض قول جوز يفوس و يقوم دليلاً على عدم توقع فرعون لحرب أخرى وفى هذه الحرب التى لم تقم إلا فى خيال جوز يفوس تولى موسى أمرها وصال وجال ورد العدو والغازى بعد ان وصل إلى تخوم منفيس ودحره فى عقر داره فأعجبت به ابنة الملك العدو وأرسلت تطلب الزواج مه فساوم بقبوله طلبها على أن تستسلم المدينة التى كان يحاصرها ، وهذه مساومة لاتأتى من رجل مثل موسى أخرجه هذا المؤرخ عن خطه الدينى وفلسفته الانسانية الصادقة السامية وهو الذى تزوج فى سيناء كما نعرف ذلك من الكتب المقدسة وهو المنتصر الذى لاحاجة له لمثل هذه القصة الخيالية التى اخترعها جوز يفوس له كأنه صحفى من إسرائيل ينفخ فى بوق دعاية فيدعى له صفة الرجل الذى لاينهزم فيصوغ تلك القصة تعصباً و يشيد بقومه ويخلق له دوراً غير صحيح فحاد بموسى كذبا عن طريق أوحى به الله إليه ليؤهله أن يكون له نبياً وسنورد ذلك تفصيلاً فيما بعد .

أما جوز يفوس فلم يسعفه خياله ان يخبرنا عما تم فى أمر هذه الزيجة الوهمية وهو يناقض نفسه فى ذلك فكانت رواية سترابون لقصة موسى أقرب ماتكون إلى الاقتناع وسط هذا الخصم من ادعاءات جوز يفوس الذى يكاد يكون معاصرا لاسترابون فيطلق العنان لميوله ونزعاته الدينية والعنصرية وتعصبه فيختلق قصة لموسى وهمية لا أساس لها من الصحة ومخالفة للتوراة والقرآن متذكرا فقط ماعاناه قومه من الأقدمين فى مصر فكره ذلك وأراد أن يعلى شأن قومه بفضل ادعاه لهم ولم يكونوا أهلاً له . وزج بموسى فى كذب قوله فافترى عليه دعاية سافرة تجاوز بها الحقيقة وخلط التاريخ .

إلاأنه ذكر حقيقة معترفا بها وهى أن موسى «حظى بقسط وافر من التعليم والثقافة بكل عناية » (٢١) وهذا قول منطقى فبعد أن تبنته ابنة فرعون يصبح من الضرورى كأحد أفراد الأسرة المالكة ان يتعلم ولكن جوز يفوس يحرف التاريخ وما أنزل فى التوراة و يبعد عن المنطق بعكس مايقوله فيلو فيما سنرى مما يوجب اعتبار موسى فيلسوفا دينيا فى تأمله وتفكيره لا أن يكون رجل حرب حسب رغبة الملك ورغم معارضة أمه بنت فرعون التى تبنته وما أتاه من ضروب

الشجاعة التى أثارت إعجاب بنت ملك الحبش ثم يزعم أن فرعون من ناحيته كان يريد أن يتخلص من موسى وقومه وموسى كان على علم بذلك . وهذا يخالف تماماً حقيقة التاريخ وما ورد فى الكتب المقدسة فموسى هو وقومه كانوا يريدون الخروج فخرجوا هرباً رغم ارادة فرعون وهو الذى كان يخشى ان ينضم العنصر المستذل المعذب فى جوشن إلى عدو و يأتيه غازيا فكيف اذن يكون تسليم رجل من بنى اسرائيل أمرة الجيش دفاعا عن مصر، بل ذهب جوز يفوس إلى أن موسى وقومه قد أتوا بنصر لمصر عظيم رغم اجماع المؤرخين جميعا ان بنى اسرائيل كانوا رعاة فى رأض جوشن أو أرض المراعى التى كانوا يرعون فيها ماشيتهم وكما يقول الأستاذ مايام (٢٢) ان كلمة جوشن تعنى المراعى أو المواشى فجوشن وجوشا وجوسانى وجوسان وجوسن وجاشنو كل هذه الألفاظ تدور حول المكان الذى تحفظ فيه الماشية أى حظيرة ويمكن أن يكون مرعى ولفظة جشنو تعنى الحيوان الصغير اذن فهم رعاة فى أرض المراعى شرقى الدلتا انهم لم يأتوا بنصر ما بل المفروض انهم كانوا عقبة فى سبيل النصر فقد كانت ثقة مصر فيهم ضئيلة تدعو لعدم الاطمئنان إليهم والخوف من أن ينضموا لعدو يأتى من الشرق فقد كانوا فى ذلك الوقت بالذات قلة مستضعفة مطحونة فى سخرتها منعزلة فى بداوتها رعاة وعمال فى مصانع الطوب و بناة المدن مسخرين معذبين كما ورد فى التوراة ولم يكونوا جنودا ولا محاربين يعتمد عليهم فى قوة ولا فى اخلاصهم لمصر بل على العكس تواقين للخلاص من حياتهم هذه شاكين فى غير ثورة متذمرين فى صمت خاصة بعد ان أراد لهم فرعون استقرارا بدل الترحال .

ترعرع موسى فى القصر الفرعونى وتعلم وحصل على ثقافة وعلم ولابد ان يكون بحكم ميوله وعقليته قد ألم بالأسرار والطقوس فكان ما ذهب إليه سترابون بالنسبة إلى موسى أقرب إلى طبيعة الأشياء من أن يكون قائداً حربياً عند جوز يفوس اليهودى يذود عن مصر و ينصرها على الغزاة الأحباش فيحسده البلاط و يغار منه ويخشاه فرعون ويخاف بطشه ويخافه أعداؤه وتعجب به النساء و ينبهرن بذكائه وشجاعته و يقعن فى غرامه فكان محسوداً مكروهاً لصفاته وكريم شيمه وشجاعته وانتصاراته وكان موضع تقدير الجميع وكرههم بل فات جوز يفوس ان يقول انه كان البطل الذى لا ينهزم كما تقول أبواق الدعاية الآن من بعده بأربعين قرناً دعاية ظاهرة وتعصب عنصرى وتزييف للحقيقة واختلاق وكذب على الله والتاريخ فانظر كيف يفتعل فضلاً لإسرائيل شهدت به الآلهة المصرية إذ يقول « فلما وصل الغزاة الاثيوبيون إلى أبواب منفيس لجأ المصريون لاستشارة الآلهة طلبا لنبؤة باستلهام الوحى وإذا النصيحة تأتى من الاله « ان اتخذوا من اليهودى حليفا » (٢٣) .

ومن يكون هذا اليهودى ؟ انه يقصد اليهود وعلى رأسهم موسى فكيف يمكن لهذا المتعصب اليهودى أن يجعلنا نصدق أن نبياً يرضى أن يقوم على رأس جيش محارب و يقتل و يتزوج من بنت ملك لا دفاعاً عن دين أراد الله أن يظهر به ولا تبشيراً لهذا الدين بين الناس حتى التبشير

بالحرب ليس مباحاً وكيف يريد هذا الكافر بموسى أن يجعلنا نصدق بعد كل الكتب السماوية واتفاقها على وضع الخروج من مصر ان نقبل أن موسى عندما كلف بقيادة الجيش كان يضمر هو ورؤساء عشيرته أن يهربوا من هناك أى من الحبشة « النوبة » إلى سيناء أى منطق هذا الذى يجعل الانسان يتصور نبياً يخادع مع أنه أمر بأمر من الله أن يخرج ناسه وأن تعرض للمهالك كما روى الكاتب اليهودى فيلو الذى اتخذ دليله فى التاريخ لموسى كونه نبياً ومشى على هذه السيرة يؤرخ للحوادث وقد كان أقرب فى عدم تعصبه لليهودية من جوز يفوس فى عرضه للمسألة اليهودية الى سترابون ، ان جوز يفوس قد جعل من الخروج من مصر بأمر الله محاولة للهرب وخدعة كما يفعل المارقون وجعل من نبى جليل يأتمر بأمر الله امرءاً سيئ النية طويته غامضة ، لايمكن أن يكون موسى عليه السلام ، ثم هو يجعل من العبرانيين « بنى اسرائيل » عنصراً له شأن وكيان قوى وقدر يساوى مصر بأكملها وعونا يساند مصر فى حربها وصد الغزاة وهم الذين عاشوا كما قدمنا رعاة منعزلين مبعثرين فى صحراء مصر الشرقية أى أرض جوشن وتذكرهم النصوص المصرية كما يذكر الأستاذ دريوتون « عابيرو أو خابيرو » Aperou أو Khaperou (وعابيرو وهو اسمهم الجنسى أى العبرانيين بمعنى الرعاة طيلة وجودهم فى مصر وخرجوا من مصر يهودا) أى بعد قيام اليهودية برسالة موسى عليه السلام « وكان موسى يتكلم إلى فرعون بلغة يفهمها المصريون وقال عن يهوا إله اليهود (إله العبرانيين) (الخروج ٥ — ٣ (١٤) .

ثم ان فيلو زميل ومعاصر جوزيفوس وهو كاتب يونانى يهودى مشىّ على هدى القصص الدينى وذلك مافات جوزيفوس الذى عاش على الأرض ونسى السماء يروى لنا فيلو عن موسى فضائله وفضله فى اتصاله بقومه وهو فى مكان الصدارة والملك فى مصر ناصحاً إياهم طالباً من رؤسائهم من المصريين فى الأعمال المسخرين فيها الترفق بهم والشفقة عليهم والرحمة بهم وكان يشجع قومه بالكلمة الطيبة على « تحمل ما هم فيه من ظروف بشجاعة » ثم يواسيهم بما ينعش آمالهم ويحيى فى نفوسهم الأمل فى المستقبل والقوة على التحمل متمثلاً الحكمة المصرية البالغة التى درسها وتعلمها بحكم تربيته الخاصة لما كان له من انتماء إلى البيت المالك بالتبنى كما أشرنا فيما سبق ، وقد أورد فيلو كثيرا مما جرى به لسان موسى من تلك الحكم فى مواساته للعاملين المسخرين المعذبين من بنى إسرائيل فى مصر فينصحهم « ألا يجعلوا أرواحهم تشقى بشقاء أجسادهم » وان « يتوقعوا الخير يأتى من الشر » ثم يتكلم اليهم بمنطق الصابرين مهونا عليهم هوانهم و يصبرهم على شقائهم فيقول « ان كل الأشياء فى هذا العالم تتغير إلى أضدادها السحب إلى سماء صحو، ورياح هوجاء عاتية عاصفة إلى هواء هادئ رقيق ثم بحار صاخبة هائجة إلى هدوء وأمان كذلك فإن الطبيعة البشرية ربما تكون أشد تغيراً » (٢٥) .

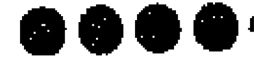
إن هذه العبارات المشجعة لايمكن أن توجه إلى قوم يعيشون فى سعادة ورخاء ولكنها تصدر عن رجل دينى نبى ملهم عالم فهذا هو موسى رجل سلم ودين مسالم متمسك فى تواضع وقوة بقومه

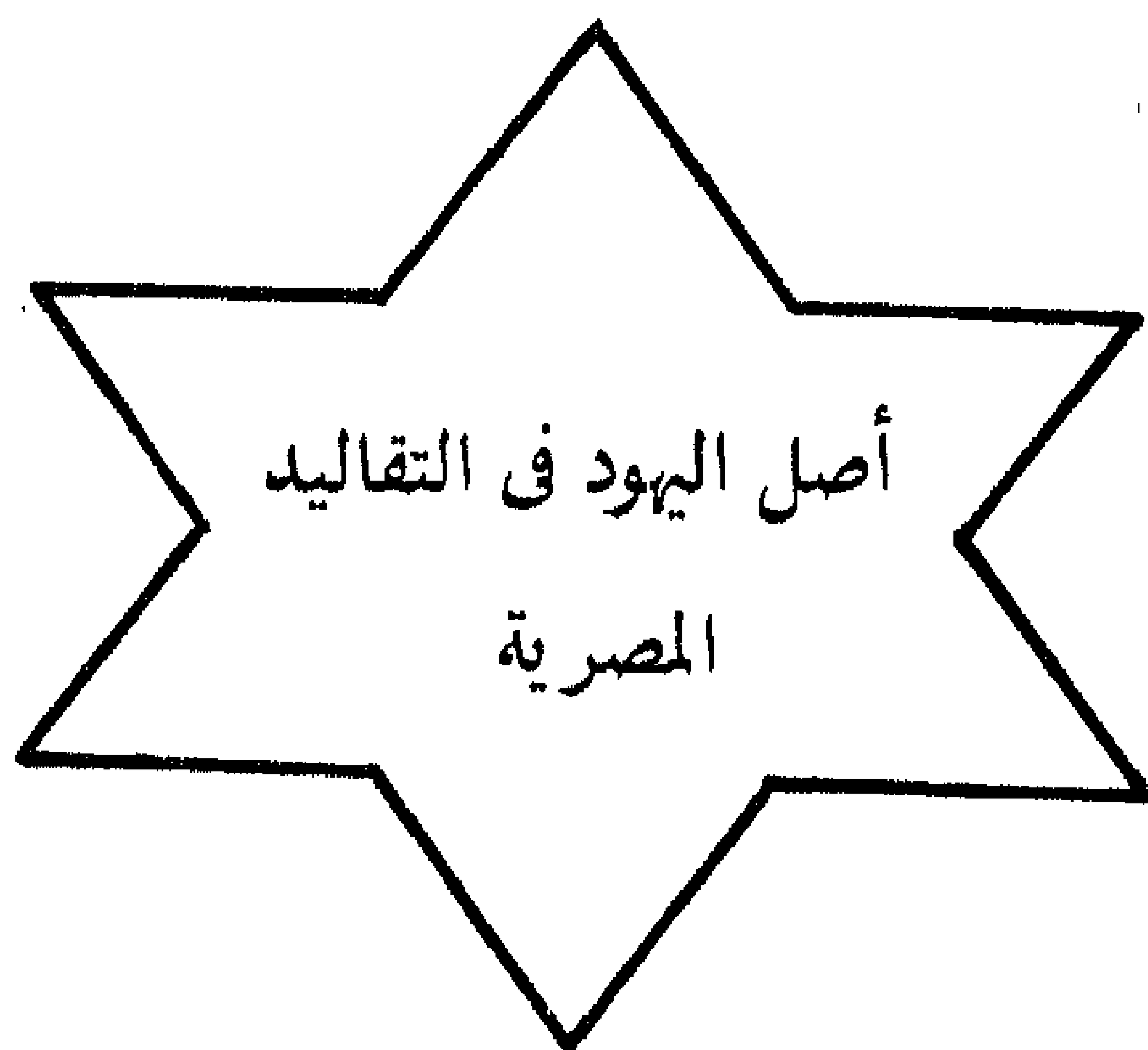
حريص عليهم رغم أنه وصل إلى أوج العظمة التى يصبو إليها كل إنسان فكان ينظر إليه الجميع على أنه « سيكون خليفة جده فى الملك وكان لذلك يسمى الملك الجديد » (٢٦) .

ولم يكن فى امكانه ان يرفع عن قومه ظلما أو يردع الظالمين وهذا البؤس الذى خيم على قومه والظلم الذى حاق بهم قد أثار موسى وأثقل قلبه إلا أن رجلاً واحداً كان أقسى رجل بين رؤساء العمال من قومه أثار غضب موسى أكثر من أى انسان آخر فى قسوته وشدته عليهم وظلمه لهم فقتله موسى .

وقد اعتبر موسى قتل هذا الرجل عدلاً « وكان ذلك عدلاً فالانسان الذى يعيش لقتل الآخرين يجب أن يقتل » (٢٧) .

هذا ما فعله موسى حسب ما يرويه لنا فيلو وكما يحلله منطقيا وقد كان بنو اسرائيل يعملون تحت رقابة رؤساء قساة فى عمل « ضرب الطوب من الطين وبعضهم يجمع القش من كل مكان فالطوب يتماسك بالقش ثم ان منهم من يبنون بيوتاً وأسواراً ومدناً و يشقون ترعاً وكلهم مسخرون فى ذلك تحت أمرة هؤلاء الرؤساء وكلهم غلاظ القلوب وهذا ما وجد موسى قومه عليه منذ نشأته وإن هذا تصور فيلو لصدر حياة موسى ولكن دون أن يشير إلى عمل موسى ككاهن كما أخبرنا سترابون فقد أغفل ذلك لشدة تمسكه بخطه الدينى اليهودى وربما كره لموسى أن يكون كاهنا .




أصل اليهود فى التقاليد
المصرية

صدق الله العظيم إذ يقول لهم السيد المسيح (يوحنا ٨ ــ ٤٤) « أنتم من أب هو إبليس وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا ، ذاك كان قتالا للناس من البدء ولم يثبت فى الحق لأنه ليس فيه حق متى يتكلم الكذب فإنما يتكلم بما له لأنه كذاب وأبو الكذابين » .

هكذا كان ست « تيفون » أى الشيطان عند المصريين وكان العبرانيون الاسرائيليون من عبدته المتعصبين فقد اختاروه إلهاً وجدوا فيه ، على خلاف غالبية المصريين ، مثلهم الأعلى ثم أنهم بسبب ما رآه وعرفه المصريون فيهم من خلق وطباع اختاروه أباً للعبرانيين منذ وجودهم بمصر وظل هؤلاء العبرانيون ثم اليهود بعدهم فى مصر وأبناؤهم وأحفادهم أجيالاً تلو أجيال تُرهم كما عرفهم المصريون على خلقهم هذه ماضون وعلى طبعهم محافظون وعلى تقاليد عنصريتهم قائمون وشهدت بذلك الكتب السماوية .

أدخل المصريون هؤلاء العبرانيين واليهود فى التقاليد المصرية فى ذرية ست وجعلوه أباً لهم فى خرافاتهم الدينية وهو الإله الذى يرمز إلى الجدب والقحل والصحراء والرمال . الحارقة والبحر الذى يبتلع ماء النيل و يفسد الأرض وهو الذى قتل أخاه أوزوريس رمز المياه المخصبة للأرض فكان كما ورد فى كلام السيد المسيح « قتالاً للناس » و بعدأن هزمه حورس ابن اوزوريس والمنتقم لأبيه » هرب ست من المعركة راكباً حماراً واستغرقت رحلة هربه سبعة أيام على ظهر الحمار كما يقول بلوثارخوس (٢٩) فكان لاستعمال ست للحمار ولغباء الحمير ولونهم أن انتسب الحمير إلى تيفون ، وكان ذلك سببا فى كره المصريين لها فى عقيدتهم ولذا فقد لقبوا أوخوس أقسى ملوك الفرس وشرهم « ارتكسركسيس الثالث » لتعسفه وشدة ظلمه لقبوه بالحمار فكان رده على المصريين « ان هذا الحمار سيحتفل بأكل عجلكم » (٣٠) أما القائلون بأن رحلة ست فى هربه كانت سبعة أيام على ظهر الحمار ونجاته أصبح أبا لهيروسوليموس Hierosolymos و يوديون Judaeos فهؤلاء كانوا يريدون أن يدخلوا التقاليد الاسرائيلية فى الخرافة المصرية كما يخبرنا بلوتارخوس (٣٣) فالواقع اذن أن المصريين بعد أن عرفوا بنى اسرائيل (العبرانيين) فى معاملتهم معهم تمام المعرفة وخبروا أخلاقهم وشذوذ طباعهم وعنصريتهم التى انطوت عليهم نفوسهم الحقوهم بأبناء من أب هو ست إله الشر والشيطان أى الاله العدو فى عقيدتهم تماما كما قال لهم السيد المسيح بعد أكثر من عشرين قرنا « أنتم من أب هو إبليس » ثم يضيف إلى إبليس هذا قوله « ذاك كان قتالا للناس وانه لا يعرف الحق وكذاب وأب الكذابين » فمن وجهة النظر المصرية العامة يعتبر انتساب العبرانيين (بنى اسرائيل) وعبادتهم هذا الاله ست فى مصر قبل موسى كاعلان لوجود حركة متقدمة جداً للصهيونية المعاصرة الآن واعلان المصريين انهم أى العبرانيين ينتسبون إلى تيفون أوست أبناء ينحدرون منه فى خرافاتهم الدينية كان ذلك اعلاناً من جانبهم ضد العنصرية ومقاومتهم لها وأصبح بنو إسرائيل فى مصر أولاداً لست الذى يسميه اليونانيون تيفون أى انهم ينحدوون من أصل شرير فهم كذابون ليسوا

على حق أنانيون منطوون بطبعهم عنصر يون فى حياتهم المنعزلة لا يحبون خيراً لغيرهم كأبيهم . أو لم يكن النزاع القائم فى مصر بين الماء المخصب والحياة و بين الصحراء ورمالها الحارقة وجد بها وجفافها والقحل المدمر الذى يقضى على الحرث والنسل و يأتى بالعقم و ينشر العدم والعسر والضنك هو نزاع بين أوزوريس وست فى عقيدة مصر بطبيعة أرضها ونيلها بواديها بين صحرائها .. ؟

هذا هوست .. الذى جعل منه المصر يون كما يخبرنا بلوتارخوس رمزا لكل الحيوانات والنباتات الضارة والبحر المالح والحوادث المفجعة وكانت كل تلك الشرور أيضا ترمز إليه وكانت تجسيداً له ومنسوبة إلى أعماله (٣١) .

هذا هوست فى عقيدتهم أبوالعبرانيين وأما الحياة والرغد فرمزها اوز ير يس رمز النيل الذى قتله أخوه تيفون رمز الجدب ور يح الجنوب المهلكة والبحر المالح الضار بالأرض وظل الصراع بينهما محتدما حتى بلغ ذروته ببناء السد العالى ولا يزال النزاع قائما كذلك كان كره المصر يين فى ذلك الوقت السحيق للعرانيين قائما بلا هوادة فإن انحدر اليهود أصلا من ست إله الشر المصرى فما ذاك إلا لما رآه المصر يون فيهم ومنهم قديماً من جحود وعنصر ية حاقدة ونكران للجميل و باطل وكلها صفات توجب مقاومتهم فبسببها كانوا يقاومون ست اوتيفون كما سنرى فهؤلاء اللاجئين الرحل الذين لم يرتبطوا بوطن كان يطاردهم الفقر و يسلب كرامتهم العوز و يعضهم الجوع و يفقدهم اطمئنانهم الاضطهاد ولما ان آمنوا كل ذلك انقلبوا على مصر وخرجوا منها حاقدين ثم رجعوا إليها مستغيثين ثم هم اليوم حاسدون كارهون فاذا قال بلوتاخوس ان القائلين بهروب ست على ظهر الحمار من معركته مع حورس المنتقم لأبيه مدة سبعة أيام وولد له بعد نجاته ابنان هما هورسوليمون و ياهوديوس وهما آباء العبرانيين واليهود فما ذاك إلا ربط بين شرست وشرور خلفه الذين تركهم فى مصر بعد ذهابه عنها ربط أراده الكهنة المصر يون وهم الفلاسفة والفلكيون كما يصفهم سترابون (١٧ ـــ ٤٦) فربطوا العبرانيين بهذه المناسبة بست بعدما فهموا وأدركوا على طول الزمن تلك العنصر ية الطاغية الخطرة وصدر قرارهم هذا لينبهوا الشعب المصرى فى أساطيرهم المقدسة إلى خطر هؤلاء الغرباء المستضعفين من العبرانيين فى شرق بلادهم فكان هذا أول اعلان لمقاومة العنصر ية المهددة المعتدية وجه السامية القبيح والشرذمة المنبوذة وأم الصهيونية التى يقاسى منها العالم العربى الآن فهذا الوجود الطفيلى ذو الأطماع العنصر ية المنعزلة عن مصر وعن الشعوب كلها قديما لا ينتمى إلا إلى نزعات أنانية كما يرى الأستاذ فؤاد حسنين (٢٠ ـــ ٥٥) حتى دين الله أرادوا أن يستغلوه عنصر يا فقصروه على عشائرهم الذين لا حضارة لها ولا جذور ثقافية ولا وطن بل تطفلوا على مصر وأخذوا عنها العلم والفلسفة والحضارة وهاجروا حيث أرادوا أن يكون لهم كيان بالدين الجديد كما لا يزالون يتطفلون على العرب و يدعون أنهم غر بيون فتاهوا قديما ، وفى العصر الحديث حتى أقام لهم الغرب دولة اسرائيل

تخلصاً منهم ومن تطفلهم وسرطان تدخلهم ولكن هيهات أن يستقروا وان يخلصوا النية و يؤمنوا و يكون ذلك هو تجمعهم الرابع فى اسرائيل بعيداً عن مصر بل هو نبذ عالمى سياسى واستبعاد وتخلص من صداع دائم و بلاء مستحكم و بالسلام فى تلك المنطقة سينكمش هذا الكيان السطحى وسيذوب فى شعوب الشرق الأوسط بعد حين بالصبر والعمل المكين انها أى اسرائيل وطن قوم بدون تاريخ وناس بدون رابطة ومستقر سطحى لا جذور لهم فيه ولا أساس يجمعهم ولا خلفية له توحد من يقيم على أرضه إلا الدين رباط واهى لا إيمان به فى قلوبهم ، ظاهرى دون تعمق والله بالنسبة لهم تعبير عن القومية أكثر منه عالم شامل وكان انعزالهم وتجمعهم بالانطواء على أنفسهم وغربتهم عن أى مجتمع يعيشون فيه سببا لانعدام أى حضارة لهم .

كانت عزلتهم الدينية الأولى فى عهد ابراهام ثم عزلتهم الدينية الثانية فى عهد موسى وقد اختار لهم سيناء « لأنها أنسب مكان للرياضة الروحية » (٢٠ ــ ٥٧) كما يرى الأستاذ فؤاد حسنين وخاصة حيث مدينة قادش « المقدسة » المركز الدينى للعقيدة المعينية السائدة فى شمال الجزيرة (٢٠ ــ ٥٨) وفى طريق القوافل شرقاً إلى بابل وآشور وغربا إلى سيناء ومصر وكانت كما سنرى مركزاً لعبادة الثور قبل اليهودية وتحدثنا التوراة بأن بنى إسرائيل أقاموا هناك أربعين عاماً وتكاثروا بالزواج وانضمت إليهم قبائل أخرى وظلوا يتنقلون بين قادس وايلات وكانت الوسيلة التى تطور بها الوعى القومى هى نزول الوحى المستمر الذى يعرف الشعب الاسرائيلى بارادة الله وأوامره وكان الأنبيناء هم القنوات التى من خلالها يعرف الشعب طريقة وطبيعة وارادة الله أى الأقوال التى صدرت عن الأنبياء التى ابتدأها موسى واستمرت بعده حتى عصر التفرق اليهودى المتأخر، وكانت أقوال الأنبياء طوال هذا العصر واحدة وكان لفظ النبى عندهم مرادفاً للفظ متنبئ أو عراف وكان يوحى إليهم عن طريق الرؤيا فالنبى أو المتنبئ يأتيه الوحى تحت ظروف غير عادية من الوعى فى حالة التجلى أما بالغيبوبة كما يخبرنا فيلو الكاتب اليهودى عن موسى عليه السلام فيقول انه كان يتكلم فى هدوء فى ارشاده و بعد برهة تستولى عليه وتسيطر روح تملأه كانت متعودة أن تأتيه وتتردد عليه فإذا به ينطق و يتفوه بكلمات التنبؤات (٣٢) فكان اذن يتكلم بروح يهوا ثم الطريقة الأخرى كانت الرؤيا للأنبياء فلما أدرك موسى كما يقول فؤاد حسنين انه قد حان وقت الاستيطان طلب منهم غزو كنعان تحت شعار كنعان هى أرض الميعاد وهى التى لم يروها من قبل ورغم ذلك يدعون أنها وطنهم (٢٠ ــ ٥٨) و بوعد الله يتحقق استيطان اسرائيل لكنعان وكانت كما سيأتي أرضا لعبادة الثور « فالأرض عندهم ممزوجة بالعقيدة ولا تنفصل واحدة عن الأخرى » والوطن بلاد لم يروها ولم ينشأوا فيها ولم يتوارثوها أبناء وأحفاد ككل وطن آخر» هنا نجد أن شعباً يظهر أولا إلى الوجود ثم يتجه روحا إلى اقليم معين كوطن ثانيا ، « أى الفكرة القومية أولا ثم الوطنية ثانيا فانظر كيف كانت عنصرية تهم معترفا بها بين الجميع بخلاف التطور الاجتماعى فى حياة الشعوب فى العالم

والقوميات المختلفة » ولذا فالاقليم والطقس تلعبان دوراً ثانوياً جدا فى حياة الاسرائيليين الذين نجدهم يعيشون فى أى بلد وتحت كل سماء دون أن يفقدوا شخصيتهم أو يغيرونها فهم لا يفنون فى البلد الذى يعيشون فيه » (٢٠ — ٢٨) .

وهكذا تجمعوا الآن من كل بلد فى العالم فى اسرائيل وهم ليسوا منها ولا هى أرضهم ولكن خيل إليهم أنها أرض ميعاد وسيفنون فيها .

استغلوا السامية وظلموها ولعنصر يتهم كانوا وجه السامية القبيح وهم الآن فى إسرائيل أجناس شتا لا تجمعهم غير اليهودية دين الله للناس أجمعين ولكنهم ظلموها هى الأخرى لارتباطهم بها عنصريا وجعلوا منها دينا قوميا عنصرياً وحبسوها عليهم فانبثقت عنها المسيحية لتطل على العالم أجمع وأصبحت اليهودية بعنصر يتهم دين أقلية منبوذة منعزلة عن الناس والناس عنها منعزلون .




الأمثال المصرية واليهودية

إن وضع موسى كما ذكره وقرره فيلو أقرب ما يكون إلى الواقع والعقل وهذا هو كلام موسى لقومه المغلوبين على أمرهم بحكم أمثال أعدها وأخذها وتعلمها من مصر التى نهل من علمها وحكمتها وأمثالها وهى دليل على صحة تاريخه فى صدر حياته فى مصر حيث تعلم وتثقف فوعى حكمها وأمثالها القديمة فإن نطق بهذه الحكم التى وردت فى كتاب فيلو (ملاحظة ٢٥) فإنما يقول ما تعلمه وتأمله وتفهمه وحفظه من مصريين حكماء سبقوه وقد انتشرت أقوالهم فى المعابد وعلى ألسنة الكهنة من مدرسيه فى عصره وقبله بزمن بعيد وقبل ظهور كتاب الأمثال الذى ألفه سالومون بن داود فى العصور المتأخرة والذى نحى فيه مؤلفه نحو الحكماء المصريين وترجم جانباً كبيراً من حكمهم كما سترى والتى أتت عن ملوك وحكماء ، خاصة فى أسلوب توجيه هذه الحكم والأمثال إلى الأبناء حقيقيين أو وهميين .

و يقول الأستاذ مونتيه ان بتاح حوتب قد ألف كتابا من حكم الشيوخ ليتعلم منها الشبان فالحكمة الحسنة والمثل الطيب يعطى السعادة لمن يسمعها و يتعظ بها و يضار من يخالفها . (٣٣)

وقد تواضع الأخلاقيون مصريون ويهود على مبادئ أساسية وهى ان البشر لا يملكون أن يسيطروا على مصيرهم ثم يؤكدون على وحدة البشر فى الأصل ثم يحضون على احترام الفقراء . (ملحوظة ٣٣ ص ١١٥) والبر بالوالدين وتأديب الأولاد والنساء بالعصى وقد أخذ اليهود عن المصريين حكمهم القديمة قدم تاريخ مصر وقد كانت دستوراً معمولاً به بين رجال الدين من الكهنة والحكماء والوعاظ من الأخلاقيين وقد تلقنها موسى على يدى مدرسيه وفى المعبد فانظر قول بتاح حوتب الحكيم المصرى القديم من الأسرة السادسة « ليست ارادة الانسان هى النافذة ولكنها مشيئة الله » (ملاحظة ٢٩ ص ١١٥ بتاح حوتب أبيات ١١٥ ـــ ١١٦) ثم ما ورد فى فيلو على لسان موسى بهذا المعنى أيضاً عندما يهدىء من روع قومه لما أن لحق بهم مطاردوهم

قبيل عبورهم البحر إلى سيناء « ان طريقة الله فى الدفاع ليست كما يفعل البشر) ثم قوله « ان المستحيل بالنسبة للبشر عند الله ممكن وفى مقدوريده » « الله بقدرته يجد مخرجا حيث لامخرج » (٣٤) .

وكذلك كانت تحتوى حكم أمونيموبى على كثير من أمثال هذه الحكم وهو حكيم عاش حسب تأريخ جاردنر بين الأسرة ٢١ إلى العصر الصائي وقد كان فضل هذه الأمثال والفلسفة كبيراً فقد أخذ عنها اليهود فى كتاب الأمثال الذى ألفه سالومون وسار فيه على هدى أمثالها وتشقف بها اليهود وحكماؤهم فوجود اليهود بمصر كان له الفضل الأكبر فى تفقههم هذه الحكم والأخذ بها فقد تشابه كتاب الأمثال اليهودى تماما فى معظم ماجاء فيه مع أمثال وحكم اموتموبى المصرى حتى ظن الأستاذ در يوتون ان كتاب سالمون فى الأمثال اليهودية هو الأصل وأن اموتموبى ــ كما يقول ــ كان « يتكلم العبرية باللغة الهيروغليفية » .

أما الأستاذ مونتيه فيعارض ذلك الرأى و يدلل على أصالة الأمثال المصرية وأنها مصدر للأمثال اليهودية وان البيئة المصرية ظاهرة الأثر فى تلك الأمثال فانظر قول امونيموبى « ان الانسان خلق من طين وقش (والله) صانعه منها » (ملاحظة ٣٣) و يعلق الأستاذ مونتيه على ذلك بقوله اننا نرى فى هذا أرض وادى النيل حيث يعمل الطوب النيئ من الطمى والقش وهذا دليل قاطع على ان هذا عمل مصرى أصيل .

والحق ان بلوتارخوس المؤرخ اليونانى يذكر مايؤيد هذه الأصالة و يؤكد رأى الأستاذ مونتيه فى مصرية هذه الأمثال والحكم التى كانت سائدة فى كل العصور المصرية كما نرى وقد وعاها المصريون وحفظوها تعاليما دينية ونقشوها على جدران معابدهم وقد أفاد منها أيضا موسى عليه السلام فهى دستور الحياة الفاضلة عند المصريين القدماء فنحن لاننتظر الموعظة الحسنة والحكمة من كتبنا المقدسة فقط فقد وجدت هذه الحكم وسادت من قبل ولكن الله سبحانه وتعالى إذا أراد لها نشورا حض عليها وأيدها فى كتبه السماوية المختلفة بعد أن يدعمها بقوة الايمان وحساب الناس على اتباعها أو مخالفتها فى الآخرة ثوابا أو عقابا فيجعلها ذات فاعلية وأثر لم يكن لها من قبل وقانونا ملزما جزاؤه خيراً لمن اهتدى وهكذا كانت أدياننا السماوية شريعة وقانونا لحياتنا الدنيا الصالحة .

فبلوتارخوس يذكر لنا حكمة مصرية وجدت محفورة على جدران معبدأثينا فى سايس وقد ذكر بلوتارخوس هذه الحكمة برموزهاالهيروغليفية وحلل هذه الرموز وفسرها وقد كشفت لنا هذه الحكمة عن مقدار ماكان لهذه الحكم من تأثير واضح فى انتشارها من المعابد المصرية واليونانية الرومانية فيما بعد على طول تاريخ مصر وكانت تلك الحكم مفيدة أيضا للعظة والتأمل على جدران كل معابد العالم القديم فمثلها من حكم وأقوال سائرة معروفة لنا جميعا وجدت محفورة فى

معبد دلفى كجملة ــ اعرف نفسك ــ ومنها فى نفس المعبد حكمة ــ لا إفراط فى شىء ــ متناقلة بين الأجيال ومقدار ما تأثر بها اليهود خاصة إذ انها كانت حجر الأساس فى فلسفة موسى الدينية فى تأملاته قبل الوحى مدة طويلة ، فالمؤرخون يقولون بأن الوحى نزل على موسى فى الثمانين من عمره وكان عمره هذا حجة قوية تؤيد وجود موسى تحت حكم رمسيس الثانى الذى مات فى التسعين من عمره واستمر كذلك فى عهد ابنه منفتاح أيضاً من بعده كما سنرى (ملاحظة ٢٩ مونتيه ص ١١١) فموسى طوال وجوده بمصر كان تفكيره وكلامه مصريا ، كما تعلم بها فلم تكن له لغة أو علم إلا بما تعلمه كالمصريين ولم يكن لقومه حضارة ولا دين ولا صناعة إلا ما أخذوه عن المصريين أيضاً ، وكان موسى يحاول حتى بعد رسالته أن يتكلم باللغة التى يفهمها المصريون كما ذكرنا عن الأستاذ در يوتون قوله لفرعون (إله العبرانيين) يقصد «يهوا» وهو مصرى أيضا فما نطق به من حكمة مصرية عند مواساته لمن كان يعانى من قومه عذاب وعناء وظلم السخرة فى الأعمال العامة مشجعا اياهم بمنيهم بقرب الخلاص وتغيير الحال كما يتغير كل شئ و ينقلب إلى ضده حتى النفس الانسانية أكثر تغيرا من كل مظاهر الطبيعة الأخرى فلا دوام لعذاب ولا ضعف بل سيأتى من الشر خير ومن الضعف قوة ومن العذاب خلاص ورحمة ان كل ذلك من حكمة مصر فما كان لليهود حضارة ولا أدب إلا حضارة مصر ولا حكمة إلا حكمة مصر ولا دين دانوا به قبل اليهودية إلا دين مصر نقلوه معهم وارتدوا إليه بعد أن دانوا باليهودية ثم توهموا أن كل هذه الخلفية التى نشأوا عليها كانت لهم وهل كان موسى إلا مصريا تربى فى مصر وعلى أرضها وتثقف وتعلم بحكمها وعلومها وعمل كاهناً فى إقليم مصرى وقارن ووازن فى تأملاته وخلواته أخلاقيات المصريين فأخذ منها مافتح الله عليه بهديه ونبذ ما وجده مخالفاً لفكره وتصوره مما ورد فى أمثال اليهود عند سالومون بعد ذلك فى القرن الثانى والأول ق . م .

والحق أن المقارنة بين أمثال أمونيموبى وأمثال سالمومون ليست مقارنة بالمعنى الصحيح فالواقع أنها أمثال مصرية واحدة تشكلت بالبيئة المصرية التى ظهرت فيها وعرفها اليهود فى مصر فى الديانة المصرية التى كانوا يعتنقونها هم أنفسهم قبل ظهور اليهودية وفى التقاليد والأخلاقيات المصرية حتى ليقول الاستامونتيه بحق ان طابع أمثال امونيموبى فى حكمه طابع مصرى خالص لا تشوبه شائبة وان أمثال سالومون فى أسسها أمثال مصرية وحسب قواعد الحكم المصرية التى وضعها الأخلاقيون المصريون القدماء وأن الناشرين لهذه النصوص المصرية واليهودية قد ركزوا على التشابه التام بين هذه الأقوال خاصة فى القسم الثالث من كتاب أمثال سالومون حتى «ليتصور المرء أحياناً ان أحد النصين ترجمة للآخر» (ملاحظة ٣٣ ص ١١٤) .

ان هذا يعنى ان الأصل مصرى فعراقة مصر وحكمة ديانتها القديمة منذ فجر التاريخ وتجربتها وفلسفتها كانت منهلا لغيرها من الأمم واستمد منها اليهود حكمتهم بل وأخذوا من مصر كل شئ لحياتهم الروحية والدنيوية ثم هربوا منها بدينهم الجديد ثم عادوا إليها فيما بعد فى تجمعهم الثالث

الديني حرصا على دينهم الذى خافوا عليه من المصريين فى هجرتهم الأولى ورجعوا إليها تحت قيادة أونياس الرابع الرابع حرصاً على يهوديتهم وحماية لها فى مصر من الوثنية اليونانية فى المقدس الفلسطيني وقد كانت أمثال مصر قانونا للحياة العامة وهاديا لروحانيات المصريين متجددة فى كل عصر فى عقول العلماء والأخلاقيين فى كل وقت وكل حقبة من التاريخ يتكلمون بها و يفكرون و يتأملون مغازيها فانظر حكمة بتاح حوتيب من الأسرة السادسة « انها ليست خطة البشر ومشيئتهم هى النافذة ولكنها ارادة الله ومشيئته هى التى تنفذ » وكيف كان تسلسل هذه الحكمة فى العصور المتأخرة فى قول امونيموبى (الأسرة ٢١) « ان مايقوله الانسان شئ ومايريده الله شئ آخر » (ملاحظة ٣٣ ص ١١٥) وهكذا تظل الحكمة المصرية خلفية للاخلاقيات والروحانيات حتى العصور المتأخرة جداً وكانت نافذة المفعول ذات تأثير بين فى كتاب سالومون للأمثال وكما يحدد الأستاذ بترى Petrie أيضا تاريخه بين القرن الثانى والأول قبل الميلاد ثم يقول « انه من الواضح ان هذا الكتاب للأمثال والحكم كان أساساً معروفاً لأفكار القديس بولوس الدينية وان الحكمة كانت باليونانية ومن عرفها (أى اللغة اليونانية) يمكنه الافادة منه » ثم يقول « وكم كان تطور الأفكار والتعابير الدينية كبيراً قبل أن تتبناها المسيحية كامتداد لأسلوب الفكر الورع وكشكل طبيعى للتعبير عن أسلوب للتبشير بعقائد دينية تأتى بعد ذلك . و يعتبر بترى ان حوالى عام ٢٠٠ ق . م . كان ابتداء وجود أو قيام عصر آداب الحكمة الذى أتى بعد عصر الكتب الهيرمية أى عصر العلوم .

كل تلك الحكم مصرية صميمة نبتت فى بيئة مصرية وظهرت فى خلفيتها وكلماتها حقيقة مصريتها وما كان يجأر به الأخلاقيون من الحكماء والكهنة والملوك عندما يجأر الناس بالشكوى وطلب الاصلاح كما فعل المصلحون والأخلاقيون فيما بعد فى العصر الرومانى فنادوا بإصلاح الحمام العام وتخليصه من شوائب خلقية مشينة وفجور مكشوف مع أن تلك الحمامات قامت أولاً على أساس التطهر الدينى ثم ساءت الأخلاق وعم الفساد فى العهد الامبراطورى وكان من مظاهر هذا الفساد ودلائله الواضحة ما كان يحدث فى الحمامات العامة من صور لا تمت للفضيلة بسبب فنادى الأخلاقيون بالاصلاح وشكوا محاولين ايقاف هذه الرذائل فلم يسمع لهم أحد ولا استقامت الأخلاق إلى أن ظهرت المسيحية وهددت بالوعد والوعيد والردع بالعقاب فى الآخرة فكان هذا الدين ردعاً للآثمين ومصلحاً للاعوجاج ولكن إلى حين ارتد بعده الناس إلى سوئهم حتى فى الإسلام .

وهكذا يذكر بلوتارخوس (٣٦) تلك الحكمة التى نقشت بالهيروغليفية فى معبد أثينا بمدينة سايس على جدران البيلون ونصها أولا (طفل) ثم رحل عجوز ثم بعده (صقر) ثم يليه (سمكة) ثم بعد كل ذلك (فرس البحر) و يفسر المؤرخ معنى هذه الرموز فيقول أنها تعنى « أيها الناس كبارا ومحدثين « ان الله يكره الفسوق » ففى النص « الطفل رمز الولادة » « والعجوز رمز لمفارقة

الحيـاة » « الـصقـر يرمز للاله » (و بالسمكة يرمز إلى الكراهية وذلك بسبب البحر» ثم بفرس البـحر يـرمز إلى الفسوق أو عـدم الحيـاء ــ إذ يقولون ان فرس البحر يقتل أباه ويجبر أمه على معاشرته » . (٣٦)

وأما عن البحر وكره المصريين له فيقول بلوتارخوس « ان الاله أوزريس عند المصريين هو النيل يتزوج ازيس الأرض وان البحر عندهم اله الشر (ست) ، ففيه يصب النيل ماءه و يبدده و يضيـع سدى » ومن أجل هـذا « لا يتعاطف الكهنة مع البحر دينيا و يسمون الملح ـــ زيد الشيطان ـــ » بل وحرموا وجوده على موائد طعامهم « فكان احدى الممنوعات عندهم ان يضعوا الملح على مائدة الطعام » وليس ذلك فحسب بل انظر إلى أى حد تمسكوا بخصامهم للبحر حتى انهم كانوا « لا يتكلمون مع البحارة لأنهم يستعملون البحر و يكسبون عيشهم منه » (ملاحظة ٣٢) .

فالبحر عندهم صورة من صور ست إله الشر الذى كان معبود الساميين فى هذه المنطقة التى يعيشون فيها شرق مصر وقد كان ملك الهكسوس يكن له من التقديس قدرا عظيما وكان حلمه ان يفرض عبادته على مصر جمعاء (ملاحظة ٢٩ ص ١٠١ ـــ ١٠٤) وهذا الاله هو أب اليهود الذى نسبهم المصريون إليه فبعد معايشتهم لليهود قرونا طويلة تبين للمصريين ان صفات اليهود من صفات ست إله الشر الذى أسماه اليونانيين تيفونا فكانت خلقهم تطابق خلقه فدخلت التقاليد اليهودية فى الخرافات الدينية المصرية وتمت نسبة اليهود لست . وكان ذلك بمثابة أول اعلان من جانبهم ضد العنصرية .

فإذا ما أمعنا النظر فى تلك الحكمة التى أوردها بلوتارخوس (ملاحظة ٣٢) وجدناها مصرية خالصة مائة فى المائة فبلغتها الهيروغليفية ورموزها المصرية التى ساروا عليها فى تقاليدهم الدينية وكيف كانوا ينظرون إلى البحر البعيد عنهم والذى يمتص قدرا كبيرا من ماء نيلهم العزيزة عليهم فيذهب كل عام هباء لاتستفيد منه أرضهم قاطعوه مقاطعة دينية كممثل لست إله الشر الذى قتل أوزيريس أى هذا النيل الذى يسلبهم البحر ماءه كل عام فيقل رصيد ازيس من مصدر خصوبتها ثم هم يقاطعون أيضا ماينتج عن البحر من سمك وملح و ينظرون إلى كل ذلك نظرة كره وعدم رضاء لاتهامهم كفلاحين البحر بأنه يضيع عليهم جانبا من ماء نيلهم النافع لهم . « فيما عدا الجزء الذى تأخذه الأرض وتمتصه فيخصبها » (تلاحظ ٣٢) .

عز عليهم هذا فخاصموا البحر وكرهوه وجعلوه فى عقيدتهم شرا ينتمى إلى إله الشر كاليهود وحتى من يعمل فيه من بحارة ومايأتى منه من سمك وملح وجعلوا من سمكه علامة وتعبيراً عن الكره وحظر الكهنة وضع الملح على موائد أكلهم وأسموه « زيد ست » فانظر كيف كان أسلافنا يفكرون فى شر البحر واعتدائه الآثم فيحرمهم بابتلاعه جانباً من ماء نيلهم ونحن

الأصليين على هذه الأرض تحفزنا نفس فكرتهم القديمة فنبنى السد العالى ضنا منا بماء النيل على البحر وما هذا إلا استمرار للصراع بين النيل (أوز ير يس) والفلاحين ضد الصحراء والبحر (ست) المفسد منذ الأزل .

هؤلاء هم الفلاحون فانظر قوماً آخر كاليونانيين من بيئة غير بيئة مصر ومايعتقدونه فى البحر والملح ففيما رواه الأستاذ ديوجين لايرتيوس(٣٧) من تعاليم الفيلسوف بيثاجوراس (فيثاغورث) (٥٨٢ ــ ٥٠٠ ق) عن الملح « يجب أن يوضع الملح على مائدة الطعام حتى نتذكر ما هو صواب » « فالملح عندهم يحفظ كل شيء يجده » أو كل شيء معه .

فانظر كيف اختلفت النظرة بين قومين من بيئتين مختلفين فلاحون يضنون بماء النيل حياة أرضهم واصل خصوبتها على البحر الذى يأخذ منها جانباً فيكرهون البحر وماينتج عنه حتى من له صلة به ثم ناس يعيشون بالبحر وعلى البحر فيصفونه بالطهر كالشمس وهما عنصرا وجود الملح المصلح وحافظ كل شئ معه .

لا شك اذن ان هذه الحكمة مصرية أصيلة كسابقاتها فإذا ظهر فى القرن الأول أو الثانى ق . م كتاب الأمثال لسالومون ابن داود فإنما قامت أمثاله أساسا على الحكمة المصرية وان أضيف عليها جديدا فذلك أساسه مصرى قديم صيغ باليونانية بعد ان تطور فى مسيرة التطور الفلسفى الدينى بعد اليهودية وأثرها وتغير البيئة وقد كانت هذه الأمثال كما سبق ان ذكرنا كقول الأستاذ بترى أساساً لأفكار القديس بولس (ملاحظة ٣١ ص ١٢٢) وحده لأنها أى هذه الحكم كانت قد كتبت باليونانية . وعلى كل حال إذا كانت المسيحية قد امتدت على الدرب الجديد بعد اليهودية كفرقة يهودية فى الأصل كانت تدرس فى المعبد وكان ذلك طريقا حتميا للوصول فى طورها الجديد إلى العالم بعد تجمد اليهودية (ملاحظة ٣٥ ص ١٣٠ ملاحظة) فكما يقول بترى (ص ١١٢ ملاحظة)(٣٥) ان تيار الفكر والتغيير كان هو أساس ابتداء وفهم طبيعة ومعنى استئناف أية حركة دينية جديدة كذلك قامت اليهودية ، فاليهود فى محاولتهم عدم تقليد المصريين الذين اضطهدوهم إلا أن ذكريات مصر فى نفوسهم لم يمكنهم اخفاءها أو تناسيها فرغم كل شئ ظلت هذه الذكريات باقية لديهم كما سنرى فيما بعد وحتى لما ان أرادوا قطع علاقاتهم مع مصر لم يكن ممكننا كما يقول مونتيه (ملاحظة ٣٣ ص ١٣١) ان يغمضوا أعينهم عن حياة التدين والورع المصرى أى الوجه الروحى لمصر والفضائل المصرية فكانت الوصايا دليل على تراجعهم عن مقاطعة مصر أو كما يقول الأستاذ مونتيه فإن الوصايا كانت اعترافا سلبيا وقد قبلتها التوراة معترفة بأن موسى تعلم حكمة المصريين (٣٣/١٣١) وفى كتاب الدكتور فؤاد حسين (٢٠/٦٧/٦٨) تحليلاً قيماً لذلك .

وقد أبرزت اليهودية التوحيد بأن أبطلت التجسيد أو صور للأله مما طمس معالم الوحدنية فى الديانة المصرية القديمة فاختيار موسى عبادة الله بدون صورة بدلاً من عبادة إله أكبر وعدد كبير من الآله المساعدة التى تمثل الاله الأكبر بقدراته المتعددة المتداخلة أى الهينوثيزم (henotheisme) المهيمن على الكون جميعه فقد جعل موسى عبادة هذا الاله الواحد بدون أية صورة فلا تجسيد مصرى ولا تجسيد يونانى فكان ذلك منه اختياراً لله الأحد بأسمائه الحسنى التى تبين لنا قدرته الهائلة وان بيده كل الأمر والمصير وكان ذلك رمزاً ظاهر المعنى للوحدانية و واضح الدلالة لايشوبه غموض أو التباس وكان ذلك العمل الدينى الجليل يقوم على أساس دينى مصرى فالوحدانية كانت قائمة فى مصر الوثنية وفى اليونان أيضا ولكنها غامضة الوجود بسبب التجسيد المرئى للإله ذلك التجسيد الذى منع الرؤ يا الصحيحة والادراك العقلى الصافى لها مما كان شاغل موسى لتجنبه تجنباً تاماً ففى مصر واليونان بعدها كانت الشمس هى الاله المهيمن وأبوالآلهة جميعا تحت اسم رع ثم آمون بمصر ثم باسم ز يوس عند اليونان فانظر إلى ز يوس الذى كان أبا لجميع الآلهة اليونانية التى تمثل جميعها قوى وقدرات من قدرته وقوته الشاملة وكذلك آمون فى مصر وإذا أمعنا النظر أكثر وجدنا أن الآلهة فى التمثيل اليونانى تشابه فى خير أعمالها قدماء المصر يين فكانت آلهة الخير جميعها متحدة فى صفاتها مع إله الشمس بن الخير فالماء وقوة الانتاج والخلق وانبسات الأرض كل ذلك متجسد فى أوزر يس وهو قوة من قوى إله الشمس ثم نجد تجسيد أوزر يس بالثور واز يس بالبقرة ناشئ من أن هذه الأنعام انما ترمز إلى الخلق والحياة الدائمة التجدد المرتبطة بالدورة الشمسية والغذاء مصدر الحياة فهذه رموز لا تدل إلا على تصور ر يفى للخلق و يذكر بلوتارخوس حيوانات أخرى يرى فيها الانسان صورة أخرى غير نفسه يتبين فيها قدرة الله وخصائصه فقدسها المصر يون لما تجلى لهم فيها من سر الخالق فالتمساح مثلاً قدسه الناس فى مدينة التمساح أى الفيوم الحالية كما يقول و يشهد بلوتارخوس وسترابون وغيرهما من المؤرخين اليونان و يشهد بلوتارخوس ان هذا التقديس لا يخلو من سبب معقول وذلك لأنه الوحيد بين الحيوانات الشبيهة بالاله « اذ ليس له لسان » وان « كلمات الله لا تحتاج إلى كلام » ثم انه الوحيد الذى يعيش فى الماء وله غشاء شفاف ممتد من جبهته يغطى عينيه « فيرى ولا يرى » (٣٨) « وهذه ميزة يختص بها الاله الأول أى الأعظم ، و بذلك يعترف بلوتارخوس أن المصر يين يعترفون بوجود إله أعظم عن طر يق تبنيهم ميزة التمساح فى أن يرى ولا يرى و يسمع ولا يسمع وهذا ماينفرد به الاله الأعظم كما يسميه المصر يون بالخفى أى آمون الذى لا يرونه وهو ملء السماوات والأرض كما سنرى فى ذكر بلوتارخوس فالتمساح إذن ليس إلا رمزاً يرون فيه صفات الخالق وقدرته وهذا دليل على وجود إله عظيم يجمع فى وحدانيته الجميع الذين لهم بعض صفاته وخصائصه يرونها ممثلة ملموسة فيعبدون هذا الاله الأعظم فى رموزه .

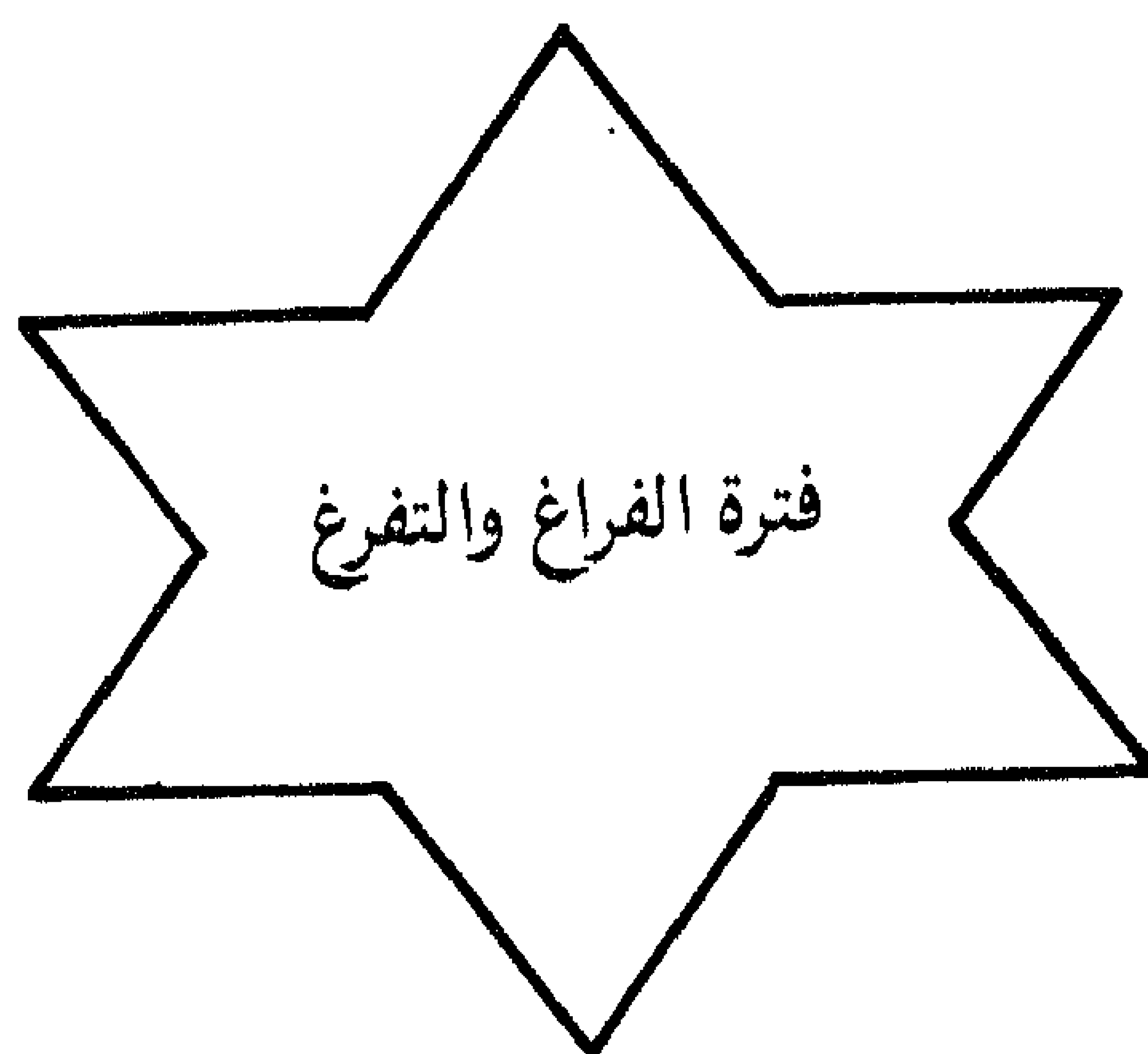
أما أنثى التمساح ففى أى مكان تضع بيضها يعرف جيداً مسبقاً ان هذه الأرض هى حد

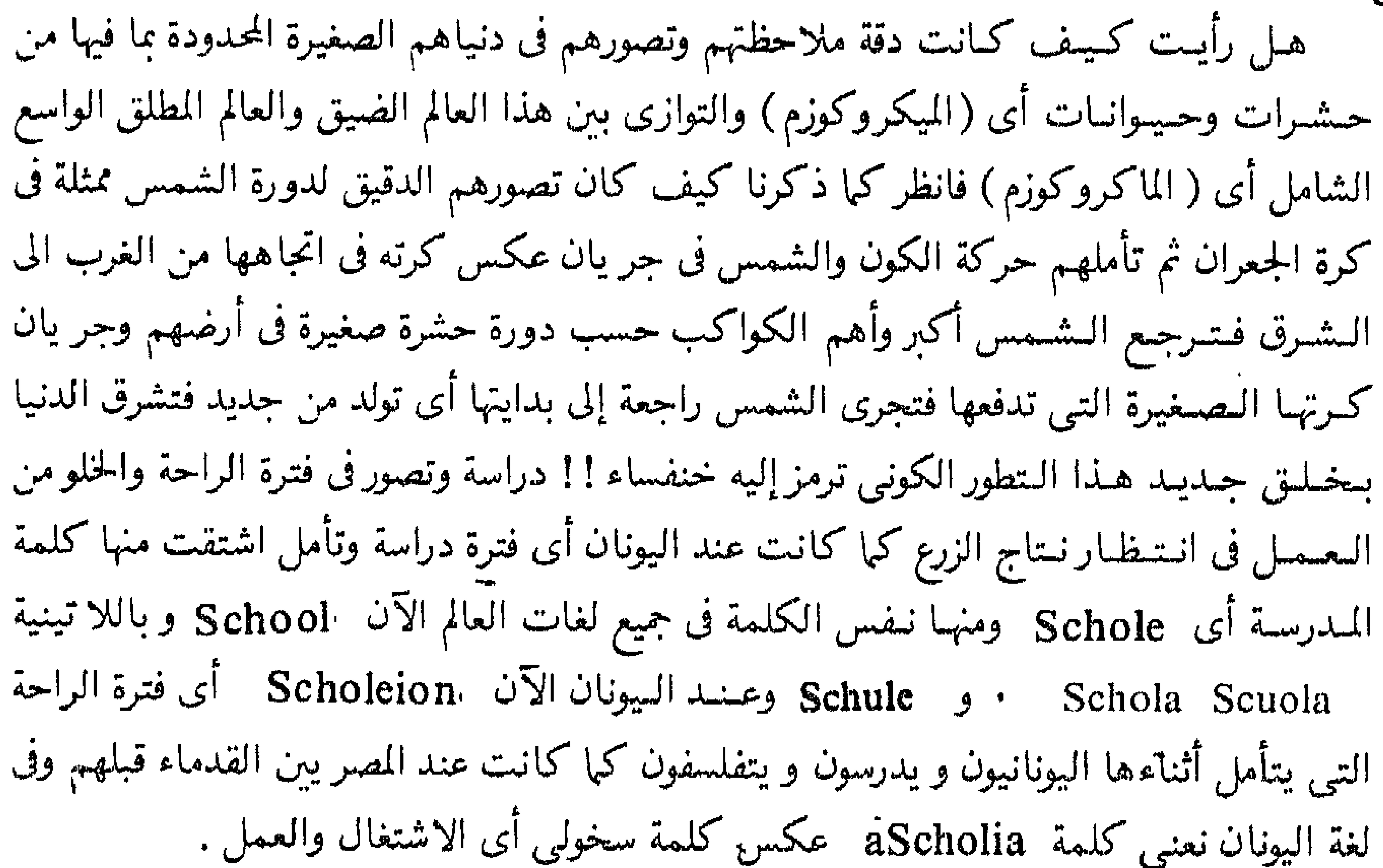
ارتفاع النيل فى أقصى ارتفاعه وامتداد فيضانه فى تلك السنة فهى لاتستطيع وضع بيضها فى الماء ثم هى تخشى ان تضعه بعيداً عن الماء أيضا (وهذا إدراك دقيق للمستقبل) وفى ذلك يقول بلينى فى تاريخه الطبيعى (٣٩) ان أنثى التمساح تضع دائماً بيضها خارج الخط الذى يرتفع إليه أقصى فيضان فى تلك السنة وذلك عن طريق « غريزة التنبؤ» فغريزتها هذه التى تكشف لها المستقبل وتضع بيضها فى مكان خارج الخط الذى يرتفع إليه فيضان النيل فى تلك السنة التى تضع فيها بيضها لاتكون إلا رمزاً للاله الذى يعلم وحده المستقبل .

ثم يأتى إلينا بلوتارخوس بمثل آخر فيه كثير من مميزات قدرها الفلاحون المصريون فى تفكيرهم وتأملهم فى الألوهية وتصورهم لها فحشرة الخنفساء أو الجعلان (الجعران) أو الكانثاروس أولاً هى حشرة لا أنثى لها بل الكل ذكور (٤٠) وهذا شئ يعنى أنها لاتلد وعندهم انه يخلق نفسه بنفسه ثم هو يحمل بيضه فى كرة صغيرة يصنعها هو ثم انظر كيف كان تصورهم لحركة الشمس التى تأتى من الشرق فإذا البعث أو الحياة يدب فى الانسان والحيوان والنبات وكل المخلوقات هكذا رأوا فى الجعران أو الخنفساء الذى يضع نتاجه فى كرة يصنعها من الطين كما ذكرنا ثم يدفع هذه الكرة فى اتجاه مضاد لسيره « كما لو أن الشمس أدارت السماء عكس اتجاهها عندما تجرى هى من الغرب إلى الشرق » (٤٠ فقرة ٧٤) أى ان الجعران يدفع المادة الكروية التى فيها نتاجه فتدور عكس دوران الشمس وهذا هو الرجوع إلى الشرق أى البداية والولادة والتجدد و الخلق .

وهكذا يعدد بلوتارخوس الحيوانات التى قدست فى مصر وكان لكل مديرية وبلدة حيوان مقدس خاص بها ثم يذكر أسباب هذا التقديس وماوجده فيها المصريون من صفات تدخل على قدرة الإله الأعظم حتى لو كان هذا التشابه غامضا فقد أبدع بلوتارخوس فى تمثيلة تشابه تلك القوى الالهية الغامض فى هذه الحيوانات فصوره « بصورة الشمس فى قطرات المطر» (٤١) كما سترى فيما بعد بخصوص الحيوانات الأخرى المقدسة فى كل مديرية مثل ايبيس والكلب . وغيرها .

هكذا كان تصورهم فى تقييم الحيوانات المقدسة بمشابهتها للاله لما فيها من أسرار وصفات اعتبروها من صفات الاله الأعظم فهى أكبر مما عندهم من مميزات تتفوق عليها صفات الحيوانات التى قدسوها وتكبر قواهم ثم قدرات وذكاء غريزى يعلو على قدرتهم وذكائهم وماعليه الحيوانات من خصب جنسى لايرون عندهم لقوته مثيلاً ثم فائدة فى الحيوان لهم يقدرون كفلاحين أنها ترمز إلى سر الهى ورحمة لقوى أعظم من طاقتهم فكان هذا مدعاة للاتعاظ وفهم أوضح فى تأمل هذه الأشياء عند الفلاسفة من الكهنة العلماء ولكن من جهة أخرى قد أوقع هذا التقدير ناسا كثيرين فى حمأة الخرافات فضلوا الفكر والتصور فعبدوا الحيوان نفسه بدلاً من عبادة الإله فى الحيوان كما قال بلوتارخوس فيما سنرى .


فترة الفراغ والتفرغ



هل رأيت كيف كانت دقة ملاحظتهم وتصورهم فى دنياهم الصغيرة المحدودة بما فيها من حشرات وحيوانات أى (الميكروكوزم) والتوازى بين هذا العالم الضيق والعالم المطلق الواسع الشامل أى (الماكروكوزم) فانظر كما ذكرنا كيف كان تصورهم الدقيق لدورة الشمس ممثلة فى كرة الجعران ثم تأملهم حركة الكون والشمس فى جريان عكس كرته فى اتجاهها من الغرب الى الشرق فترجع الشمس أكبر وأهم الكواكب حسب دورة حشرة صغيرة فى أرضهم وجريان كرتها الصغيرة التى تدفعها فتجرى الشمس راجعة إلى بدايتها أى تولد من جديد فتشرق الدنيا بخلق جديد هذا التطور الكونى ترمز إليه خنفساء !! دراسة وتصور فى فترة الراحة والخلو من العمل فى انتظار نتاج الزرع كما كانت عند اليونان أى فترة دراسة وتأمل اشتقت منها كلمة المدرسة أى Schole ومنها نفس الكلمة فى جميع لغات العالم الآن School، و باللاتينية Schola Scuola ، و Schule وعند اليونان الآن Scholeion، أى فترة الراحة التى يتأمل أثناءها اليونانيون و يدرسون و يتفلسفون كما كانت عند المصريين القدماء قبلهم وفى لغة اليونان نعنى كلمة aScholia عكس كلمة سخولى أى الاشتغال والعمل .

فكانت فترات الفراغ هذه فرصة أتاحتها الطبيعة بالنسبة لمصر أولاً إذ كان الناس جميعا يبذرون الأرض بالحب بعد الفيضان وانحسار الماء و يرجون الثمار من الرب و يطلبون الرغد والوفرة والبركة فيه لحياتهم فكان اتجاههم أمل فى الله و وجهوا عقولهم وقلوبهم إلى السماء القدسى وكانت فلسفتهم دينية يتأملون خلق الله فى كل شئ فى الأرض وما حوت من نبات يتمثلون فيه الحياة والبعث وحيوانات وحشرات نافعة تساعد الأرض على سلامة نباتها واخصابها فتزيد من انتاجها وهكذا نشأت عن تفرغهم وتمعنهم وتأملهم وفلسفتهم أعرق الديانات منذ ماقبل التاريخ وقامت على تلك الفلسفة الدينية أرقى الحضارات منذ بدء الحياة وفى اليونان كانت فترة

الفراغ للتفرغ أيضا فرصة خلالها انبعث من العقل الانسانى أرقى وأسمى وأروع فلسفة وشعر وأدب وديموقراطية وحضارة روحية خالدة بمدارسها التى كان أبرزها قيام التياترو (المسرح) والاوديون والجمناز يون (أى ثالوث النور) (أنظر ملاحظة ١٣) ومنهل ومبعث الثقافة عقلانية وروحية وحضارية وتخرج فيها أساتذة العالم ورواد الفكر الانسانى وقامت بها وعنها منائر الحضارة الشامخة وقصور الثقافة العالية بمدارسها التياترو والجمناز يون وجامعاتها الأوديون لكل العالم القديم وأصبحت أصلاً وأساساً لحضارة العالم الحديث تلك المدائن الخالدة أثينا والاسكندرية وروما .

وهكذا كانت هذه الفترة سبباً فى خلق خلفية دينية للديانات السماوية فيما بعد .

فالمصريون فى فترة فراغهم هذه بعد ان يبذروا الحب ينتظرون الثمار من الرب يتفرغون للتأمل فى كل ماحولهم من شئ فى السماء وفى الأرض وماء ونبات وحشرات وحيوان بما لها من نفع وضرر وماتمثل من معان معنوية أو رمزية و يتفلسفون و يرصدون حركات الشمس وتوقيتها وربط تلك الحركات بفصول الزراعة ثم يفكرون فى كل ماترمز إليه هذه الظواهر وتلك المخلوقات .

فانظر مثلاً ظاهر الدلالة على كل هذه التأملات أفلم يجسدوا الحكم المطلق فجعلوا رمزاً له إله الشمس المهيمن أى الكوزموقراطى واقفاً على عربة يجرها جياد أربعة تمثل العناصر الأربعة المكونة للكون وهى أشهر الإضداد ومن هيمن عليها جعلها تتسق مع بعضها البعض فيسود العالم الأمان والاعتدال والتوازن والهارمونية الكونية . ومن هنا نشأت نظرية حكم الفرد الصالح .

وهكذا يتضح لنا أيضا مقدار أثر تأملهم فى هذه الفترة من الفراغ وملاحظتهم للحيوانات على أرضهم فقدسوها أولاً وقبل كل شئ لنفعها الذى جاء فى القرآن « والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون .... » النحل/ ٤ ثم « نسقيكم مما فى بطونها ولكم فيها منافع كثيرة » المؤمنون/ ٢٠ . صدق الله العظيم .

وفعلاً كان الأولون من المصريين يقدسون هذه الحيوانات « لنفعها ثم لرمزيتها » وكلا الصفتين « موجود فى كثير منها » (ملاحظة ٣٧/ ٧٤) ثم أيضا لما فيها من مميزات تدل على قدرة الخالق وتبينوا ذلك منها من غرائز تدل على حول وعظمة الاله الواحد كما يتمثلونه فى أذهانهم **كما يخبرنا بلوتارخوس وخلاصة تفكيره فى هذا الشأن « أننا يجب آلا نكرم هذه الحيوانات لذاتها » بل نعبد الله من خلالها فهى مرآة صافية أوجدتها الطبيعة (٤٢) . ترى فيها قدرة الله وذلك « لأن هذه الحيوانات يجب أن تعتبر بوضوح « أداة أو فن الإله الذى ينظم كل شيء » (٤٢) .**

وهكذا كانت الرمزية فى الحيوانات حسب تفكيرهم وتأملاتهم تعبيراً عما يريدون الافصاح عنه من أفكارهم وكان تعبيراً صادقا يستند على أساس من فهم وتقدير عقائدي سليم مما يوضح ان الحكمة التى قدمها لنا بلوتارخوس مصرية أصيلة . وهى فى نفس الوقت سندا لما ذهب إليه الأستاذ مونتيه من أن حكمة أمونبموبى المصرية الخالصة كانت أساسا ارتكز عليه سالومون فى كتابه الأمثال وقد قامت الحكمة فى مصر على أساس دينى فالزيغ وعدم طاعة الاله هى سبب الكوارث والويلات الدنيوية وكذلك الأمر عند اليهود ولذا فالوصايا والنصائح منصبة على طاعة الآلهة والاستقامة وحب الخير وعمله ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً وكان ذلك فى مصر وفيما بعد عند اليهود واضحاً فاستمدوا أمثالهم ووصاياهم من هذه الحكم الأخلاقية وكان العصيان للآلهة وعدم القيام بالطقوس والمراسم وعدم موالاة المعابد بالاضاحى والعناية بها وتعميرها أثر فى تهديد الحاكم بالعقاب الشامل والبلاء بانخفاض النيل وما يترب عليه من مجاعة فى كل البلاد ثم بالغزو الأجنبى والأمراض وطغيان الصحراء والرمال على الأرض التى يخصبها ماء النيل إلى كل هذه الأشياء التى كان يخاف المصرى عواقبها و يضحى من أجل أن يردها الاله عنه و يتمنى على الآلهة ان تقيه شرها وعواقبها وكان ذلك يخيف الانسان المصرى وكان تذكيره بها له أثر فعال فى استقامته وعمله الصالح وهذه الطاعة من جهة أخرى تتمثل فى قراءة الكتب الدينية والاحتفاظ بكلام رجال الدين من الحكماء والاسلاف الصالحين فتسير الناس فى الطريق المستقيم وتسلك سبيل الخير والآلهة (ملاحظة ٢٩/١٠٨) وكان ذلك تحصناً منهم ضد ما قد يصيبهم من كوارث ورزايا وفى العصور المتأخرة نجد هذه الوصايا والحكم المصرية مأخوذة أو مستنبطة تماما فى حكم سالومون حتى فى الشكل ومخاطبتها الأبناء إذ كان يتوجه الحكيم بأمثاله إلى ابنه سواء كان حقيقيا أو متوهما ففى ذلك روح انسانية دينية يقصد بها الرحمة الأبوية والخير الصادق بمن توجه له كالعادة المصرية تماما والقصد من احترام الآباء والمسنين والأخذ بنصائحهم . والأهم من ذلك وحدة موضوعات هذه الوصايا فى كل من الأمثال المصرية واليهودية نتيجة حياة العبرانيين قبل ان يكونوا يهودا مع المصريين ومشاركتهم تقاليد المجتمع المصرى ودياناته وأحواله وحياته الدنيوية والروحانية معا رغم الفارق الاجتماعى بين الحضر والبداوة فانظر وصايا المصريين بالبر بالوالدين واحترامها والرحمة بالأم خاصة كما يذكر الأستاذ ايرمان Erman (٤٣) إذ يقول « قدم لها الخير بكثرة كما قدمته إليك فقد كنت عبئاً ثقيلاً عليها بعد ان ولدتك بعد الشهور الطويلة حاملة اياك على رقبتها ثم ثلاث سنوات وهى ترضعك ثم أرسلتك إلى المدرسة ثم كل يوم تعد لك العيش والجعة فى المنزل » . فواجب رعاية الأم المصرية من أبنائها أمر أوصوا به ونصحوا بالقيام به ومراعاته . وقد أوصى آنى Ani (الدولة الوسطى) باحترام الوالدين بينما امونيموبى كما يقول مونتيه لم يجد ضرورة الى ذلك إذ أنه كان يخاطب ابنه و يوجه إليه حكمه وأمثاله (ص ١١٨) وفى أمثال سالمون يجمع الاثنين معاً و يقول اسمع كلام أبيك سبب وجودك ولا تهمل أمك إذا كبرت (أمثال ٢٣/٢٢ مونييه ملاحظة ٣٣ ، ١١٨) .

ثم انظر وصايا الأمانة فى التجارة والتعامل الشريف الأمين بين الناس وكله وارد فى الحكم المصرية وخاصة موضوع الكيل والميزان فانظر كيف ان الميت يعترف (مونتيه ملاحظة ٣٣ ، ١٢٢) مرتين الأولى بأنه لم يخسر الميزان والثانية بأنه لم ينقص الكيل ثم ان من يتولى الضرائب العينية على الأرض ومحصولاتها كان يقوم بقياس الجزر والأراضى ويحدد مساحتها تحديدا دقيقا بعد انحسار فيضان النيل عنها وقد كانت الفيضانات الغامرة تغير حدود هذه الحقول باستمرار وهكذا كانت نشأة علم الهندسة فى مصر وإليك هذه الوصايا وما اقتبسه سالومون فى أمثاله منها : فيقول امونيمو بى (١٨ ، ٢٢ ثم ٢٤ ص ٣٣ / ١٢٢) « ان القرد (رمز الاله توت) كان دائما ممثلا قرب الميزان وجسمه هو عمود أو قائم الميزان فأى إله مثل توت الاله الأكبر الذى أوجد هذه الأشياء لتطبيقها الصحيح فلا تستغلها فى أعمالك فتخسر الميزان » .

وقد أثبتت الآثار أن الميزان يمثل دائما والقرد يعلو قائمته وأحيانا تعلوه ريشة أى علامة (معت) أى الحقيقة أو الحق . ثم ان الجزء الثامن عشر من أمثال الحكيم امونيمو بى خاص ، كله تقريباً بمكاييل الحبوب فانظر فى هذه الوصية :

« حذار أن تغش الوادج (مكيال للحبوب) أو أن تغش فى أجزائها فلا تكيل بمكيالين » (١٨ ، ١٩ ـــ ١٦ فى ملاحظة ٣٣ ص ١٢٢) .

أما مكيال الوادج فهو (عين رع) كما كان (القرد رمزتوت) ، ومقت رع ينصب على رأس من ينقص الكيل فعين (الوادج) أى عين رع تكون دائما شاهدا على اتهام من يكيل غشا » : مونبمو بى ١٨ ، ١٩ + ١٩ ، ٣ أنظر ٣٣ / ١٢٣) .

و يفسر الأستاذ مونتيه الوادج بأنها مكيال للحبوب غير (عين حورس) التى تحطمت إلى جزئيات على يد إله الشرست فى حربه ضد حورس وقد التأمت وعادت إلى ما كانت عليه سليمة على يد الإله توت . وهذا المكيال له أجزاء صغرى . (٤٤)

ثم ان تغيير الحدود فى الحقول جرم يعتبره المصريون عظيما مما استدعى وجود المساحين علاوة على ان فيضان النيل كل عام يغير هذه الحدود و يطمسها مما زاد الحاجة إلى هؤلاء المساحين الدائمين لاعادة الحقول إلى سابق حدودها وفى هذا يوصى امونيمو بى « لا تغير الحدود على حافة الحقل ولا نغير موضع خطوطها ولا تطمع فى قدم واحدة من الأرض ، ولا تقتطع شيئا من أرض الأرامل » .

وكما يقول الأستاذ مونتيه فأمانة الميزان والكيل ومقاييس الأرض لها صدى كبيرا مطابقا لوصايا المصريين فى ذلك تماما فى أمثال سالومون اليهودى فانظر قوله الذى يكاد يكون مصريا تماما فى مطابقته لوصايا امونيمو بى .

« ان ميزانين ومكيالين كليهما يغضب يهوا » (سالومون ٢٠ ، ١٠ ملاحظة ٣٣/١٢٤) .

ثم مثل آخر :

« الميزان بكفتيه وكيس الصنج بين يدى يهوا » (١٦ ، ١١ ـــ ٣٣/ ص ١٢٥) .

« ان يهوا ليفزع و يغضب من ميزانين فالغش فى الميزان لايجوز (حرام) (٢٠ ، ٢٣ ملاحظة ٣٣ ص ١٢٥) .

و يتطابق المثل المصرى والمثل اليهودى فى قول سالمومون « لاتغير وضع حدود الحقول التى ثبتها أباؤك » (أمثال ٢٣ ، ٢٨ ملاحظة ٣٣/ ١٢٥) .

ثم قوله :

« لا تغير وضع الحدود القديمة ولاتعتدى على حقل الأيتام لأن المنتقم لهم قادر قوى فهو الذى يتولى حمايتهم منك ثم ان الاثم يكون أخطر لو كانت الضحية أرملة أو طفل » .

(ملاحظة ٣٣ / ٢٣ ، ١٠ ـــ ١١) .

وهكذا يتغير الأسلوب والفكرة واحدة فانظر إلى ارشادات تربية الطفل فى مصر من الحكيم بتاح حوتب وعند امونيموبى والظاهر ان العصا كان لها دورا كبير فى تأديب الطفل وان الزوج أيضا يمكنه ضرب زوجته بدون غلظة اما الوالدين فرحمتهم بأبنائهم لاتغنى عن عدم استعمال العصا حتى لقد قال أحد الكتبة وهو يصر على اسنانه « أن إذن الولد فوق ظهره » .

(ملاحظة ٣٣ / ١١٩) .

أما فى أمثال سالومون فيقول :

« لا تكف عن ارشاد الطفل إلى الصواب فلن يموت حتى لو ضربته بالعصا » (أمثال ١٨ ، ٣) .

ثم انظر هذا التطابق البين فيما يذكره أمونيموبى (ملاحظة ٣٣/ ١١٧) من وصايا إذ يقول :

« لا تشتهى مال الفقير ولا تجعله يجوع بحرمانه من خبزه فأكل مال الفقراء يسد الحلق (يقف فى الزور) وتتشنج له الرقبة .

(مونبموبى ١٤ ، ٥ ـــ ٨) .

ثم انظر مثل سالومون فى ذلك :

لا تشتهى زاد الفقير القليل فهو يعصف بالرقبة ويخرج من فمك فور لحظة التهامك له » .

ثم قول آخر لامونيموبى « لاتجمع مالاً حراماً فلن يظل عندك حتى يمضى الليل ولن تجده فى البيت ولا فى مكانه الذى وضعته فيه وستكون له أجنحة مثل الطيور و يطير إلى الفضاء » (٩+ ١٦+ ١٠ ، ٤ ملاحظة ٣٣) .

بينما يقول المثل اليهودى « لا تجهد نفسك لتصير غنياً وأترك المال غير الشريف ضع نظرك عليه فلن تجده هناك فهو يجعل لنفسه جناحين مثل النسر يطير إلى السماء » . (٢٣ ، ٤ — ٥ ملاحظة ٣٣) .

والفارق هنا كما يقول مونتيه بين المثلين رغم ان الفكرة واحدة تماما فى سرعة زوال المال الحرام وضياعه هباء فى الهواء ففى المثل المصرى انه طائر فليس لدى المصريين نسوراً بل كان عندهم الصقر أما اليهودى فقال نسرا .

لم يكن الأمر كما رأينا فى تلك الوصايا فيما يتعلق بالكيل والميزان هزلاً أو تراخياً لمجرد النصح بل كانت هذه المكاييل والموازين والمقاييس كلها أدوات الآلهة لنشر العدل والأمانة بين الناس وكانت فى حفظ الآلهة ورعايتها فمن عبث بها تعرض لغضب منها شديد فانظر كيف كانت الموازين والمكاييل تحمل كلها رموز وعلامات الآلهة فقرد (توت) وريشة (معت) رمز الحق والحقيقة على الميزان ثم (الوادج) عين رع للمكاييل كما كانت حبال مقاييس المساحات والحقول تلف على مايمثل به آمون برمزه الكبش كل ذلك يشير إلى فرض اتباع الأمانة والصدق والعدل فى معاملات الناس بعضهم مع بعض وان الاله شاهدعلى ذلك ثم يتغير ذلك فى أمثال سالومون ولم يعد الأمر يخص الآلهة الوثنية الفرعونية فقد آلت كلها ليد يهوا إله العبرانيين (ملاحظة ١٢٩/٢٩) .

فما ذكرته المصادر من الوصايا والأمثال لامونيموبى تبين ان حكمته كانت خلاصة تطورات وتوارث الوصايا المصرية من العصور والأجيال القديمة منذ الدولة الأولى فهذا الحكيم المصرى يتكلم مع المصريين وإليهم و يذكرهم بما يجب أن يعوه من حكم وأمثال أسلافهم مشيراً إلى من آمنوا به من آلهتهم الأول وما شبوا عليه فى وادى النيل وقد شابهتها فى وضوح كبير أمثال سالومون ولم يكن توافقا عفويا ما رأينا فقد عاش اليهود قرابة أربعة قرون أو يزيد (التكوين ١٠ ، ١٣ ثم الخروج ١٢ ، ٤) وكانوا على صلة بالمصريين فقبل أن يوطن يوسف إخوانه فى أرض جوشن أتى ابراهام ودخل فى علاقة مع الفرعون فى أرض مصر إلا أن الأستاذ ليفيبفر قد أوضح ان اليهود لم يخرجوا من هذه الأمثال التى اقتبسوها بنفس ما وصل إليه المصريون من نتائج روحية وعقلية فخضوع اليهود وامتثالهم للأوامر والوصايا كانوا ينتظرون نتيجة له حياة طويلة وشيخوخة سعيدة بين أولادهم وأحفادهم بينما المصرى يرى ان جزاؤه حياة أبدية فى رحاب الله الذى أطاعه طوال حياته .

ولكن ظلت العلاقات مستمرة بين اليهود ومصر وحتى قيام دولة يهوذا لم يوضع حد لعلاقتهم بمصر فالواقع ان هؤلاء الرحل البدو كانوا دائما يعبرون الحدود إلى مصر كلما أرغمهم الجوع على هذه المخاطرة أو كلما أتوا فارين مخافة القتل والمذابح كما ظهر ذلك واضحا برجوعهم مع كاهنهم

الأعظم المنتظر أونيا الرابع إلى نفس منطقة جوشن فى عهد بطليموس السادس وتأسيسهم قدسا جديدا فى مصر فيما بعد ذلك بقرون طويلة ثم كان التأثير الذى ظهر واضحاً جلياً هو ذلك الذى كان من تأثير وصايا وحكم امونيموبى عليهم الذى كان كتاب أمثال سالومون نسخة منقحة منه ومما يحتويه من حكم مصرية .

كان المصريون يرمزون بالحيوان حسب مايفكرون فيه و يتأملونه من جهة صفاته ومميزاته التى يمكن أن تشابه أو تدل على بعض الشبه بصفات الآلهة فتصيرها رمزاً ثم يعبرون بتلك الرمزية تعبيراً صادقاً يستند على فهم عميق وتمثيل عقائدى سليم فيما يريدون الافصاح عنه من أفكار وترجمة ماعندهم من تصورات فكانت القطة تمثل كما يرون فى عينها آمون أى الشمس فقبل طلوع الشمس تتسع حدقة عينها ثم كلما اشتدت الشمس ضمرت حدقة عين القطة وصغرت حتى تصبح عند الصهيرة خطاً رفيعاً ثم تأخذ ثانية فى الاتساع كلما اقتربت الشمس من الغروب حتى تصبح كاملة الأستدارة وتضىء فى الليل فعلا فأخذها المصريون رمزاً للقمر وهو شمس الليل فانظر كيف تمثلواآية الليل والنهار وعبروا عن حكمة الله فى التحرك الفلكى اليومى للشمس وللقمر مما ذكره الله فى كتابه « يولج الليل فى النهار و يولج النهار فى الليل » أرادوا أن يصوروا ذلك فنقشوا مترجمين هذه القدرة كما تصوروها على حجر كريم من العقيق حفرت عليه عربة شمسية فيها قطة بيديها لجام وعصا تقود بها ديكين رمزا للشمس ـــ فالقطة هى القمر أو شمس الليل أى رمز الليل تسير بالعربة يجرها ديكان رمزا بشير الشمس والشروق لنهار جديد . فالديك كما تذكر التقاليد حديث الدخول فى الشرق وكان موطنه الأصلى سومطره وسيام ثم الهند ثم من الهند دخل إلى إيران ومن إيران إلى بابل والشرق ثم إلى جزر اليونان فمصر فى عهد رمسيس الثالث تقريبا فلما وصل إلى مصر لم يدخل دائرة التقاليد والخرافات الدينية المصرية لتأخر معرفة المصريين به ولذا فعندما وصل إلى اليونان وإلينا لم تتغير رمزيته الشمسية الفارسية وظل رمزاً للشمس كما كان فى فارس وفى طقوسها وكما ذكر فى الافيداد (الافستا) إلهاً للضوء أهورامزدا ضد إله الشر والظلام اهريمان .

وهكذا احتفظ الديك برمزيته للضوء والشمس ونورها حتى العصور المتأخرة كما نجده ممثلاً على غطاء مسرجة من النحاس من العصر القبطى .

وقد دخل أيضاً فى قصة الإله ميثرا Mithra الفارسى ومثل على لوحاته أى المثرايا المتعدده برسومات دائر الفلك الشمسى الفارسى تحت صورة إله القمر فالقمر فى طريق النهار الجديد يسبق الشروق الذى كان بشيره الديك . أنظر الخشاب (٤٥) .

وهكذا توافقت الصورة المصرية اليونانية الرومانية على فص الخاتم ضمن مجموعة المتحف المصرى فتمثل الشمس التى تنبعث من الليل إلى النهار وتمثل حركة الخلود الأبدية وهى فأل حسن لحامل هذا الخاتم تبشره بعمر مديد فالنور الدائم هو الحياة المتواصلة بالأمل وما ذلك إلا تصورا لآلهة تمثل إله الشمس الأعلى فى مسيرته وأبديته لحلقاتهيومية متصلة الحركة والوجود يرمز إليها بصور شتى ثم حركات سنوية أخرى يرمز إليها بصور أخرى غير القطة فيها إله الشمس بصورة إنسان له رأس ديك فى لباس حربى ويحمل مجنا عليه اسم سحرى لحورس لمقاومة الظلام والشر يمثل أيضا على أحجار الخواتم التى تعتبر تمائم محمولة فى أصابع الناس ومكتوب مع هذا المنظر أحياناً كلمة (Abrasax) وحسب مجموعة الاعداد السحرية لهذه الحروف نجد أن هذا المجموع لحروف هذا الاسم العددية يساوى ٣٦٥ كذلك كان عدد حروف اسم ميثرا أى عدد أيام السنة وهذه دورة سنوية للشمس المهيمنة على السماء والأرض وكل ما حولها يدور فى فلكها والكل تحت سيطرتها ومرتبط بدورانها فى رحلتها السنوية فصول الزراعة بمحاصيلها العديدة ثم بعد ذلك صورة الدهر (الأبدية) التى تتمثل فى شكل ثعبان ملتف حول نفسه بشكل الحلزون فالثعبان زيادة على شكل الحلزون أى اللانهائية يمثل أيضاً الأبدية ففى الخرافات البدائية الافريقية صور الثعبان على أنه عرف سر الخلود فخلد نفسه إذ أعطى الله الانسان هذا السر فأهمله وترك حماره الذى يحمل سر الخلود يذهب بما حمل وحده إلى بيته فمر الحمار بعين ماء وكانت حارستها حية وأراد أن يشرب فمنعته الحية حتى تعرف ماذا يحمل فأعطاها الحمار ما أرادت فكان السر ان يغير الانسان جلده فتتجدد مسامه وأنسجته فإذا هو متجدد لا يفنى فاحتفظت الحية بالسر لنفسها وشرب الحمار ورجع الى بيت صاحبه بعد أن أضاع ما حمل هذه الخرافة شائعة حتى الآن بين أهل الكونجو وان دلت على شئ فتدل على ان الثعبان يتغير جلده و يعيش زمناً طويلاً جداً ولذا اتخذ رمزاً للأبدية قديما وهكذا أصبح رمزا الألوهية الخالدة ثم انه — أى الثعبان — فى تمثيل آخر تجده على الأحجار الكريمة ممسكاً ذيله بفمه مكوناً دائرة لا نهاية لها ولا بداية ويحيط بتمثيل الآلهة المرسومة على الحجر فى الوسط وخاصة تمثيل هاربوكراتيس أى الطفل حورس على زهرة اللوتس مأواه بالليل ومنها شروقه نهاراً ودورة الشمس اليومية ، فالإله أبدى (أنظر الخشاب J.E.A. (1961) وتبشر هذه الثيمة (الثعبان وما داخل دائرة الثعبان) حامل هذه الصورة على خاتمه بطول سلامة ولكن الدهر أو الأيون باليونانية مثل أيضا فى صورة جميلة لتمثالين الشمس والقمر فى هيئة طفلين عاريين الذكر هو الشمس والأنثى هى القمر على رأس الذكر قرص الشمس أما الأنثى أى القمر فتحمل على الرأس قرص الشمس مع هلال القمر الذى يرمز إلى القمر فالقمر زوجة الشمس والاثنان متقاربان بجانب بعضهما و يتماسكان كل واحد منهما يضع ذراعه على كتف الآخر حول الرقبة يضمهما ثعبانان ضخمان ملتفان حول الوسط بشكل حلزون أى تمثيل الايون وقد وجد هذا التمثال الرائع داراسى Darassy (٤١) وهذا التمثيل

يماثل ما وجد عند الفرس أيضا فمثلت أناهيتا أو العنصر المؤنث من عنصرى النار الذى يمثل القمر فى صورة تمثال وقد أحاط بها ثعبان ضخم يلفها بشدة فهى كعنصر التأنيث إنما تمثل قاعدة الخلق الدائمة المتجددة واهبة الحياة الخصبة كالقمر وهذا التشابه فى هذا العصر المتأخر فى العالم الرومانى كان أثراً من التقارب الذى تم على يد فلاسفة اليونان بين الديانات القديمة المختلفة فى تكوين الآلهة وقدراتها كما سنرى .

هذا التمثيل اليونانى الرومانى للشمس والقمر والتفاف الثعبانين الضخمين حلزونيا حول أسفل جسمى الالهين الذكر والأنثى إنما يمثل الدوران الأزلى بلا نهاية من تعاقب الليل والنهار والفصول فى فلك دائر أبدا حول الشمس تقوم عليه الحياة اللانهائية وتتعاقب فيه الأجيال وتتعلق به أرواح الناس وكل هذه الصور تمثل الشمس والكواكب فى تطورها كما تصوره رجال الدين الفلاسفة منهم والفلكيين ورجال الفن فى العصور المتأخرة اليونانية الرومانية فهى تصور الكل فى واحد وهذه هى الوحدانية ولكن كنهها غامض تاه فى وسط هذه التمثيلات والصور العديدة مما حدى بموسى ان يحسم الأمر فمحى الصورة بأى شكل كانت كما ذكر سترابون فى عصر غمضت على العقول فكرة الوحدانية فى هذا الخضم من تجسيدات متواصلة متعددة كما فعل من قبله اخناتون فى تمثيل الوحدانية فى قرص الشمس ومثل قواه المتعددة بأشعته منتهياً كل شعاع منها بيد آدمية رمزا ليد الله تحتضن الملك وكل الكون بيدها الأمر كله لها والمصائر ولكن موسى كان أحكم منه فى هذا وأوضح .

وحسب رأى بلوتارخوس (ملاحظة ٤١ /٦٧/ ٣٧٨) من (الناس من اتخذ رموزا غامضة ومنهم من استعمل رموزا أوضح » فمنهم « من يضل و يقع فى الخرافات » كما ذكرنا فيما قبل ثم آخرون « إذا أرادوا تجنب العقائد الخرافية انزلقوا دون قصد منهم ، إلى مهاوى الكفر» (ملاحظة ٤١ /٦٧/ ٣٧٨) .

كانت عقائد غامضة رغم ان أساسها البحث والتفكير المقدس عن الخالق فى مخلوقات كان يرى فيها الانسان صورة غير نفسه وعالما غير عالمه فصدق الله العظيم « ان لكم فى الأنعام عبرة » ثم ان الأمر لم يكن عبادة فقط إنما هو ملاحظة ودراسة كل ماينفع وما يضر الزراعة والانسان ولا تكريم لحيوان إنما هو نفع يحافظ على ما يأتى منه و يصدر عنه فيكرم فانظر قول المؤرخ بلوتارخوس ان فى مصر كان بعض المصريين يكرم « القنابر التى تبحث وتحطم الجراد » كما أن أهل تساليا فى اليونان كانوا يعزون نوعا من الطيور « اللقلق » الذى يبحث عن الثعابين التى تخرج من الأرض بكثرة و يقتلها حتى انهم « سنوا قانونا بنفى كل من يقتل أحد هذه الطيور» (بلوتارخوس ٧٤/ ٣٨٠) .

فليس فى ذلك عبادة وليس جديدا فى بلادنا الزراعية المليئة بالحشرات الضارة بالزراعة والشعابين الكثيرة ونحن نعامل طير أبوقردان بنفس هذا التكريم ونحافظ عليه لصداقته للفلاح ونفعه له فنحن لا نعبدها ولا العقلاء من القدماء كانوا يفعلون بل ان مظاهر الاعزاز والتكريم البدائية هى مصدر هذا الخلط بين التقديس والاعزاز والرضاء عن بعض الحيوانات التى يرى فيها الانسان المصرى وغير المصرى من البدائيين صورة غير صورته فيتبين فيه شيئاً شبيها بالاله الحامى والنافع للإنسان والقادر على مقاومة الشر و يتزايد احترام وحب الناس لحيوان ما بقدر ما فيه من خصائص الاله من النفع والحماية فالاله كما أجمع الناس فى تصورهم له يجدون فيه كل المميزات والصفات الطيبة فهو يحميهم و ينفعهم ويجنبهم الضر و يشفيهم و يزيد فى رزقهم ويمنع عنهم العسر فما وجدوا فيه هذه الصفات بعضها أو كثير منها من الحيوان كفلاحين بدائيين أحبوه فنظرتهم وبحثهم عن الاله الخفى الذى هو ملئ السماوات والأرض جعل الاله دائماً وجهتهم وفى فكرهم وتخيلهم أنهم يبحثون عنه فى كل شئ يرونه فى الماء والأرض والنبات والحيوان والحشرات وفى السماء فى الكواكب والنجوم والشمس أهم الكواكب وأكبرها وعماد الفلك والكون وكل شئ متعلق بها ومتوقف عليها تهيمن وتؤثر فى الكون جميعه منها النور والحرارة والليل والنهار وكل الظواهر التى تحكم العالم تسبب المطر والجفاف والنار فهى فعلاً القوة الكوزموكراطية الظاهرة أى العقل المدبر للكون (أو العقل الأبوى للاله الخفى) التى استولت على عقول كل البدائيين فجعلوها رمزاً أو إلهاً قريناً مساعدا أو ديميورجا لإله يشمل كل شئ خفى عن أعينهم مدرك بعقولهم لا يدركون كنهه وإن عاشوا به وتحته يرسل المطر و ينتج النبات و يرسل الريح و يسبب الجفاف والقحل فمنه الحياة ومنه الموت فى تطوره بتغير الكون برد فخريف وشتاء وربيع وحر وصيف وفصول زراعة ومطر وفيضان وجفاف ثم حياة فى ربيع ونذر خريف يتبعه شتاء انه ملء الدنيا شرقا وغربا وجنوبا وشمالاً وفى كل مكان يجدونه ولكنه فى الليل يختفى ويموت ليولد من جديد فى شروقه على الدنيا فى الصباح حركة أبدية لا تتوقف كل يوم وكل سنة وعلى مر الدهور، تصوروا به الأبدية والبعث للانسان يعيش بعد موته أسوة بالشمس فى الليل والشروق، وليلهم فى حياتهم الدنيا به يسترشدون وفى حياتهم الآخرة به يهتدون وارتباطهم بالأرض جعلهم يؤمنون به فهو دليلهم فى مواعيد فصول زراعاتهم ومرشدهم إليها بتطوره فهو الديميورج المقنن Nomothetes نوموثيتس وكأنهم يمشون وراءه يرصدون حركاته المنضبطة مع أرزاقهم وحياة نيلهم و يسرهم ورغدهم قدسوه وآمنوا به فى فجر التاريخ (رع) وحذا حذوهم من ظهر بعدهم من الأمم.

ثم ينفذ إلى مصر تأثير تقدم علم الفلك عند الكادانيين عن طريق علاقات سياسية واقتصادية بين البلدين فى عصر العمارنة شهدت بها تلك اللوحات ذات الخط المسمارى التى وجدت فى تل العمارنة والتى يرى الأستاذ «Cumont» كيمونت فى وجودها دليل على تأثر

أخنـاتـون بهـم وأخذه عنهم إن الشمس أهم وأكبر الكواكب وهو الكوزموكراطى الذى يرتبط به الـكـون كـلـه و يـتأثر به و يتغير بحركته وفى مصر أكثر من أى بلد آخر يظهر ذلك واضحاً قو ياً فى فـيـضـان الـنـيل والفصول الزراعية الموسمية المحددة التى يخصب أرضها ويهبها ويهبهم الحياة فركز اخـنـاتـون كل القوى فى قرص الشمس وأصبح فى عهده آتون المهيمن الكوزموقراطى الكون كله بين يـديـه كما تحـتـضـن أشعـتـه بأيديها فى نهاية كل شعاع الملك والعالم كله.و يشمله ثم من قبل أخـنـاتـون أفـلا تـرى أن أمـونـا كان المهيمن الذى أوحى إليهم بالتصور السياسى الدينى بتوحيد الـمـلـك بآمـون ، الـشـمـس الـمـهـيـمـن فى السماوات وعلى الأرض فترى ذلك التمثيل الذكى الرائع بشكل أبوالهول برأس الفرعون الحاكم (اندروسفنكس باليونانية أى الأسد برأس الانسان) أى رأس الـفـرعـون على جسم الأسد رمز الشمس فلم يكن ذلك تمثيلاً لقوة البشر فكراً وعقلاً تتحد مع قـوة العزم ممثلة فى جسم الأسد بل الصحيح ان الأسد هو رمز الشمس والرأس رأس الفرعون نـفـسـه ظل الإله المهيمن على الأرض وفى رمز أبو الهول الذى وجد فى الطر يق بين معبدى خفرع مـعـبـد الوادى والمعبد الجنائزى ترى رأس خفرع الفرعون ورقبته كاملة على جسم الأسد ثم يتطور الأمـر و يـصبح الالتحام كامل الاندماج فيما وجد من تماثيل أبى الهول فى الدولة الوسطى فيكمل الأسـد شـكـلاً حـتـى رقبته ولبدته وأذنيه ولكن يوجه الفرعون (امن ام حت) فيصبح التكامل والانـدماج تأمين بين الملك والشمس برمزه الأسد فتلك هى فكرة الحق الإلهى أى الكوزموقراطية الـعـالـمـيـة . كما يـدل الاسم على ذلك آمون فى المقدمة ولذا كان تمثيل أبى الهول مع كل ملك ومـلـكـة حـل محل الـفـرعون يكون بمثابة حق الهى لهم فى الحكم وهذا ظاهر تماماً فيما تمثلت به حتشبسوت كأبى الهول برأس الملكة نفسها وبجسم االأسد رمز آمون لاكتساب حق شرعى أو قوة لهـا فى أن تحـكـم كما كان يفعل من حكم مصر من فراعنة أصليين وملوك أجانب غزاة هم خلفاء للفراعنة على مصر حتى العصور المتأخرة كما سنرى فى لوحة التوحيد .

فـالحـيـوانـات اذن لم تـكـن إلا وجوه تشابه بهذا الاله الكبير والرب الواحد وليست هى ذاتها أربـابـا بـل مـرايـا كما قـال بـلـوتـارخـوس فيما سبق نرى فيها قدرات وصفات هذا الذى كان فى وجـدانهـم وضمائرهم يراهم ولا يرونه و يسمعهم ولا يسمعونه وكانت تلك الحيوانات أيضاً عقدة الـعقد عند موسى عليه السلام أحسها وخاف على قومه الضلال بها فحاها مستنكراً منكراً ومحرما اياها على الناس أجمعين فلا تجسيد ولا صورة وكان على حق فى ذلك فكلمة الاله أى (نثر) تعنى بـدون أداة (لا تـعـر يف ولا تنكير) الإله المطلق وهذا هو الذى كان فى ضمير أى إنسان مصرى غير الـذى أمـامـه خـاصـاً بـه تـمـثـيـلاً أو اسماً له رمزاً وهذه هى الوحدانية التى اعتقد الأستاذ در يـوتـون ان صـفـات هـذه الحـيـوانـات تـتـركـز جميعا فى واحد بجمع كل هذه الصفات أى هى صفات لواحد يشمل هذه الرموز بما يرمز إليه جميعا .

ويحاول الأستاذ مونتيه على غير اقناع ان يجعل من كلمة نثر المطلق فى ضمير كل مصرى معنى انه يفكر فى معبوده الخاص به ثم يقول بأن هذا مبدأ مسلم به عند كل مصرى ولكن ذلك لايتفق مع منطق ولاما وجد من آثار ولاما ذكره المؤرخون القدامى فإذا كان هناك اجماع أو اعتراف عام لايكون ذلك على أن لكل جماعة إله خاص وهو يعلم أن كل منها تختلف مع غيرها عليه وكان ذلك سببا فى فرقتهم واقتتالهم بل يكون الاجماع على أن هناك فى ضمير كل فرد رباً واحداً عاماً لهم جميعا كان يتمثل فى الفرعون الذى كان ابناً لكل إله فى كل منطقة ومتحد مع هذا الاله وهذا شئ يجمع الآلهة جميعاً فى كل مكان على الأقل فى شخص واحد أى فى الفرعون يرغمهم سياسياً على التسليم له بالحكم حسب ما اكتسبه من تبنى الههم له من حق الهى فالسياسة اذن تفرض وحدة كاملة فى شكل دينى على الجميع فى كل الأنحاء وكما فعل الاسكندر الأكبر محتذياً حذو الفرعون فى مصر فى أنحاء العالم الهيلانى فصار ابناً لكل اله لكل قوم وآمن بكل هذه الآلهة حتى بإله اليهود فى يهودا متوسلاً بذلك إلى الكوزموكراطية العالمية أى السيادة العالمية كالشمس المهيمنة .

فما يتضمنه كل رمز مصرى من صفات رغم خلاف الناس فيما بينهم عليها وعلى تقديرها الروحانى بالنسبة لكل جماعة فإن ما تتضمنه هذه الرموز من صفات للإله المطلق وحتى لو اعترف كل مصرى بأن لكل فرد آخر رب ومعبود و يوقن بهذا روحياً كما آمن بذلك ضمناً فى شخص الملك أى الفرعون فى سياسته الدينية لأصبح هذا الاعتراف يوحى بفكرة واحدة وتسليم من الجميع بكل إله يعتقد فيه الآخر ولكنهم لازالوا دينيا مختلفين فكانت الخلافات بين هذه الجماعات الدينية بسبب مايقدسونه فى مناطقهم المختلفة كما تمثل على نقود المديريات فى العصر الرومانى من نقود الأسكندرية قائمة وتشتد إلى حد الاقتتال أحياناً كما يذكر بلوتارخوس فانظر مثلاً التمساح يعبد فى الفيوم وسميت باسمه قديما (مدينة التمساح) وهو ذاته يقتل و يصطاد و يباع للأجانب فى روما من مدينة دندرة كما يذكر بلينى (٣٩) ثم هو نفسه يعتبر إلهاً للشر فى مناطق أخرى مثل امبوس كذلك سمكة أوكسير هنكون التى تشبه عضواً خاصا فى رفات اوزيريس الذى قتله أخوه (ست) وقطعه اربا كما فى أساطير الاقدمين المصريين كانت هذه السمكة تصاد وتؤكل فى مديريات أخرى وقد أطلق اسم هذه السمكة على المدينة مقر عبادتها (أوكسيرهينكوس) مدينة البهنسا حاليا بالفيوم فكان ان كبرت هذه الحزازات الاقليمية التى سببها الخلاف الدينى من أجل هذه الرموز حتى وصلت إلى حد الاقتتال كما يروى لنا بلوتارخوس فكيف يمكن أن يخطر ببال المصرى عن كلمة نثر المطلقة كلُ إله يعبده هو أو غيره وهو نفسه لايرضى عما يقدسه غيره بل ويحتقره و ينال من أمثاله عنده فتظل الفرقة قائمة رغم مطلب الوحدة سياسيا فى يد الملك عن طريق الدين نفسه ان كلمة نثر اذن تعنى شيئاً تلقائيا فى نفوس المصريين جميعا ملكاً وجماعات أى سياسيا أولاً ودينيا فكلمة نثر المطلقة الشاملة تعنى

تلقائيا فى نفوس المصريين حاكمين ومحكومين وحدة لهذه الرموز المتفرقة وهذا أقرب إلى والمنطق وحتى إذا كان هذا تسليماً بصواب ماتقدسه الجماعات المختلفة وقد حدث هذا ضمناً فى شخص الفرعون لأصبحت الوحدنية أى الوحدة الدينية لا ريب فيها وان كل المقدسات تعتبر رمزاً لها كما حدث فى المجمعات الالهية أى البانثيون الالهى تاسوعا كان أو ثامونا أو ثالوثا كما سنرى واندماج هذه المجامع الالهية فى واحد هو رئيسها أو أبوهم أجمعين أو فى شخص الملك نفسه فالمنطق اذن أن يكون مدلول لفظ نتر المطلق يعنى إلهاً أكبر وأشمل من هذه الرموز المختلفة والمختلف عليها عند الأفراد ثم إن هذا الخلاف لا يؤثر فى نفوس المختلفين على الرموز واتجاه فكرهم الروحى مع الآخرين فى البحث عن إله مطلق لما يرونه فى هذه الرموز من فضائل قدسوها من أجلها فانظر كيف ان هذه الآلهة المختلفة المحلية لم تكن قائمة بنفسها بل تتشابه فى الصفات فترى الإله خنوم ذا رأس الخروف وهو الخالق الذى يشكل الجنين فى بطن أمه كان يمثل آمونا أيضا . وهو يمثل أيضاً فى البسانتيون الكبير ثم ان الأمر بعد ذلك لم يكن يمثل خصوصية لكل فرد على حده فهناك آلهة معترف بقداستها عند الناس وتندمج فيها الآلهة الآخرين المحليين وغيرهم كما فى ثالوث منفيس وطيبة والاشمونيين ثم ان الحيوان الذى يمثل اوزريس هو عجل ابيس الذى يقدسه الفلاحون جميعا فى مفيس مقره الأصلى ثم زميله فى اون أى عين شمس «Mnevis»

منيفيس ثم بوكاريس فى طيبة ثم كان ابيس مقدساً فى غير هذه البلدان فى كل أنحاء مصر وفى خارج مصر أيضاً حتى عاش فى مصارعة الثيران Toro أسبانيا حتى الآن ثم اوزيريس فى أساطيرهم وازيس ذات الأسماء التى لا حصر لها وقد اندمجت فيها كل الآلهة اليونانية والرومانية وكانت هى الهة الشفاء الأولى فى مصر وصانعة الدواء هى وزوجها سرابيس بعد أوزريس فى العصر البطلمى ثم حورس الذى كان فى كل بيت وفى كل مكان والصقر وتوت الأكبر أى ذو الثلاث عظمات ولم يكن لهذه الآلهة إلا صفة بسيطة محلية محدودة ولكن كانت قداستها عامة عند المصريين ترمز لقوة أكبر من الجميع فرمزيتها لم تكن مخصصة دائما لإله معين بل كانت تشير إلى الاله المطلق فانظر كيف يشرح الأستاذ بلوتارخوس فيما ذكرنا ان رمزية الصقر فى الحكمة التى أوردها من معبد اثينا فى مدينة سايس ان الصقر كان رمزا للاله المطلق ولم يقل انه يرمز لحورس بذاته الذى كان الصقر رمزاً له بل قال والصقر يرمز للاله « أيها الناس كباراً وصغاراً ان الاله لا يحب الفسوق » فمن يكون من بين هذه الرموز الالهية فى خلد الفرد المصرى إذا ذكر لفظ نتر المطلق بدون تحديد أو تعريف وهل بعد ذلك يمكن تحديد إله معين ؟ إنهم جميعا يرمز إليهم بحيوانات حتى الملك كان ابناً للثور والملكة بنت الثور وهى ازيس و يرمز لها أحياناً بالبقرة وكانت هذه الرموز المحلية تمثل دائماً فى مجموعة شاملة فى التاسوع أو الثامون أو الثالوث فى منف وطيبة والاشمونين وابيدوس وفى الاسكندرية فيما بعد كما سنرى فى لوحة التوحيد ثم محاولة ادماج الآلهة الكبرى فى إله واحد كرابيس الذى مثل على النقود الرومانية فى الثلاثة قرون

الأولى الميلادية وسميت بنقود الأسكندرية وقد اندمج فى وحدانية سرابيس إله الشمس (زيوس) ثم النيل . وإله البحر بوسايدون وإله الشفاء اسكلبيوس ــ (اليونانى) وقد مثلت شعارات جميع هذه الآلهة حول سرابيس الذى كان يضع على رأسه الموديوس (مكيال القمح ورمز البركة) ثم تاج الشمس المشع وخلف كتفه قرن البركة شعار النيل وأمامه الحربة ذات الثلاث شعب لإله البحر وحولها التف الثعبان شعار اله الشفاء وكل هذه الآلهة ممثلة أيضاً متفرقة على نفس هذه المجموعة من النقود ثم تجد تلك الرموز الاقليمية التى تمثل الآلهة الاقليمية لكل مديرية ، خاصة على نقود المديريات أى النقود الجغرافية من هذه المجموعة النقدية لعملة الاسكندرية وكان معظمها مندمجا مع الاله الرئيسى المصرى فى العصرين اليونانى الرومانى أى خليفة أوزيريس المسمى سرابيس .

ثم هذه الآلهة الممثلة فى البانثيون السماوى أى مجموعة الكواكب والنجوم التى كان لها شأن وقدر كبيران واستمر الاهتمام بها مع تطور علم الفلك فى عصرنا الحديث وكان لكل إله من هذه الآلهة نجم يدل عليه زيادة عن رع (الشمس) أكبر الكواكب وأهمها ، مثل أوزيريس وازيس وحورس وست وابيس فاوزيريس نجمة باسمه وازيس نجمة صوثيت (الشعرى اليمانية) نجمة الفيضان (أى الكلب كاسمها عند اليونان) وحورس نجمة هوروس وست الدب الأكبر وابيس برج الثور ثم القمر أو ثور السماء كما يذكر بلوتارخوس وخالق ابيس .

وعلى أى حال فإذا كان اختلاف الناس فيما بينهم منصبا على الرمز فأظن انه لا يوجد أى خلاف على الفكرة التى من أجلها كان تقديس الغير لهذه الرموز لما تبينوا فيه من نفع وفضائل ومميزات تجعل منها رمزاً للاله وما يأتى من خير منه هو فى الاعتقاد العام ما يجب أن يكون عليه الإله .

فرمز الثور الذى كان عندهم جميعا كفلاحين وفى كل مديرية تقريبا كان يقدس فيها وله احترام خاص عندهم وعند غيرهم فى كل البلدان المصرية لنفعة الكبير وقوته الجنسية الخصبة إلى حد أن أصبح روح اوزيريس الحية كما يذكر بلوتاخوس وغيره من الكتاب الأقدمين أى النيل المخصب فالنفع من عون وحماية ومساعدة وشفاء وخدمات ومقاومة الشرور وغير ذلك من فضائل وأفضال الاله تدخل الناس جميعا فى دائرة روحية واحدة من تقديس ترجوها متجمعة فى إله واحد يهبهم الخير كله والفضائل كلها متجمعة فيه وما وجد من رموز لهذه المميزات عندهم فهى له وترمز لما فيه من بعض الصفات فهو الذى يرجونه مثلاً أعلا يتمثل الناس فى مجموعهم فيه كل هذه الأرباب الرمزية التى تسبب فرقتهم وفى نفس الوقت فيها صفاته كما البانثيون المصرى فى بعض البلدان (تاسوع وثامون وثالوث) ففكرة التوحيد فى وجود هذه التجسيدات المختلفة الأشكال عند البدائيين كانت غامضة مطموسة ولكن اقتفاء أثرها ممكن إذا ما تصورنا كل

بـانثيون فى المديريات المختلفة أما تاسوعا أو ثامونا أو ثالوثا من الآلهة الهامة البارزة ذات القداسة الجمـاعيـة بين الناس ولهم فيما بينهم إله أول كما أشار إلى ذلك بلوتارخوس وهذا دليل أيضاً ضد وجـهـة نـظـر الأسـتـاذ مـونـتـيه وفى جانب الأستاذ در يوتون الذى رأى فى هذه الحيوانات وتعدد صفـاتهـا الحـسـنـة دليل على وجود واحد له تلك الصفات جميعا وهذه هى الوحدانية التى كانت السـيـاسة تتواخاها لتفوز بالوحدة السياسية والقيادة الروحية معاً الممثلة فى الفرعون كما ان لوحة التوحيد دليل قاطع على صحة ماذهب إليه الأستاذ در يوتون وما ذكره بلوتارخوس .

وان هـذه المجمعات الالهية (البانثيون التاسوع وغيره) تدل على ذلك فهى فى مجموعها لها من بين الآلهـة خـالـق تـتـجمع حوله وأب لهم جميعا كما كان فى اليونان فى مجمع جبل اليمبوس فكان اذن مـن المحتم على موسى أن يلغى هذا التجسيد فى أى شكل و يستنكره لا فى مصر وحدها بل فى اليـونان أيضاً وعند الأقوام البدائية الأخرى ويحرم ذلك تحريما قاطعاً وان يعبد ربه فى معبده بدون صـورة فـالله أكبر مـن كـل هذا العالم ولا يمكن أن يشبه أحد من مخلوقاته بأى صورة . فإدراك كنه الله شـئ مـتـعـذر تماما ويجب أن يكون تصورنا له تجر يديا و بذلك يكون موسى قد أبرز الوحدنية التى حوت كل القدرات بشكل حاسم ملموس لا يشوبها غموض ولا تحتاج لشرح أو تأو يل .

فـا قـالـه مـونـتـيه (٣٣/ ١٠٤/ ٥) وما ذكره من أقوال لحكماء مصر منذ الدولة القديمة حتى الأسـرة الـواحـدة والـعـشـر يـن الحكـمـاء بـتـاح حـوتب ومر يكارع Merikarea فى الدولة الـوسـطـى ثم آنـى مـن الـدولـة الـحـديـثـة والأستاذ الحكيم أموموبى هو وغيره من المؤرخين (٤٦) ومـا يذكر عن هؤلاء الحكماء من آيات مثل « ان الاله يعلم كل شئ وانه قادر على كل شئ واننا لا نعلم غيبه ويجب ان نخافه ونخشاه » فهذا له مغزى كبير إذ أن الحكيم كان يخاطب الناس جميعا رغـم ان مـونـتـيـه (٣٣/ ١٠٤ ـــ ٥) يصر على ان كـل فرد يتجه فكره إلى من يعبده محليا ولكن السـيـاسـة كما ذكـرنـا قـد خلقت رابطة إيمان عام بالمعبودات الاقليمية جميعا عند المصر يين بأن أشركت فى شخص الفرعون ابن أو زميل كل المعبودات المحلية ثم از يس كالهة يجمع الجميع على الايمـان بهـا فـهـى تـمـثـل أرض مصر السوداء يشهد بذلك على الأقل من الآثار، الأربعة لوحات الـتـى تـمـثـل زمـالة الاله المحلى من مدير يات الوجه القبلى للفرعون ميكيرنوس (منقرع) الذى يقف فى الوسط بين الاله الاقليمى فى المدير ية على يساره واز يس عن يمينه ثم ان الا ثنين يحيطان المـلـك بـذراعيها مـن خـلـف ظهره وقد ارتدى التاج الأبيض أى تاج مصر القبلى على رأسه وإلى أعـلـى على يـسـار الملك وفوق رأس الاله المحلى رمز وعلم المدير ية فى ليكو بوليس (أسيوط) وفى مـديـر يـة افـروديـتـو بـولـيـس (هـو) ثم طيبة وأما اللوحة الرابعة لنفس الملك محفوظة فى متحف بروكلين فهذا الثالوث الذى يتوسطه الملك فى هذه الأقاليم جعل من كل الآلهة المحلية وحدانية فى شـخـص فـرعـون مصر كـلـهـا وفى از يـس الـتـى هى الالهة الكبرى لمصر جميعا وهذا هو الثالوث الأزلـى . فـاشـارة آنى إلى الاله المطلق انما هى اشارة فى ذهن الحكماء للإله المطلق الذى هو أكبر

من هذه الآلهة الاقليمية جميعا وهو أيضا فى ذلك يتجه إلى المعبد الذى هو وحدة كل شئ وكما تقول السيدة عفت ناجى على لسان الأستاذ شفيلردو لوبيتز Schwaeler de Lu-biez - « إن المعبد المصرى يعلم و يشير و يوحى بأن كل شئ هو الواحد الذى لا يعرف وجميع عناصره هى التى تشكل حالات الانسان فهى مظاهر التوحيد » وكان الكهنة هم المهيمنون على الفنون المتبحرون فى العلوم تتمثل فيهم الأستاذية فى الفن والمعرفة والصنعة. ففيه نجد الثالثوت الذى يرأسه إله أكبر وهو دائماً الثالوث الأزلى الخالد أى ثالوث الخلق الذى أساسه النيل (الملك) أوزيريس وازيس الأرض ثم الابن حورس أى الخلق والانتاج الجديد (العالم) وهو ما رأى فيه فلاسفة اليونان الثالوث الرائع الذى هو أحسن وأروع ما فى أشكال الطبيعة الالهية كما سنرى فيما بعد ثم نرى فى المعبد أيضا مجمعات (بانثيون) الآلهة البارزين التى تتجمع فى الثالوث والثامون والتاسوع فى المديريات المختلفة بصرف النظر عن الفرد الذى ربما كان يتجه فكره إلى إله معين له فهؤلاء الحكماء فى كل عصور مصر يهفو خاطرهم إلى إله واحد كامل يؤمن به الناس أجمعين لا جزء من المصريين أو جماعة قليلة ويختلفون عليه مع غيرهم من جماعات أخرى لا تقدس الههم وهو يعلو عليهم جميعا فانظر هؤلاء الحكماء بتاح حوتب ومير يكارع ثم آنى وكيف تتوارد على أفكارهم نفس المعانى فى ذكرهم الاله المطلق فيقول الأول « انه الاله (نتر) الذى بيده النجاح » أو قول آنى (ان ربك عنده الرزق) ثم قوله الذى يوصى فيه باقامة المعابد (وان الاله يكره من لم يقم (العبادة له) (٣٣/ ١٠٤/ ٥) ثم وصيته للناس بالتزام الهدوء فى المعابد انه فى ذلك يطلب اقامة العبادة العامة والهدوء من كافة الناس فى المعابد التى يسيطر عليها فى قدس أقداسها الثالوث الخالد العتيد معبود الجميع بلا منازع وحتى لو كان محليا فهو رمز للثالوث الأزلى ومن روحه ذلك الثالوث الذى فيه الكل فى واحد والواحد يشمل الكل .

هكذا شعر الأستاذ در يوتون وهو الذى جمع من هذه الأقوال عدداً كبيراً له وزنه كما يقول مونتيه « بالوحدانية الحقيقية التى تطغى على العبادة التقليدية بل وحتى تؤثر فيها » فذكر إله (نتر) مطلق فيه معنى التجرد وعدم التقيد بذكر أسماء وصورة معينة قد توحى بالتعدد رغم ان كلها لواحد تشملها جميعا مهيمن فى السماء وعلى الأرض وأكبر من الكون كله عندهم رمزه الشمس ترتبط به وتدور فى فلكه كل الكائنات فهو مدار حياتها جميعا .

ففى مصر البلد الزراعى الحار كانت الحيوانات منها النافع التى يرمز بصفاتها الحميدة إلى إله الخير وحيوانات أخرى شريرة ضارة وآفات يرمز بصفاتها السيئة إلى إله الشر وكل ذلك يتعلق بما تتعلق به حياة المصريين من ماء وزراعة وقحل وجفاف وعقم وهذا دليل على وجود إله الخير يعلو و يسمو و ينتصر و يتغلب على الشر واهه و باقى الحيوانات فى كلا الجانبين تساعد وتناضل كل فى الجانب الذى تنتمى إليه بصفاتها و بطبيعتها فى هذا النزاع بين اوزيريس وحورس جانب الخير وست جانب الشر أو الاله العدو كما يقول الأستاذ در يوتون وهذا فى حد ذاته وحدانية كما

يقول بلوتارخوس أيضا فانظر إلى التمساح تجده فى الفيوم رمز خير وهو آمون (الشمس) مختبئ فى الماء من أعدائه واندمج أيضاً فى حورس (هاربوكرات) وسرابيس وفى أقاليم نجده رمزاً للشر فالأمر ليس حيواناً فى ذاته بل الرمز للخير والشر عامة وفى رأى الأستاذ در يوتون ان الديانة المصرية ليست مزدوجة بل واحدة إله الخير وما عداه إله عدو وقد انتصر حورس وطرد ست وأصبح ملكاً على عرش أبيه فى مصر فهذا التصور وحدالية سرت عليه الأديان تمثلته فى الشمس أى النور والظلام والخصب والماء ضد القحل والجفاف وهذا ظاهره شرك وتعدد آلهة وفى باطنه وحدانية تشمل قوى الخير فى مطاردتها ومقاومتها للشر والانتصار عليه فالأساس إله خير وشيطان وما قصد الحكيم الذى قال ان الاله فى كل انسان إلا دليل على ان الجانب الخير فى الانسان هو من لدن إله الخير الذى يرمز إليه بشتى الصور حتى على وجه الانسان نفسه ولكن ذكر إله الخير بدون تحديد يراد به تعبير شامل لكل صور القوى المتعددة فى قدراتها وحصرها فى تعبير واحد ولا يمكن ان يتصور أحد مائة ألف وجه خير متعددة ومختلفة ولكن المعقول ان يكون هذا العدد فى صوره العديدة للخير تمثيل لقوى إله خير واحد متعدد القدرات والنواحى أما ا لشياطين فليست آلهة بل قوى معادية يمكن التغلب عليها دائماً لصالح بقاء العالم .

وفى كتاب الموتى نجد أن الفرعون هو التمساح الذى إذا قبض على شئ لن يفلته ثم هو أى التمساح أوزيريس المخصب لازيس وهو رمز الشمس المضيئة المهيمنة الخلاقة وفى نفس الوقت نجد أن هذه كلها أوصافا للملك الاله المهيمن على كل شئ والمتسلح بكل القوة والنور لطرد الظلام والشر وحتى فى السحر نجد المصريين يجمعون فى التمثيل الشامل واحد يضم كل القوى المتفرقة التى إذا تجمعت فى واحد أصبح له تأثير سحرى لا يقوى أى تمثيل لشكل واحد من أشكال قوى الاله منفردة من أن يكون لها هذا الأثر فانظر إلى هذا التجسيد السحرى للتاسوع الذى يحتويه ويحتوى على صفاته و يتوحد كله فى الامبراطور الرومانى . من القرن الثانى الميلادى ممثل بالحفر البارز على حجر جبرى بالمتحف المصرى والذى يمثل الها طلسميا جسمه جسم اسد برأس الامبراطور (أبوالهول) وقد سميت هذه اللوحة (بلوحة التوحيد) حتى تتبين التوحيد السياسى والدينى بتوحيد تاسوع مدينة كوبتوس فى واحد هو الامبراطور إليك هذا التكوين انه جسم أسد آمون برأس الامبراطور أى ابوالهول (اندوروسفينكس) وملتصقا بجسم الأسد التمساح (سوخوس الفيوم) أى اسمه اليونانى معبود الفيوم و بالمصرية (سوبك) أما ذيل الأسد فثعبان يمثل الأرض وهذا يعنى ان الامبراطور كوزموكراتور فى السماء والأرض) وعلى ظهره جر يفون لبؤة برأس كلب واضعة يدها الأمامية على عجلة تمثيلاً للآلهة تميسيس Nemesis الهة الانتقام . ثم يحيط برأس الامبراطور ثامون كالهالة تمثل آلهة هذه المديرية المكونة للتاسوع الالهى فيها وكلها من الحيوانات التى ذكرها بلوتارخوس المقدسة لدى سكان الأقاليم المصرية المختلفة ثم يحيط بالشكل كله نجوم تشير إلى السماء وتدل على قدسية هذا التاسوع

الممثل فى شخص الملك تجسيداً لوحدانية دينية تتطلبها الوحدة السياسية فى الأقاليم وفى مصر كلها بآلهتها جميعا فى واحد هو الحاكم المصرى ثم فى خلفائه من الحكام الأجانب فتكون لهم السلطة السياسية والقيادة الروحية فكل هذه القوى اذن مجتمعة فى واحد هو الشمس (الأسد) دليل على أنها أشكال لاترمز إلا إلى قوى فى نواحى وقدرات الاله الأكبر الذى يمثله هذا النقش فى العصور المتأخرة وحتى فى ذبائحهم وأضاحيهم تؤكد تلك الرموز التى ترمز إلى الآلهة أنهم فى ذبائحهم لا يذبحون بقرة أو ثورا إذا كانت به شعرة بيضاء أو سوداء كما سنرى فى قوله تعالى لما ان سأله موسى عن شكل الضحية التى أمر الله بنى اسرائيل بتضحيتها وكان موسى يعلم كقومه تلك الحساسية الخطرة فى عقائد المصريين فكان الجواب الالهى « صفراء تسر الناظرين لا شية فيها » فالشعرة البيضاء علامة حورس الشمس الجديدة وقاهر الظلام والشر (ست) والسوداء تشير إلى اوزيريس ذى اللون الأسمر وهو رمز الماء المخصب « وجعلنا من الماء كل شئ حى » كما سنرى .

فالشمس المهيمنة أى رع ثم آمون ثم فيما بعد عند اليونان زيوس وسرابيس فى مصر البطلمية والرومانية وكلها آلهة شمسية نشأت فى وحدانيتها كل الآلهة الأخرى الثانوية تمثل وجوها وصفات ونعوت مختلفة صورها وأسماؤها على مر العصور ولكن فكرة التوحيد أو انتمائها جميعا إلى إله أب أكبر فى مصر واليونان وفارس وغيرها من الحضارات القديمة الأخرى كانت واضحة وملموسة وخاصة فى الأسرار والطقوس مما يثبت قرابة كل هذه الآلهة لبعضها ثم ان تعدد تقمص زيوس فى اليونان فى كل صور القوى الأخرى التى دونه وتزاوجه بالحوريات المقدسات اللائى انجبن له آلهة البانثيون اليونانى دليل على الواحد فى الجميع أو الجميع فى الواحد وما الأيدى فى نهاية كل شعاع من أشعة الشمس فى عهد اخناتون إلا دليل على وحدانية هذا الاله الذى يتمثل فى قرص الشمس وهذا دليل على وجود يده فى كل مكان فى هذا الكون الذى يحتضنه بأذرعه . وكذلك كانت الشمس فى كل مكان آخر فى العالم القديم هى المهيمنة (كوزموكراتور) على السماء والأرض وقد بينا فيما سبق كيف كان اندماج إله الشمس (هيليوس) فى الاله المصرى سرابيس الذى ظهر فى العصر البطلمى وكان بعثاً يونانياً لآمون واوزيريس المصريين وشملت وحدانيته كل القوى الأخرى واعترف بذلك رسمياً فمثلت هذه الوحدانية على نقود الاسكندرية ثم ماكان مما ذكر فى النصوص اليونانية لسرابيس بصفته الاله الواحد (heis) فتمثيله مندمجاً فيه زيوس (هيليوس) والنيل و بوسايدون (إله البحر) واسكليبيوس إله الشفاء (الطبيب) ثم هو وعلى رأسه الموديوس (مكيال الحبوب رمز الخصوبة) إنما هو اعتراف بوحدانية سرابيس فكان (الواحد فى مصر) رسمياً على النقود الرومانية الخاصة بمصر فقط كعملة محلية استمرت فى التداول الداخلى بمصر طوال الثلاثة قرون الأولى الميلادية وسميت بعملة الاسكندرية أى بمكان ضربها فى مدينة الاسكندرية عاصمة مصر فكانت خاصة بمصر فى الفترة الخطرة من حكم

الرومان لمصر فأباطرة الرومان كانوا يخشون قيام كليو باترة أخرى مصر ية فمصر كانت أقوى وأغنى وأعرق حضارة من روما فجعلوا من مصر اقليما منعزلا عن بقية الأقاليم الامبراطور ية فكانت تابعة للامبراطور رأساً وتحت رقابته الشخصية حتى لاتقوم لها قائمة وتظل خاضعة لروما فعلى هذه النقود الامبراطور ية اليونانية فى الاسكندر ية ظهر سرابيس جامعا لكل هذه الآلهة المصر ية اليونانية فى مصر ممثلا على ظهر العملة التى يحمل وجهها رأس الامبراطور الحاكم فكان هذا الاله الذى يمثل الحاكم فى مصر كوزموكراطور يا يمثل الشمس المهيمنة المسيطرة على العالم كله بمائة و بأرضه و بسمائه بيده الشفاء والسلام والأمان.

هذا مظهر من مظاهر فكرة الوحدانية التى تكررت فى العصور المصر ية وكانت غامضة مدلهمة الصورة فى متاهات التجسيد بشتى مظاهره وصوره فى مصر واليونان بعد ذلك ففى مصر لما ان أرسل الله موسى بالدين الجديد أكد هذه الوحدانية وأبطل الشرك فى مظهره من تعدد تجسيد القوى فى أشكال حيوانية رأى فيها المصر يون خصائص ووجوه شبه بإلههم الأكبر.

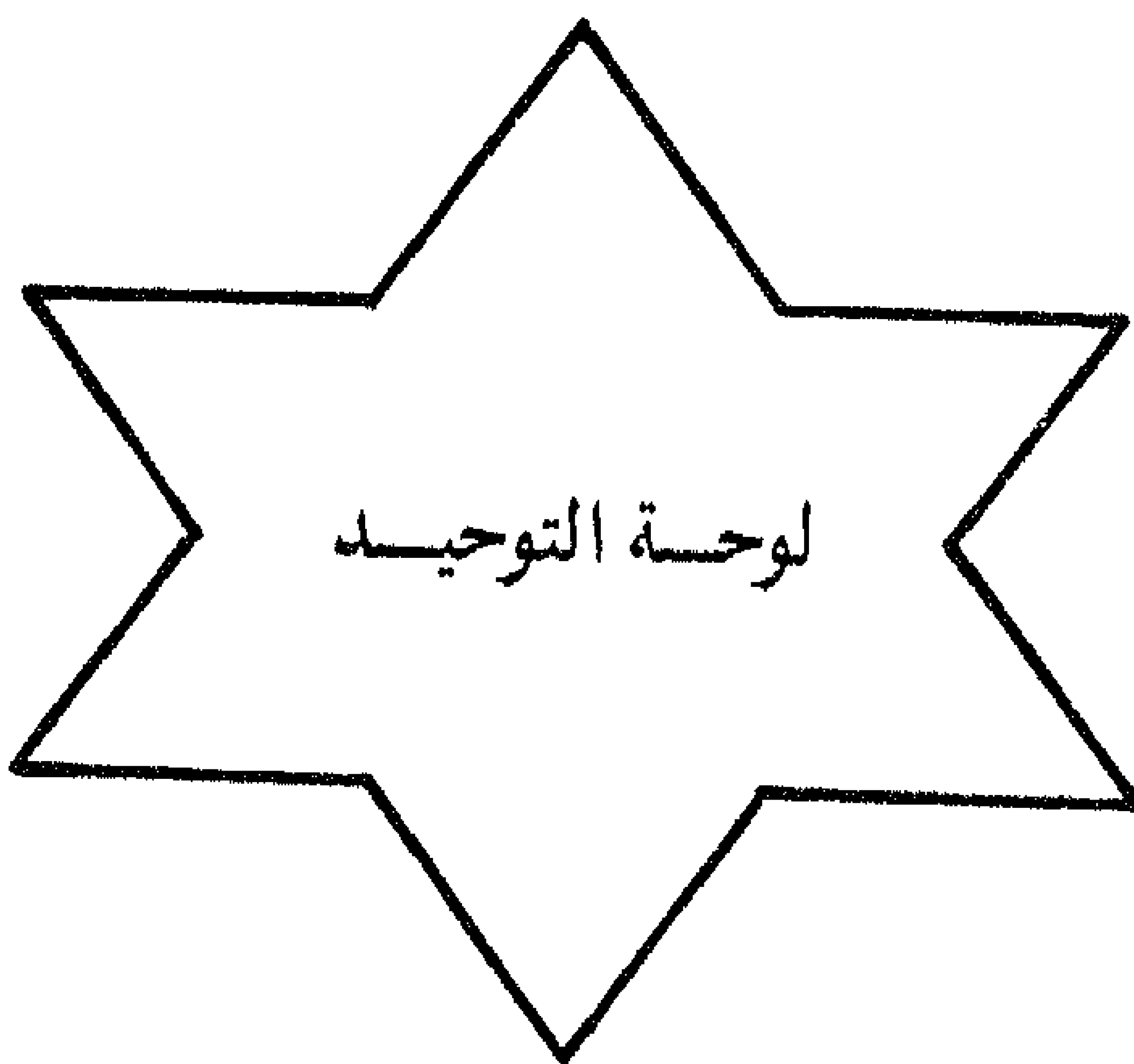
وفى اليونان تجسيد آدمى رأى فيه اليونانيون تعبيراً عن الخلق والجمال والفن فى الرجل والمرأة والرجل المندمج فى الحيوان وقوة الخالق برمز التزاوج والبعث بين الرجل والمرأة صورة الاله على الأرض فى شتى وجوهها وأحوالها فكانت ديانة رمز ية روحانية دنيو ية سجلتها أقوال الحكماء وفلسفتهم والشعراء وأساطيرهم و يأتى موسى بوحدانية صحيحة كانت فى عقول الناس وقلوبهم فأبطل مظاهرها المجسدة بصورها عندهم وجعل الناس يبحثون عن الله فى الفضائل وفى أعمالهم الصالحة باطاعته والسير على شر يعته و يعبدونه فى قوانينه وشر يعته دستور الحياة الفاضلة واطاعة عهده وأنذر بالعقاب والعذاب لمن عصى و بالثواب لمن اهتدى.

وهكذا ثبت الدين الجديد ودعم نصائح وحكم الأخلاقيين والقيم فى الأقوال والأمثال المشتركة التى تطق بها حكماء المصر يين بل وحتى الأمثال الشائعة بين الشعوب المتشابهة فى الهدف الفاضل وان اختلفت صيغها إلا أنها أتت متطابقة روحانيا وقد أثرت البيئة المصر ية التى عاش فيها بنو اسرائيل فى أعماقهم وكان موسى يخشى ذلك الأثر عليهم فقال لهم بعد خروجهم من مصر وقبل وصولهم إلى كنعان كما ورد فى (لاو ين ١٨ / ٣) « مثل عمل أرض مصر التى سكنتم فيها لا تعملوا » بل خاف عليهم من أثر كل بلد لا تؤمن بشر يعته فيقول فى نفس الآية « ومثل عمل أرض كنعان التى أنا آت بكم إليها لا تسلكوا » وصدق الله العظيم فقد كان الكنعانيون عبدة للثور أيضاً وقد كان قوله هذا دليل واضح على شدة تأثر بنى إسرائيل بالمصر يين وأثر ما أخذوه عنهم من تقاليد وأدب وحكم مصر ية.

فكان ذكر إله مجرد بدون تحديد هو ملاذ لكل الناس يلوذون جميعا بواحد أكبر من كل الأشكال والرموز وهذا هو الايمان بالوحدانية التلقائية فى نفوس الجميع وخاصة الحكماء وأهل

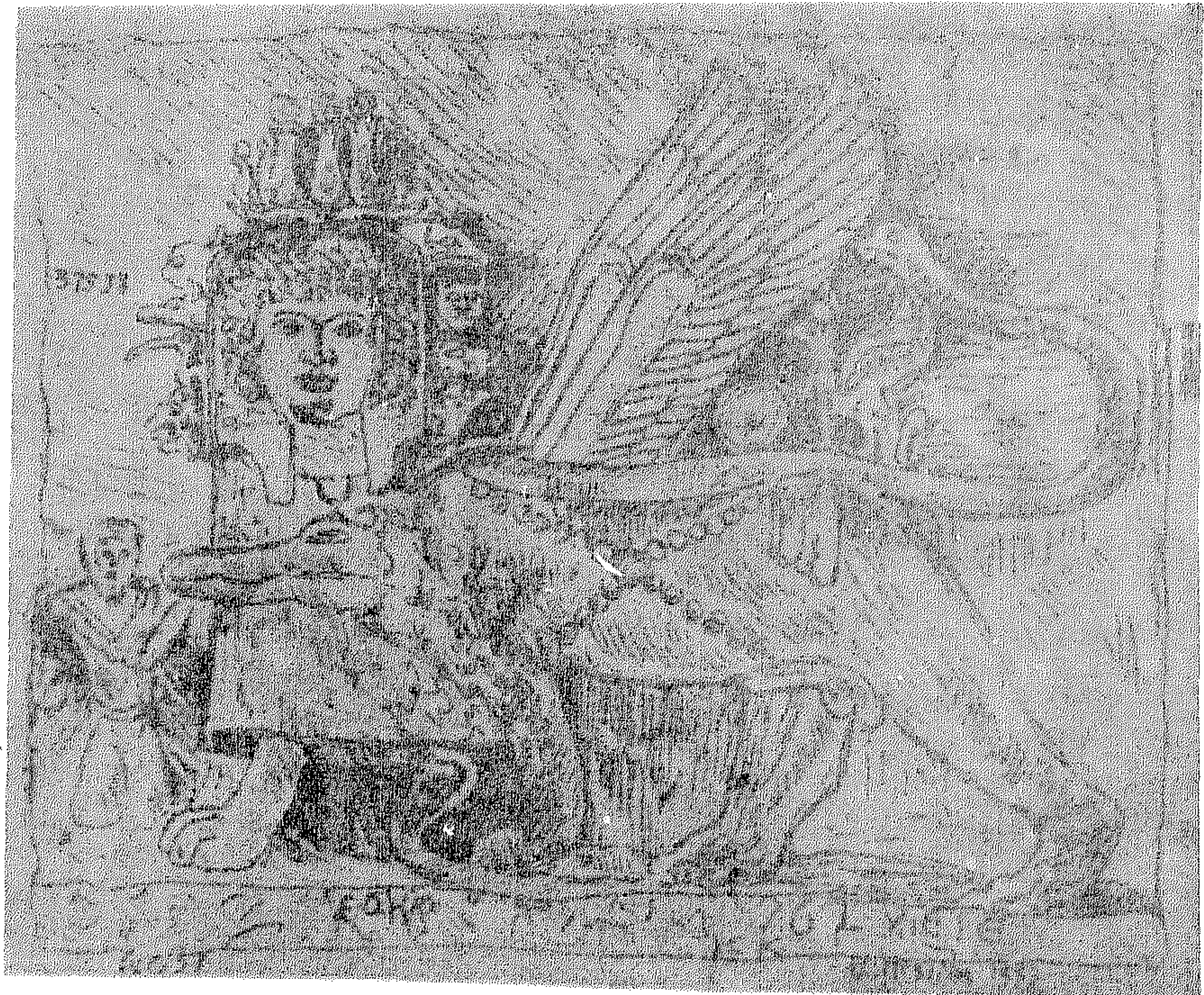
العلم رغم تعدد الأشكال المقدسة الظاهرة إلا أن الوحدانية هذه كانت غير متكاملة المعالم غامضة التعبير عن نفسها بدائية فى المظهر والتمثيل تسيطر عليها طقوس ومراسم تزيد فى غموضها وقد كان ذلك طبيعيا فى مثل هذا الوسط البدائى ولم يظهر فيه إلا الأخلاقيون الحكماء دون أن تكون لحكمهم قوة سماوية تلتزم بها الناس أو نبى يوضح الوحدانية المستترة وراء كل تلك الطقوس والتجسيدات كما أوحى إلى موسى الذى أدرك تلك الوحدانية أثناء وجوده بمصر ودراسته فيها وتعلمه طقوس ديانة مصر ومراسمها وتثقف بحكمة حكماء مصر وأحاط بعقائد هذا المجتمع الوثنى وعدم قدرته على التعبير عن الوحدانية فكشف عن سر هذا الغموض فأبطل التجسيد بكل صوره فى مصر وفى غيرها من الحضارات الأخرى وخاف على أتباعه ان تضللها هذه المظاهر كما ضل بها كثير من البسطاء فى مصر فنهى بنى اسرائيل عن أن يعملوا ما كانوا يفعلون فى مصر التى سكنوها فيما قبل خروجهم فى طريقهم إلى كنعان كما سنرى من ردتهم إلى الرجوع إلى عبادة الثور.




لوحـــة التوحيـــد

لوحة رقم (١)، (٢): لوحة الوحدانية





كان ز يوس إله الشمس عند اليونانيين قد تمثل فيه الخير كله فى قول بلوتارخوس ، كما كان يعتقد و يفكر العقلاء فى وجود الهين احدهما إله الخير والآخر إله للشر . وهكذا بالطبع على عكس أهل الديانات السماو ية يهود ومسيحيين ومسلمين فهم لا يعتقدون إلا فى إله واحد هو الخير كله أما الشر فمن مخلوقاته من بشر وشياطين من شر ما خلق وهو الذى يهيمن عليهم جميعا ويهديهم سواء السبيل وعنده الحساب أما عقلاء الفرس ففكروا فى أهورا مزدا إلها للخير واهريمان إله الشر والظلام وز يوس كان نقيضه عند اليونان هادس Hades إلها للشر فانظر ما يقوله سترايون ان « اليونانيين كانوا يكنون لز يوس أكبر تقديس » (٤٧) وكان الذى يرمز إليه من حيوان طائر النسر لعلوه وقوته وأما شعاره فكانت الصاعقة بصفته إله الشمس والفضاء . وكان تمثيل رموزه دائما على النقود البطلمية نسر واقف على صاعقة أما هو كما تراه على نقود الاسكندر ية الرومانية والنقود الرمانية الأخرى غير المصر ية وعلى الأحجار المقوشة فرجل نصف عار وله لحية وممسكاً بيده أحياناً النسر وأحياناً الصاعقة ومتوجاً بتاج مشع وأحياناً يكون النسر واقفاً عند قدمه وأحيانا على العملة الرومانية تجده رافعا يده إلى أعلى فى وضع الاله المهيمن ممثلاً للشمس و باسمه أى « صول » كما أوضحنا فيما سبق هذا الاله الذى يدين له اليونانيون بأعظم تقديس قد اندمج فى الآلهة المصر ية الشمسية وكلها الهة للخير فى مصر وفى غير مصر فاندمج كما أشرنا فى آمون الاله المصرى وصار باسم « ز يوس آمون » وهو إله له لحية وشعر كث وعلى رأسه المكلل بالغار قرنى آمون كما هو ممثل على نقود البطالمة البرونز ية . ثم فيما بعد اندمج بسرابيس هليوس أى الشمس على النقود البطالمة البرونز ية . ثم فيما بعد اندمج بسرابيس هليوس أى الشمس على النقود الرومانية المصر ية أى عملة الاسكندر ية و بصفته هذه أى إله آمونى يكون قد اتحد ضمنا و بصورة غير مباشرة مع كثير من الآلهة المصر ية ففى الفيوم يندمج بالتمساح فى

مدينة التمساح Crocodilopolis اليونانية أى الفيوم وهو المسمى باليونانية سوخوس ، ثم باعتباره امون مختبئ فى الماء وقد أخبرنا سترابون الذى رأى بنفسه ان فى بحيرة المعبد فى الفيوم تمساحاً أليفاً مع الكهنة فقط يحضر إليه العابدون الذين يريدون استشارته فى أمورهم بالهدايا من مأكولات منها الفطائر واللحم المشوى والقمح والنبيذ المخلوط باللبن وغير ذلك (أنظر ملاحظة ١٢) و يطعمه اياها الكهنة بأيديهم فقد كان أليفا مستأنسا معهم فقط هذه الآلهة الشمسية ترتبط بها الأرض الزراعية وفصول انتاجها مع تطور الشمس فقوة الخلق وانبات الأرض متجسد عند المصريين فى أوزيريس الماء المخصب وهو أيضاً القمح نفسه الذى يبذر فى الأرض و يتحلل فيها كالزواج تمتصه ازيس و يفنى اوزيريس وهو فى ذلك يكون (الضحية الكبرى) وإذا بالحياة تعود من جديد عندما ينبت الزرع ويخضر ثم تخلق السنابل قمحا جديدا هو حورس (الخلق والانتاج من هذه الزيجة لاوزيريس وازيس . وهذا هو الثالوث الأزلى فحورس هو الانتاج والكوزموس و بعث الحياة الجديدة أى الخلق أو آمون الشمس الصغيرة التى تكبر ثم تشتد وقت الظهيرة ثم تغرب وقت الغروب وتموت وتختفى ليلاً ثم تنبعث فتولد مع أول خيوط الشمس فى الصباح وهذه صورة تأملها المصرى القديم للنبات ودورة الشمس نهاراً وليلاً ثم الشروق أو البعث فى الصباح بعد ان يولد من جديد ليلا (ملاحظة ١٢) .

حركة لا نهائية سرمدية للحياة لا تتوقف بالتضحية الكبرى لأوزيريس ودفنه فى الأرض وقت بذر القمح كما الحبوب بعد بذرها فيموت فى باطن الأرض كالشمس ليلاً بعدها يعود للحياة فى صورة السنابل الجديدة وهذا تفسير لأسطورة ولادة ازيس لحورس من أوزريس وهو ميت كما يقول بلوتارخوس (٤٨) .

فارتباط الحيوانات الزراعية وخاصة الأبقار بهذه الدورة الشمسية الزراعية أمر لا مفر منه عند هؤلاء البدائيين فما تقوم به هذه الحيوانات من دورهام وماتسديه لهم من خدمات أمر لا غنى عنه فحياتهم كلها تتوقف على الانتاج وهو أمر حيوى بالنسبة لمجتمع من الفلاحين . وقد كان تحليل الأستاذ بادج Budge (٤٩) لدور العجل الهام للفلاح تحليلا موفقا فعنده « ان النيل أى اوزيريس يفيض بمائة على الأرض وحابى (ابيس) هو الطاقة التى يمكن المصرى من حرثها » وهذا أمر طبيعى أن يقدس من أجله الفلاح الثور فبالقياس إلى قوة الثور الهائلة بالنسبة للفلاح ولخدمة الأرض يرى الفلاح نفسه ضئيلا إلى حد انه لا يعدو شيئا بالنسبة له فلا عجب اذن ان يعزه و يعجب به و يقدسه فعليه تتوقف حياته ورزقه وفقاً لما يقوله ديودوروس صراحة فى عبادة هذه الأبقار مشيراً خاصة إلى عجلتى ابيس ومنيفيس فكليهما نافع للزراعة قد قدسا كالالهة كما علم (الناس) أوزيريس ثم أيضا هؤلاء الذين كانوا أول من اكتشفوا استثمار الأرض « فقد آتت أكلها على مر العصور نتيجة عمل هذه الحيوانات » فنفع هذه الحيوانات كان سببا فى عبادتها كالالهة الرازقة للفلاح وقد كان ذلك مضللاً للكثيرين من البسطاء السذج فوقعوا فى

حماة الخرافات كما ذكرنا عن بلوتارخوس الذى حدد هو وغيره من المؤرخين أسباب عبادة هذه الحيوانات رغم ان تلك الرمزية وذلك التجسيد فى صورة الحيوانات قد دفع بكثيرين من المصريين إلى ضلال الخرافات والكفر إلا ان العقلاء والمدركون لحقائق فلسفة اللاهوت فى مصر يعلمون علم اليقين ان الاله الذى هو ملء السماوات والأرض ليجل عن ان يمثله انسان أو حيوان كما يقول سترابون على لسان موسى عليه السلام كما تعلم فى مصر حكمة اللاهوت الدقيقة الحذرة فيما يخص هذا الأمر إذ لا يعدو الأمر ان يكون هذا الرمز دلالة صغيرة على قدرة الاله التى تتمثل فيه فعندما أراد هؤلاء العقلاء تعبيراً لمفهوم وحدانية الاله الأكبر فى شكل واحد جمعوا كل مايدور فى خلد الناس وتصوراتهم فى صورة واحدة جعلوها فى لوحة واحدة تجمع مع رمز الشمس الذى جعلوا منه رمزا وقرينا أى ديميورج للاله الخفى الذى يملأ جبروته وقدرته ونعماؤه السماوات والأرض فجسموا كل تجسيدات خصائصه ومميزاته فى أشكال ورموز حيوانية فلما أتى موسى وهو الواعى لتلك الفلسفة القديمة محى كل هذه التجسيدات له ولاراداته فى كل أشكالها وعبده وحده بغير صورة .

فانظر اذن هذه اللوحة الفريدة التمثيل لتلك القدرات فى صورة الحيوانات التقليدية التى أجمع المؤرخون على أن المصريين كانوا يقدسونها وقد تجسمت فى لوحة واحدة تمثل البانثبون المصرى أى التاسوع أى مجمع الآلهة فى مدينة كوبتوس التى تشهد بوحدانية الالهة التى تشمل كل شئ وقد وافق الاثريون من العلماء مثل الأساتذة بيردريزيه «P.Perdrizet» (٥٢) واوكتاف جيرود O Gueraud (٥١) على تاريخ هذه اللوحة فى مطلع القرن الثالث الميلادى (٢٠١ ــ ٢٠٩) وهو العصر الذى يقول عنه الأستاذ بيردريزيه « انه العصر الوثنى الذى بدأت فيه الوحدة الشاملة أى ــ الوحدانية فى الظهور وقد وحدت أو ادمجت فيها نظرية فلسفة التجميع ، كل الفضائل والقدرات والرموز وقت ان اضمحلت الوثنية وطغت عليها فكرة الوحدنية » فى عصر الامبراطورية . وقد أصاب بيردريزيه فى ذلك وكان منطقيا فى رأيه فالواقع ان ذروة انتشار العبادة المصرية فى العالم الغربى وفى روما خاصة وتشبث واصرار الأباطرة بالمحافظة بكل قواهم على مصر خاصة وتثبيت سلطتهم وسيطرتهم عليها وقد كانوا ملوكا آلهة عليها فى تقاليد مصر كخلفاء للفراعنة أصحاب الهيمنة العالمية وأبناء الشمس الكوزموكراطيين وطموحهم القوى ان يكونوا ملوكا آلهة فى بلادهم كما هم فى مصر وان يجعلوا من أنفسهم كوزموكراطيين لهم السلطة العالمية على الامبراطورية المترامية الأطراف التى أرادوها على غرار امبراطورية الاسكندر الأكبر فى سيطرته على العالم الهيلانى وشدت انتباههم الديانة المصرية فتشبثوا بها وروجوا لها عندهم ليتمكنوا فى بلادهم من ان يصلوا الى درجة الآلهة الحاكمين على شعوبهم وان تؤمن بهم الشعوب وتقبل حكمهم الثيوقراطى عليهم كالاسكندر الأكبر من قبلهم فيضمنون وحدة عالمهم الرومانى المختلف الأجناس فى وحدة سياسية تساندها وحدانية دينية

متمركزة فى شخص الامبراطور أثناء حياته وقد كانوا يؤمنون بتأليه أبطالهم وحكامهم بعد موتهم لا قبل ذلك أثناء حياتهم فكانت غايتهم أن يكون حكمهم لشعوبهم ثيوقراطيا وأن يكون الامبراطور على رأس الدولة امبراطوراً إلهاً ، وفى تلك الفترة أيضاً تظهر تماثيل كثيرة جداً لعجل أبيس الامبراطور أى امبراطور بقناع عجل أبيس جالساً على العرش كما كان يؤمن المصر يون واليونانيون فى مصر به كما نرى فى البردية التى نشرها الأستاذ تيرنر التى يذكر فيها أبيس «بسيدى أى مولاى أبيس» إذ يقول الرجل فى خطابه لأخته أنه صلى من أجل صحتها أمام «الإله أبيس» (٥٣) .

وقد كان أبرز من طمع فى تحقيق هذا الهدف هو الامبراطور كاركللا (٥٤) كما ظهر ذلك على النقود التى ضربت فى عهده .

فلوحات النذور الرامزة للوحدانية هذه قد انتشرت بالتحديد فى عصر الأباطرة سبتم سفيروس وكركللا كما يقول جيرود Geta وهذه اللوحات بالذات تمثل كلها آمون أوز يوس اليونانى أو جوبتر الرومانى فى شكل أسد برأس امبراطور وهو أبو الآلهة جميعا وسيدا لبانثيون المصرى اليونانى الرومانى فى مصر وهو الذى تشمل قدراته كل رموز الآلهة الطيبة الآخرين فيما تشكلت به من صور حيوانات قدست من أجله ومن أجل الآلهة التى تمثل نواحى قدرات أبيهم أجمعين والذين يتمثلون على هذه اللوحة فى تاسوع كوبتوس وعلى رأسه الامبراطور الرومانى بن آمون وممثله الحاكم على الأرض والسماء أيضاً أى المهيمن على العالم كله كوزموكراتورا سياسيا ودينيا خليفة للفراعنة إلا أن تمثيل الاندماج هنا فى الاندروسفنكس الذى يجمع كل صفات هذا التاسوع الالهى قد أبرز فكرة التوحيد بين كل هذه الرموز فى واحد أى فكرة الوحدانية (المونوثيزم) الحقة على هذه اللوحة بدلالة واضحة على وجود الاله الأكبر الباطن الخفى ظاهر القدرة فى تصور الناس وقد أظهرته سياسة الحكم الدينية لأعيننا بجلاء وهذا تصور يثبت لنا ان ما ذهب اليه اخناتون لم يكن إلا انشقاقاً ظاهر ياً عما أسموه بالشرك أى البوليثيزم Polytheisme- غير ذى شمول كاف فهذا الاله الخفى الذى يمثل العالم كله برمزه ووسيطه الشمس ، كما يصفونه بآمون « وهو لفظ يعنى الخفاء » وفقاً لذكر بلوتارخوس (٥٥) على لسان مانيتون السبنيتى (من بلدة سنبتيز Sebennytes بالوجه البحرى) ثم على لسان هيكاتوس يقول بلوتارخوس ان المصريين يستعملون هذه الكلمة فى تحيتهم بعضهم البعض فالكلمة تستعمل للمخاطبة ثم يقول بلوتارخوس ان هذا اللفظ «آمون لفظ نداء» فإذا ما دعى المصريون «الاله الأكبر الذى يعتقدون أنه «فى كل مكان» يدعونه بلفظ آمون « فهو خفى لا يرونه و يتضرعون إليه ان يتجلى عليهم و يظهر لهم » .

ان الاله المتصور فى فكرهم /تحس به نفوسهم لا يعرفون كنهه ولا شكله فإن جسدوه فما ذاك إلا رمزاً لمن لم يروه ولم يعرفوه بل لمجرد شعورهم ،قد اختار موسى ان يعبده بدون صورة وقد أثار هذا

التـعـبير أى آمون اعجاب بلوتارخوس كما يقول « بحكمة المصريين العظيمة المتسمة بالحذر عندما يفـكرون فى المقدسات » و يأتى موسى إلى العالم بكل هذه الأسرار ودقائق النظريات الفلسفية الحذرة «eulabeia» فى العـقـيدة المصـرية ويمحو كل هذه التجسيدات والرموز و يرجع إلى أساس عـقـيدتهم بأن الالـه عندهم هو الخفى الذى لا يمكن ادراكه بالحواس الآدمية فلا يرى ولا يسمع ويجل عن كل وصف وتصوير وان بقية الآلهة كلها وسطاء بين العالم النورانى (الحق) وعالمنا الدنيوى فعبد موسى الله فى معبد يهودى بدون صور وسار على أثره المسيحيون فى الكنيسة ثم يـأتـى الاسـلام فـيؤيد ذلك فى المسجد عبادة روحية لا يتصل الانسان بالله عن طريق تجسيد أو تـصـور رمـزى أو وسـيـط ديميورج بل يتصل العبد روحانيا بالله مباشرة بعقله وروحه فى المنطلق القدسى .

ثم ان سـتـرابـون يخـبرنا ان المصريين أجمعوا كلهم فيما بينهم على عبادة بعض الحيوانات منها « ثـلاثـة تـمـشـى على أرجـلـهـا هـى العجل والكلب والقطة » (٥٦) ثم الطيور اثنين هما الصقر وابيس » ومن الحيوانات المائية سمكتين « سمكة الابيدوتون وسمكة الاوكسير هينكون (التى سميت باسمها مدينة أوكسير هيبكوس ــ البهنسا الحالية بالفيوم) .

فـأمـا الـثـلاثـة حيوانات الأرضية والطائران التى أجمع المصريون على تقديسها فى كل مصر فـقـد مثلوا ضمن الثامون الذى يحيط كالهالة برأس أبى الهول على لوحة التوحيد ضمن الحيوانات الأخـرى الـتـى كـانـت مـقـدسـة عـنـد جماعات أخرى متفرقة فى الأقاليم المصرية كالكبش فى ساس وطيبة والذئب (بن آوى المصرى) فى مدينة ليكوبوليس Lycopolis ثم الأسد فى مديـنـة لبونتوبوليس ثم الكلب أو انوبيس Anubis فى مدينة كينوبوليس أى مدينة الكلب فـيـمـثـل هـذه الحـيـوانـات الـتى أجمع على عبادتها المصريون فيما بينهم ثم تلك الحـيـوانـات الخـاصـة التى قدسها الناس فى الأقاليم المتفرقة الدليل على ان هذا ا لتاسوع قصد به صـفـات ومـنـافـع هـذه المجـمـوعـة فى واحـد مما يدل على وجود هذا الخفى الذى يشملها جميعا فى تـفـكـيرهـم دائما فهذا التاسوع بوضعه الاندماجى فى جسم أبى الهول برأس الامبراطور دليل واضح على الـوحـدانـيـة وشمول هذا الواحد على صفات كل هذه الموز كما ترى ممثلا فى الثعبان وفى رمز الالهة نميسيس Nemesis (أى الجريفون الرابض على ظهر الأسد) وهو رمز الانتقام .

تجـمـعـت اذن هذه الرموز فى واحد على لوحة النذور المقدمة إلى إله آمونى محلى تمثل مميزات وصـفـات تـرمـز كـلـهـا إلى قدرات هذا الواحد الخفى ولننظر إلى ما أورده المؤرخون الذين أتوا إلى مصر وعـرفـوا أسـرارهـا من منابع وثيقة وسألوا وعرفوا ماذا ترمز إليه هذه الحيوانات وما تمثله عند المـصـريين الـقـدماء وكان ديودروس واضحاً ومنطقياً فى قوله انه بسبب (٥٧) « الخدمات التى تقدمها هذه الحيوانات من خير ونفع لحياة الجماعة والبشر » .

فماذا اذن فى مفردات هذا التاسوع من نفع بالنسبة للمصريين ؟ يقول ديودورس (١ و٨٧ و٢) ان الخراف تضع حملين كل عام وبصوفهاينتفع الناس بحماية أجسادهم بكساء جميل ثم من لبنها يأكلون طعاما من جبن شهى أما البقرة فمنافعها لاتخفى ولكن ديودوروس يذكر عنها انها « تلد الشيران » كما يقول Loeb إذ أنهم كما يقول ديود وروس أساس العمل الزراعى « وعمال الأرض » ثم أن الثيران كما سلف ذكره هم المنتجون لثمار الأرض ، وما أدراك ما شأن الثيران بالنسبة لمصر وللمصريين وغيرهم فى البلدان الأخرى كما سنذكر. ثم أن البقرة أيضاً كما يقول تحرث الأرض اللينة (٥٨) وأما الكلاب فنافعة كما يذكر فى الصيد وحماية الانسان ولهذا « نجد المصريين يمثلون الاله المسمى انوبيس برأس كلب » (٥٩) « فيظهرون بذلك انه كان حارسا لاوزيريس واز يس » (٦٠) ثم يفسر البعض بأن از يس كانت تحرسها الكلاب أثناء بحثها عن أوزيريس من الحيوانات المفترسة وقطاع الطرق (٨٧ — ٣) وساعدوها بنباحهم لحبهم اياها فكان ذلك سببا فى ان « كانت الكلاب على رأس الموكب فى عيد از يس » (٦١) .

أما القطة فكما يروى عنها ديودوروس فيا عدا خصائصها الكثيرة مما يذكره غيره من المؤرخين يقول انها تحمى الناس من الثعابين المميتة والزواحف الأخرى كذلك الطائر ايبيسى فيا عدا مزايا كثيرة له وردت عند المؤرخين الاخرين يقول عنه ديودوروس (٨٧ — ٦) انه كان يقيهم أيضا شر هذه الزواحف وكان الصقر يحميهم من العقارب والحيات ذات القرون والهوام الليلة الضارة بالانسان ثم كان يكرم أيضاً بصفته فى التنبوءات يستعمله المتنبؤن للكشف عن المستقبل » (٦٢)

ثم ان الذئاب قد كرمت لأنها لاتختلف كثيرا عن الكلاب فى طبيعتهم فبتزاوجهم من الكلاب ينتجون صغارا ثم كرموا أيضا عندما تخفى اوزريس فى شكل ذئب ليساعد از يس وحورس فى حربها ضد ست (ديودوروس فقرة ٨٨ — ٦) ثم ان البعض يقول ان الأحباش لما ساروا ضد مصر اجتمعت أعداد كبيرة من الذئاب وطاردت الغزاة إلى ما وراء الألفانتين ولذا فقد أطلق على هذه المديرية اسم مدينة الذئاب ( ) — ليكوبوليس » (٦٣) .

وقد أضاف ديودوروس إلى التمساح بله ما فيه من مزايا كبرى هامة يعتبرها المؤرخون شديدة الشبه بالاله كما ذكرها بلوتارخوس و يلينى كما أوضحنا فيا سبق أنه قد سأل كيف لحيوان ان يكرم مع انه من أكلة البشر فكان رد المصريين ان الحدود الآمنة لمصر ليست النهر فحسب بل بالدرجة الأولى لأن التماسيح فيه وعلى ذلك فلصوص ليبيا وصحراء العرب لايجرؤون على أن يعبروا النهر سباحة فالتماسيح كثيرة العدد فى الماء) (٦٤) فهذه حماية وحرس حدود ضد العابثين .

أما عن الثورابيس أو الفحل المقدس فسترى من أمره عند المصريين عجبا وسترى له شأنا فى عباداتهم وعبادة اليونانيين والرومان له فى العالم الرومانى ثم مصارعته حتى الآن فى صورة ثوراسبانيا (Toro) أما فى هذا المقام فيكفى ما أشرنا إليه سابقا من قول ديودوروس (انظر ملاحظة ٤٦) واشارته فى ذلك الى عجلى ابيس ومنيفيس ونفع كليهما للزراعة كان سببا فيما أوصى به أوزيريس الناس من عبادتها كالآلهة تماما ، ثم قول هؤلاء الذين كانوا أول من اكتشف استثمار الأرض انها أتت أكلها على مر العصور والأجيال نتيجة عمل هذه الحيوانات ثم قوله بالنسبة لكل الحيوانات المقدسة عن خلق المصريين « ان احساس المصريين بالعرفان عموما يفوق الشعور به عند الشعوب الأخرى اذا أنهم يعتقدون ان رد الجميل لفاعله أمر له أهمية قصوى كمصدر للحياة » (أنظر ملاحظة ٥٠) .

هذا هو بعض معنى ما ترمز إليه الحيوانات الممثلة فى هذا التاسوع من خير ومنافع وخاصة من حماية تضمنتها كل هذه الرموز و ينفرد بها كلها الاله الواحد آمون بتجمعهم و باندماجهم فيه لا لعبادة هذه الحيوانات وانما هى مرايا تعكس نواحى الخير فى الاله الخفى ليعبد هو فى تلك الرموز وهى لا تعبد لذاتها كما يقول بلوتارخوس فيما سبق ذكره .

صفت هذه الحيوانات الثمانية حول رأس الامبراطور الكوزموقراطى خليفة آمون وابنه وممثله على الأرض كأسلافه الفراعنة فيما مضى فعلى الشمال نجد أربعة منها فى أعلاها الثور وتحته الذئب (بن آوى المصرى) وأسفله الطائر ابيس ثم الأسد فى الآخر . ثم على اليمين نجد الخروف يعلو الأربعة رؤوس الأخرى وتحته القطة ثم تحته الكلب ثم آخرهم الصقر وعلى صدر الأسد أبو الهول ترى رأس التمساح كبيراً كأنه رأس آخر لجسم الأسد تحت رأس الامبراطور و يعتقد جيرود ان تمثيل رأس التمساح بهذا الكبر ناتج من علو قدر هذا الحيوان وشهرة عبادته فى العصور المتأخرة وهذا رأى له اعتباره فقد انتشرت فعلا عبادة التمساح مرتبطة بعبادة اوزيريس وحورس فى أراضى المستنقعات فى الدلتا كما كانت فى مدينة الفيوم على بحيرة مور يس وقد اختلط التمساح فى البانثيون المصرى بشخصيات الآلهة المصرية اليونانية الرومانية حتى مثل على نقود الأقاليم فى العصر الرومانى وخاصة على نقود مديرية «Menelaitopolis» فى الدلتا التى ضربها الامبراطور تراجان فى أول القرن الثانى الميلادى وقد اندمج التمساح فى حورس أى حورس كاتوبوس عاصمة الاقليم فكان نصفه الأعلى يشكل حورس برأسه الآدمى وسبابته فى فمه وحاملا قرن البركة على كتفه والنصف الأسفل بشكل التمساح . ولكن ليس بسبب هذا القول فحسب كرم التمساح بل ان كنه الأمر يتعلق بالدرجة الأولى بمشابهة التمساح للاله فى مميزاته وخصائصه الأمر الذى تسترعى الانتباه أهميته من قول بلوتارخوس « ان تقديس التمساح لا يخلو من سبب معقول » (ملاحظة ٣٤) فهو الحيوان الوحيد الذى ليس له لسان و يذكر ذلك أيضا بلينى فى تاريخه الطبيعى (انظر أيضا ملاحظة ٣٥) فيما سبق فالقول الالهى لا يحتاج إلى نطق وهو

الوحيد أيضا الذى يعيش فى الماء وله غشاء شفاف على جبهته وعينيه فيرى ولا يرى (ملاحظة ٣٤) ولذلك كان التشابه واضحاً وقوياً فى انه لا يُسمع ولا يُرى كصفة الاله الأعظم وقد مثل هنا ليكمل التاسوع تمثيلا لصفات الاله الأكبر كقول بلوتارخوس ، بصفة أخرى تظهر سبب وضع التمساح فى ضخامة تمثيله أكبر من الرموز الأخرى مما يميزه عن غيره من الحيوانات ، صفة تشير إلى آمون الخفى الذى لا يراه أحد ولا يسمعه ثم ان التمساح أيضا ينفرد بغريزة تنبؤه بالغيب فيذكر بلوتارخوس و بلينى (ملاحظة ٣٤ ، ٣٥) ان انثى التمساح تضع دائماً بيضها خارج الخط الذى يرتفع إليه النيل مسبقاً قبل فيضانه فى العام التى تضع فيه البيض وفى ذلك يقول بلوتارخوس (ملاحظة ٣٨) ان هذا ادراك أو احساس دقيق بالمستقبل » .

لهذا كان التمساح يرمز بشكل واضح فيما يراه المصريون فيه إلى صفات الاله الأعظم الهامة ، الخفاء والسكوت وعلم الغيب وكان واضحاً أن هذه العقيدة عند الناس قد أوحت إلى الفنان بتضخيم حجم رأس التمساح أكثر من غيره من الحيوانات الأخرى فى هذه المجموعة الالهية وكان تناسب حجم رأسه لجسم الأسد حتى لكأنه رأسه إشارة إلى أنه خفى لا يراه أحد فقد كان التمساح رمزاً أقوى شبهاً فى صفاته بآمون و يكاد تمثيله لهذا الوضع ينطق بذلك فالتصاقه بجسم الأسد واندماجه التام فى رمز الاله آمون أى الخفى دليل على أن بقية الرموز المحيطة برأس الامبراطور الكوزموقراطى كانت مفردات من قوى آمون الخفى أوحى بها لممثله على الأرض أى الامبراطور من اراداته الحسنة الطيبة التى تمثلها هذه الرموز خيراً للناس ونفعاً ورحمة فكان هو الباطن الخفى الذى لا تظهر له رأس (كما كان كل اندروسفنكس أى أبوالهول فى كل العصور) فى ذلك التمثيل الآمونى الذى شمل فى وحدانيته كل هذه الرموز ولكن برأس الامبراطور خليفته سياسيا وممثله على الأرض والذى وهبه الاله الخفى مساندة وتأييدا من عنده روحا قدسية وحماية تؤيد الفرعون فى حقه الالهى للحكم .

بعيداً عن سياسة الحكم كان هذا هو التصور للاله الذى فهمه موسى واستخلصه من تعلمه العلم والحكمة فى مصر فاختار الاله على أساسها دون أن تكون له صورة بل عبادة روحية للرب بروحه ليس لها تصور إلا الشمول والوجود الذى وسع السموات والأرض .

فأى إله كان فى هذا البانثيون الآمونى قطعاً ليس التمساح ولا غيره من الحيوانات الممثلة معه وليس الامبراطور ممثل الاله على الأرض وظله فيها فالكل لم يكن إلا رمزاً للاله الأكبر الذى ليست له صورة ويمكن فى عقل وقلب وروح كل بشر ذى فطنة وفى كل المخلوقات الأخرى انه يرى ولا يرى و يتكلم ولا يسمع أنه فى كل مكان لا يدرك بالحواس فانظر كيف أبدع بلوتارخوس فى مقارنته وصف الارادة الالهية التى لا تحتاج كلاماً بتلك الصورة الشعرية للشاعر الدرامى يوريبيدس « على درب بلا جلبة يرشد بالعدل أعمال البشر » (٦٥) .

أما جناحا الأسد نفسه رمز الشمس العالية والقبة السماوية والفضاء اللانهائى كما كان بهما يُمَثل أبو الهول فى العهد الفرعونى فيدل عليهما هذا الغطاء الذى ربط على جسمه كما يبدو من الحزام المتقاطع على جنب جسم الأسد إذ أنه أثر من جناحين تقليديتين ومضمونتين على ظهر الأسد كما هو واضح على ظهور الأسود (أبو الهول) الممثلة برؤوس الفراعنة المصريين السابقين كرأى الأستاذ جيرود فأحيانا تكون هذه الأجنحة منتشرة وأحياناً تكون مطوية على ظهر الأسد فهما دلالة على الصعود والارتفاع إلى المنطلق اللانهائى وأما الأرض فممثلة بشكل ثعبان فى ذيل الأسد وقد جمع هذا التمثيل الامونى فى صفات الاله الأوحد انه المنتقم الجبار بتمثيله الجريفون Grifon لبؤة مجنحة برأس كلب الواقف على ظهر الأسد و يدها الأمامية على عجلة وهى رمز الإلهة اليونانية نيمسيس Nemesis المنتقمة .

كان هذا التاسوع على هذه اللوحة مثلاً يفسر ما قاله المؤرخون المنجولون القدماء الذين أتوا إلى مصر وتعرفوا على عاداتها وتقاليدها من ان المصريين يعتقدون ان الوفاء للمحسن عون لهم على الحياة كبير فتقديس الحيوان عندهم إنما هو نوع من الاهتمام والعناية والمحافظة والاعزاز للحيوان وكل ذلك أوجه من الوفاء له يزيد من خيره و يدر عليهم نفعه وهو ما يرون فيه وجه خير من أوجه الاله فالوفاء له ضرورة تعود عليهم بالرضى و بالنفع وقد قال بلوتارخوس ان الانسان لم يكن يشعر بقداسة الحيوان إلا عند موته ودفنه .

وفى تأملهم للحيوانات وقت تفرغهم فى فراغهم من العمل فى الأرض انتظارا للنتاج استفاد المصريون من مراقبتهم ودراستهم غرائز الحيوانات فزيادة عما ذكره ديودوروس من مميزات للطائر ابيس من القضاء على الزواحف والحشرات الأرضية يقول بلوتارخوس انهم استخلصوا من هذا الطائر نفعا وقائيا فكان أكثر الكهنة تشددا فى التطهر يأخذون ماء التطهر من الموضع الذى يشرب منه هذا الطائر إذ انه « لا يقرب ماء غير نقى ولا يشرب من موقع ماؤه آسن » (٦٦) .

أما هيرودوتوس (الجزء الثانى / ٣٥) فقد حار فى تعليل عادة تقديس الحيوان عند المصريين فلم يجد لذلك تعلة إلا أن المصريين « لهم جو خاص بهم كما ان نيلهم يختلف أيضا فى طبيعته عن كل الأنهار الأخرى ولذا فقد أتت عاداتهم وقوانينهم مخالفة تماما لمعظم الشعوب الأخرى » هذا رأى لمن لم يمكنه معرفة كنه نظرتهم لعدم تفاهمه باللغة المصرية .

فهذه المجموعة من الحيوانات الممثلة فى هذا البانثيون فى عبادتها المختلفة فرادى بين الجماعات فى البلدان المصرية المختلفة كانت سبباً فى مخاصمة الناس بعضهم لبعض حتى كان نزاعهم فيما بينهم بسببها أحياناً يصل إلى حد الاقتتال كما يذكر بلوتارخوس وقد وعى مغبة هذا الخلاف اونيا

الرابع اليهودى فى العصر البطلمى فحرص على توحيد اليهود بمعابدهم المختلفة فى مصر وان يجمعهم حول معبد واحد بناه هو فى قدسه المصرى فى تل اليهودية بالشرقية على شريعة موسى كمقدس فلسطين كما سيأتى .

أما آمون كما يجمع كل المؤرخين فكان زيوس عند اليونانيين إلههم الأكبر ورمز الشمس والعقل المدبر لكل شئ وعند المصريين كفلاحين وجدوا فى الماشية وغيرها من حيوانات صورة لنعمائه عليهم وبعيداً عن الفلسفة والسياسة والنظرة الحكيمة الدقيقة التى لا يفهمها البسطاء صوروه بالأسد أقوى الحيوانات وسيدها جميعا رمز الشمس المهيمنة والاله الأكبر آمون ثم تلعب السياسة دورها فى هذا التصور فتجعل من رأس الملك ابن آمون الخفى وخليفته رأساً للأسد بدلاً من رأسه الحيوانى و يصبح هذا التمثيل لآمون رمز الشمس برأس خليفته وابنه وممثله على الأرض فطبيعة الحكم فى مصر كان الحكم الثيوقراطى وبهذا التمثيل أصبح الفرعون مهيمناً مع آمون على العالم أجمع أى كزموقراطيا فكان أبو الهول (أو الاندروسفنكس) باليونانية تمثيلا دينيا سياسيا ابتداء من الأسرة الرابعة وكأنما وضع آمون كل قدراته الالهية بين يدى خليفته وممثله على الأرض فرعون مصر لنفع الناس وخيرهم ، وخدمتهم وحمايتهم وسيادة القانون بينهم وظل هذا التقليد ساريا من العهد الفرعونى المتقدم حتى العصور المتأخرة التى كان فيها الملوك والأباطرة الأجانب فى مصر يعتبرون خلفاء للفراعنة فثلوا على لوحات النذور التى تقدم للآلهة الآمونيين التى تتضمن اعترافا مفصلاً بتجميع قدرات آمون المتعددة إلههم الأكبر فى صورة أسد برأس الحاكم الرومانى كما كان فى العهد الفرعونى القديم و بصفاته الرمزية الممثلة فى هذه الحيوانات حول رأس الامبراطور ورأس آمون الخفى بشكل التمساح والتى من بينها الحيوانات التى ترمز للعناصر الأربعة الأرض والهواء والنار والماء وهى العناصر التى يسيطر ويهيمن عليها آمون برأس الامبراطور و بروح أبيه (زيوس آمون) يسيطر ويهيمن على العالم كله كحاكم كوزمقراطى فيعم الخير العالم كله والبشر أجمعين فقدرات الاله تتوج رأس الامبراطور سيد التاسوع على هذه اللوحة ومجمع الآلهة كلها المندمجة فى الاله الأكبر بهالة حول رأسه تذكره بوصايا آمون الذى هو خليفته على الأرض عدلاً ورعاية وردعاً وجبروتاً وشجاعة وشدة وخيرا وحباً وتسامحاً وفضيلة وغضباً وانتقاماً لمن ظلم ممن ظلم ليحفظ للناس حياة مستقرة رغدة كسيطرة أبيه آمون على العناصر الأربعة فتوازن الكون وساده الانسجام فهو المسيطر على الناس و بيده خيرهم ونفعهم اللذين ترمز إليهما تلك الحيوانات المندمجة رموزا فى الإله الأكبر أبيه آمون و يدل ذلك أيضا على ان تقديس الحيوان إنما كان لما يتمثله فيه الناس من آيات إلههم الأكبر البينات لنعمائه عليهم اما المغزى السياسى لهذه اللوحات النذرية بروسكينما Proscynema باليونانية كان له أثر ظاهر فقد حقق تشبيه الامبراطور بفراعنة مصر الذين سبقوه الهدف من ان يكون حاكما وإلها أى امبراطورا ثيوقراطيا على شعبه من غير المصريين الذين يعتبرونه إلها وملكاً لهم وهذا ما كان يسعى له

الأباطرة فى وطنهم خارج مصر ولذا فنرى على هذه اللوحة عابداً راكعاً امام أبو الهول الامبراطورى رافعاً يديه نحوه ومظهر هذا الرجل بذقنه الطويلة يدل على أنه أجنبى غير مصرى فيكون إذا الهدف السياسى قد تحقق فى جعل الامبراطور حاكماً كزموكراطور يا متصفا بكل هذه الصفات الخيرة كما سنرى من فلسفة الامبراطور جوليان المرتد .

فهذا التاسوع المندمج فى هذا الاندروسفنكس الامبراطورى والملتصق بجسم الأسد ممثل آمون الخفى أو وسيطه الديميورج الشمس المهيمنة الكوزموقراطية والذى يمثل البانثيون المصرى يرمز آلهته المحليين لايمكن تفسيره إلا بشمول آمون كل القدرات التى لآلهة البانثيون المصرى المحلية وقد أحسن الأستاذ بروجشى التعبير عن ذلك فى التقاليد الكوزموجينية أى الكونية فى كلامه عن النصوص التى وصفت الالهة حتحور الكونية وتفسيره لركوبها عربة التاسوع القدسى الكبيرة مع تفنوت ونوت واز يس ونفتيس بجميع أشكالها وأسمائها المحلية بقوله فى تعليقه « بعبارة أخرى قد جمعت كل هذه الالهات فى ذاتها وتضمنت كل خصائصها » (٦٧) .

ثم إن هذه اللوحة النذرية (بروسكينما) باليونانية كانت شفائية سحرية أيضاً يلتمس الناس بها الشفاء من آمون مَن آلامهم وضرر مايلحق بهم من قرصة العقرب ولدغة الثعبان فانظر كيف يطأ الأسد بأرجله ثعبانا هائلاً فيسحقه ثم حول رجليه اليمنى الخلفية والأمامية عقربان لايكادان يريان فآمون هو الحامى الشافى من أذى كل الهوام والشرور كما كانت لوحات حورس الشفائية يلجأ إليها الناس إذا ماقرصهم عقرب أو عضهم ثعبان أو أصيبوا بضربة قرن من غزال سببت لهم جرحا أو ارتاعوا من مفاجأة كل هذه الحيوانات المخيفة أو صادفهم تمساح فى النيل أو أسد فى الادغال على غرة فكانت هذه اللوحة الحورسية وهى أصل « طاسة الخضة » عندنا الآن تصور بالحفر البارز على حجر من الشيست الاله حورس الطفل واقفا على تمساحين يمثلان الشر وممسكا فى كلتا يديه ثعبانين وعقربين وأسداً وغزالا ، والغزال من الحيوانات الصحراوية التى تنتمى إلى إله الشرست ، ثم فوق رأس حورس الطفل صورة الاله بس **Bes** الذى بمظهره البشع يبعد كل الهوام والحيوانات المؤذية خوفاً منه ، وهذه اللوحات الشفائية صغيرة تقوم على قاعدة خاصة تغطيها كلها نصوص تعاو يذ هيروغليفية سحرية مع تمثيل لبعض الآلهة الذين عانوا من قرص هذه الهوام وخاصة حورس نفسه ثم يوجد تحت هذه اللوحة على القاعدة حوض صغير كلوحة حورس الذى كان يلقب بطبيب عائلة آمون الموضوعة بين ساقى الكاهن جدحر الجالس القرفصاء وتاريخ هذا الأثر فى عهد الاسكندر الأكبر وهذه اللوحة الشفائية التى وضعت بين ساقى جدحر لحورس الطبيب نجد أمامها فى الأسفل على القاعدة الكبرى التى تحمل الكاهن واللوحة حوض صغير وقد غطيت جميعها تمثال الكاهن كله وقاعدته بالتعاو يذ الهيروغليفة السحرية الشافية من السم خاصة وقد نقشت معها أشكال الآلهة الذين مروا بمحنة مهاجمة هذه الحيوانات الضارية وعلى رأسهم أكبر من عانى من قرص العقرب

وهو الاله الطفل حورس نفسه ابن از يس واوز ير يس وأمام حورس الواقف على تمساحين وعلى القاعدة نفسها يوجد الحوض الصغير الذى ينساب إليه الماء الذى يرش به التمثال المكتوب بالتعاو يذ والقاعدة كلها ومعها اللوحة بما عليها من تمثيل للاله بس . Bes وتحته حورس وفى يديه الحيوانات المؤذية فيحمل هذا الماء القوة السحر ية من التعاو يذ الهيروغليفية والأشكال كلها المنقوشة معها و يكون لهذا الماء قوة شفائية سحر ية فعالة فيشرب منه كل من مسه ضر من هذه الحيوانات أو راعه مظهرها أو يغسل الجرح بمائه تماماً كما نفعل نحن الآن بطاسة الخضة (أنظر ملاحظة ١٢) . وقد عثر عليها فى أثر يبس (بنها) .

هذا ما يقصد إليه بالوقوف أمام هذه اللوحة والنظر إليها والدعاء والاستنجاد بالاله الآمونى **الذى وهبت له والذى ينتفع المتضرعون إليه بها ففيها شفاء للناس وقد وهب فيها آمون خليفته** أسرار عظمته فيرى الانسان و يقرأ فى صورها من غير ذاته الحكمة والنعمة والشفاء والقوة والخبرة والانتقام من الظالم للمظلوم بالقوة الخارقة السحرية ولكل هذا فقد نذرت هذه اللوحة السحر ية كغيرها من النذور لفائدة الجميع ، جمعية دينية من بلدة كو بتوس (قِفْط الان) إلى الاله الأكبر تيتو يوس Titheus الآمونى فى الثالث عشر من شهر توت فى السنة الثامنة عشرة من حكم الامبراطور (؟) ولم يذكر اسم الامبراطور هكذا قرأ الأستاذ بيردر يز يه Perdrizet النص اليونانى المكتوب على حافة اللوحة السفلى ثم ذكر هذا النص الأستاذ جيرور أيضا مع بعض الملاحظات تكريما وتقديسا وحمداً لنعماء هذا الاله الكبير من أعضاء هذه الجمعية من المؤمنين به .

أفرأيت اذن كيف جمعوا فى صورة واحدة لها قوة شفائية سحر ية يستفيدون بها ضد الأمراض والشرور ويحتمون بها من شر المخلوقات الخبيثة التى لا ملاذ لهم منها إلا حمى الاله الأكبر آمون مثلوه بالشمس الوسيط السرمدى التى لا تغيب نهاراً ولا ليلاً ممثلة فى القمر أو شمس الليل وملئ السماوات والأرض مستعينين بكل قدراته ان يحميهم ويحفظهم من شر ما خلق .

تبرز اذن لوحة التوحيد بتضمنها كل الرموز التى تشير إلى صفات الاله الأكبر ممثلة فى الديميورج الوسيط الشمس فكرة قديمة كانت نتيجة لمجهودات طو يلة وتفسيرات لنظر ية الوحدانية Monotheisme التى كما يقول الأستاذ الكبير در يوتون انه كان لاخناتون الشجاعة الكافية ان يعلنها فأنكرتها التقاليد المصر ية القديمة القو ية واعتبرتها ثورة وكفرا ودنسا وكقول الأستاذ در يوتون فإن هذه التقاليد المصر ية قد عارضت حتى فكرة ان تتراجع الوحدانية الى فكرة وجود إله واحد أكبر توجد معه جميع الآلهة أى فكرة Henotheisme (الهينوثيزم) بل حتى عارضت فكرة اعتبار الآلهة الآخر ين فى حالة تبعية لهذا الاله الأكبر ذلك لأن هذه التقاليد المصر ية القديمة كانت تعتبر ان كل إله فى مركز عبادة بمصر يعتبر منذ القدم إلها أكبر له مقومات الاله الأصيل حسب فلسفة ذلك العصر وعلى هذا الأساس فعند الأستاذ در يوتون تكون

معارضة هذه التقاليد المصرية لفكرة الوحدانية قد جعلتها فكرة غامضة غير واضحة حتى ولو ان كل هذه المحاولات الدينية لم يكن لها نتيجة الا انها زادت فى ابراز تفسير الوحدانية لصالح جميع الآلهة القائمة فى مراكز العبادات المصرية وذلك بربطها جميعها بمعطيات الخرافة المحلية .

أى ان ذلك كان يوحى بتشابه ومساوات كل إله مع الآخر وقد أدى ذلك بسرعة إلى وجود نوع من تصور فكرة الشمولية الالهية أى البانثيزم . Panthelsme التى جعلت كل الالهة قابلين ان يكونوا متشابهين بدرجات متفاوتة .

أصاب الأستاذ در يوتون فعلا لأن النصوص فى العصور المتأخرة كما يذكر أتو Otto (٦٧) تشبث بوضوح وجود فكرة الديميورجية كما سترى فيما بعد عند الفلاسفة الأفالطة والبيتاجور يين المحدثين فى تصورهم لمشرا الاله الفارسى وهو أبرز مثل للديميورج أى الاله الثانى الوسيط وهو مبعوث العناية الالهية لصيانة العالم و بعث الخلق من جديد ومقاومة الشر .

تذكر هذه النصوص وجود آلهة أزلية خالقة معروفة على وجه التحديد وآلهة أخرى نشأت فى الدنيا وكان ظهورهم متأخراً عنهم وقد كانت هذه الثنائية معترفا بها فى الفكر الدينى المصرى وعاشت فيه كما تثبت النصوص وكما أشار إلى ذلك بلوتارخوس بالنسبة لسكان طيبة (ملاحظة ٦٩)ولكن منعتها من الظهور فى العصر المصرى القديم تلك التقاليد القوية التى يشير إليها در يوتون وكل ذلك يدل قطعا على وجود فكرة الديميورجية أو فكرة الاله الأول الأزلى والاله الثانى الديميورج الوسيط عند الأفالطة والبيتاجور يين المحدثين كما سترى فالديميورج كمشرا لفارس كان له دور الرسل فى الكتب السماوية بين الخالق الأول وخلقه على الأرض فانظر قول أتو Otto فى دراسته وجود الآذان والعيون فى نصوص تلك العصور المتأخرة من أنها ذكرت كما هو واضح للتعبير عن وجود وحضور إله يرى كل شئ و يسمع كل شئ حتى نداء المطحونين ، فهذا اذن هو الخفى الذى عبر عنه بلوتارخوس انه فى نظر الكهنة المصر يين الخفى الذى يرى **ولا يرى و يسمع ولا يسمع ومليء السماوات والأرض أما الآلهة الآخرون فديميورجيون ثانو يون** وسطاء مصلحون أى آلهة مبعوثون لصيانة العالم وهم وسائل لمقاومة الشرور وذلك تأييد لفكرة ان الالهة فى نظر المصر يين قديما لم يكونوا إلا ملوكاً مصلحين فلما ماتوا صارت أرواحهم نجوماً فى السماء تسير فى فلك الشمس الاله الديميورج الأكبر فكانت الصفات الالهية فى نصوص العصور المتأخرة كما يقول أوتو ومعه الأستاذ فرنسوا دوماس تطلق على الآلهة جميعا دون تفرقة بين الاله الأزلى والالهة الناشئة أى الآلهة الثانو يين أو الديميورجيين فكل من الاله الأول والاله الثانى يتصف بنفس الصفات فى تلك النصوص : الواحد ، القوى ، العليم ، الذى لايدركه أحد كما يدرك الموجودات الدنيوية ، الراعى والرؤوف .

فهذه الأوصاف المشتركة بين الآلهة جميعا الأزلى والناشئ الثانوى أو الديميورج الذى هو من

روح الاله الأكبر الأول دليل على وحدانية الالهة جميعا فى واحد أزلى وهذه هى الهينوثيزم Henotheisme التى يصورها در يوتون كعبادة للواحد تتجمع بها الآلهة بهذه الصفات المشتركة فكما نزلت الحقيقة من السماء وآخت الآلهة جميعا كما يقول دوماس قامت فكرة وجود الديميورج الخالق الثانى فى الفكر المصرى رغم منع التقاليد القو ية لها من الظهور كما يقول در يوتون أى الوسيط بين الاله الأول فى العالم النورانى والعالم الدنيوى وتجعل ما كان فى أذهان المصر يين من وجود إله خفى ينادونه ليتجلى عليهم وهو ملىء السماوات والأرض فكرة عقائدية تقوم على أساس يكون فيه دور الآلهة الديميورجيين الآخر ين دور الوسيط والعقل المدبر المهيمن للاله الخفى .

طغى ذلك الغموض الذى خلقته مقاومة التقاليد المصر ية القديمة على فكرة الوحدانية رغم وجودها فى أذهان الناس وعقول المؤمنين بها من الكهنة كما قال بذلك بلوتارخوس من وجود إله خفى يرى ولا يرى وتنفذ كلماته دون ان نسمع أو دون كلام وهو ملئ السموات والأرض كما أسلفنا القول ورغم تمشيله من أقدم العصور ترى ذلك أيضا فى تمثيل أبى الهول على لوحة الوحدانية إذ نجد أن كل الالهة تندمج فى وحدانية هذا الاله الخفى كل يمثل جانباً من قدراته وجانبا من ارادته ثم يحسم موسى عليه السلام هذا الغموض بأن يختار إلها خفيا لا يدرك بالحس البشرى ولا يعلم أحد له شكلا أو صورة وعبده بالمعبد بدون صورة فهو المطلق الذى يشمل الكون كله حتى ليرى الأستاذ در يوتون انه اذا وجد بالديانة المصر ية إله أو آلهة أعداء وخصوم يعتبرون آلهة ثائر ين على الاله الأكبر وليس ذلك إلا انعكاسا للظروف السياسية أكثر منه تأصلا للشر ووجود الإله للشر وحتى إذا اتخذ للشر إله اعتبر هنا ببساطة إلها عدوا ولا يدل ذلك على ان الديانة المصر ية كانت ديانة ثنائية كبقية الديانات القديمة بل كانت ديانة متفائلة كما يقول در يوتون .

أصاب الأستاذ در يوتون القول بأن فكرة الوحدانية ارتبطت بفكرة (الامبراطور ية) وان دخل اخناتون هذه الدائرة فالواقع ان تفكيره فى الوحدانية كان يرتبط بوحدانية معبود وخالق أى ديميورج عالمى هو الشمس .

فإذا كان ماذهب إليه كيمونت Cumont من ان اللوحات المسمار ية cuneiforma وهى الرسائل التى وجدت بتل العمارنة تثبت الصلة بين مصر والكلدانيين فى هذا العهد وهم أكثر الناس تخصصاً وتقدماً فى علم الفلك وكانوا يعتبرون الشمس أهم الكواكب وأعظمها فيكون اخناتون بذلك طبق فكرة عالمية عبادة الشمس المصر ية القديمة أى الكوزموقراطية ثم يأتى بعد ذلك عهد قيام الامبراطور ية تحت حكم تحتمس الثالث على النمط المصرى أى كان الملك ابناً لآمون وخليفة فراعنة مصر فهو رمز الوحدانية المصر ية والوحدة السياسية أيضا وقد ذكرنا ان الاسكندر الأكبر قد بشر بهذه الفكرة السياسية العالمية فى العالم الغر بى أيضاً خارج مصر ففى

الشرق كان الجو الفكرى مهيأ لهذه الآراء بأكثر مما هيأته تلك الفلسفة المصرية بتأثيرها على تيار الفكر اليونانى التى هبت عليه بفلسفتها من الشرق وخاصة من مصر.

ثم يحذو أباطرة الرومان فيما بعد حذو الاسكندر الأكبر فى تبشيرهم بين شعوبهم بالكوزموقراطية أو الحكم العالمى فاتخذوا الديانة المصرية أيضاً وسيلة لذلك خاصة فى عصر الامبراطور الرومانى كراكلا الذى كان هو نفسه يسعى لتحقيق الوحدة السياسية بحكمه الثيوقراطى عن طريق الديانة المصرية ممثلة فى الامبراطور المهيمن أى الكوزموكراطى كما مثل هو نفسه على النقود المصرية الرومانية التى كانت تسمى نقود الاسكندرية (أنظر الخشاب (1961) J.E.A.) وظل ذلك المأرب فى توحيد الامبراطورية بهذه السياسة ممثلة فى الامبراطور المهيمن حتى قامت المسيحية فانفصل الدين عن السياسة ولم يعد الامبراطور حاكما الهيا وأصبحت الوحدة فى العالم دينية فقط وقامت القوميات السياسية المستقلة وظلت الكنيسة رمز للوحدة الدينية فقط دون السياسة.

فالربط قديما بين الامبراطورية والوحدانية يظهر فى مصر بشكل أبى الهول أى جسم الأسد برأس آدمى أو ما يطلق عليه باليونانية اندروسفينكس وهو الذى كان يمثل فى مصر فكرة الامبراطورية فقد كان الفرعون سيد العالم كله وابنا لآمون أى الشمس أى عقل الكون المدبر والأسد رمزه وجميع الآلهة المحلية كما هو ظاهر على الآثار المصرية من مناظر تبنى الآلهة المحلية كما تبنى حنوم ونخبت الفرعون أوسركاف (الأسرة الخامسة) وقد كان هذا مافعله الاسكندر الأكبر بالضبط فيما بعد بين الشعوب المختلفة التى أدخلها فى حكمه فأصبح ابناً لآلهتهم فكان أبو الهول يجمع بين رمز الشمس المهيمنة على العالم كله أى الأسد برأس الفرعون يمثل الاله الأكبر على الأرض والمهيمن على السماء ثم يتوارث هذا الرمز فى مصر خلفاء الفراعنة من الحكام من الأجانب بعد الاسكندر الأكبر حتى أخرجت لوحة الوحانية التى لم تدع مجالا للشك فى ان جميع الالهة الممثلة حول رأس الامبراطور أى رأس أبو الهول وكذلك التمساح الذى يلتصق بجسمه فكانت هذه اللوحة دليلا على اندماج هذه الآلهة كأجزاء أو مفردات لصفات الاله الأكبر تمثل قدراته المختلفة و بعيداً عن هذه اللوحة تجد هذه الرموز منفصلة كل فى مركز عبادة خاص به من أقاليم مصر بأكملها كما يذكر ذلك المؤرخون هيرود توس و بلوتارخوس وسترابون وديودوروس و بلينيوس وغيرهم من الكتاب اليونان الرومانيون وكما ذكرها أيضاً الأستاذ در يوتون وأضاف عليها فى كتابه (ص ٢٢) الأسد معبود فى اقليم كسيوس Xois (مدينة سخا الآن) فى الدلتا واوزة آمون فى طيبه (الأقصر) ثم يتناول ذلك الأستاذ الكبير كوبنتز Quenz كما ذكرنا بخصوص اوزه آمون.

وهذه اللوحة تؤكد أيضاً أن تمثيل أبو الهول كان يتضمن أيضاً جميع القدرات التى تتمثل فى الفرعون الحاكم وقد أتت إليه من جميع آلهة مصر المحلية المتفرقة فى الأقاليم المصرية فهى وصايا

الاله الأكبر التي أوحى بها إلى ابنه وخليفته باتباعها والاهتداء بها وقد تجمعت كلها فى الفرعون . ثم يتطور شكل أبي الهول فى الدولة الوسطى حتى أصبح يمثل الاندماج الكامل برمز الشمس أى الأسد الذى نجده كامل التجسيد ولكن فقط بوجه الفرعون دون رأسه الآدمية وكأنه قناع للأسد بصورة الملك تماما كما حدث فى العصور المتأخرة حيث صار رأس ووجه الامبراطور رأساً ووجها للأسد ثم كانت حلة الامبراطور بدلاً من لبدة الأسد كما هوظاهر فى هذه اللوحة .

وقد كان الأستاذ دريوتون على حق فى قوله بأن تصاعد أو تكامل فكرة الوحدانية لم يبرز إلا فى عهد دولة الفراعنة المتأخرين عندما صاحبت الفكرة فكرة الامبراطورية العالمية أى من عهد تحتمس الثالث ثم يتسلمها الاسكندر الأكبر ومن بعده ملوك البطالمة ثم أباطرة الرومان ، بعد محاولة كليوباترة الكبرى السيطرة على روما والعالم الهيلانى الذى أسسه الاسكندر الأكبر .

حلت فكرة الامبريالية العالمية عند الناس محل الدولة القومية المحدودة مع فكرة الاله الواحد أى الوحدانية متمركزة فى شخص الامبراطور وهذا قول حق فالعكس حدث تماما عند قيام المسيحية قامت الوحدات السياسية القومية بعد انتهاء الامبراطورية العالمية وانحلال الوحدة الدينية السياسية الشاملة وظلت الوحدة الدينية فقط ممثلة فى الكنيسة . فإذا ما تركنا الرمزية فى تصور الاله كما رأينا عند العامة وما قام عليه هذا التصور له من النفع وما يعود عليهم من خير يأتيهم من رموزه وجدنا أن للعقلاء والمثقفين والفلاسفة من الكهنة تصوراً آخر غير الرمزية يفهمونه كمفكرين فى تأملاتهم كما فعل موسى ولم ينسى بلوتارخوس ان يذكره فكلمة آمون تعنى الخفاء فهو عندهم إله لا يرى وإنما يدرك بالعقل روحيا يشعرون به ملئ السماوات والأرض أى أنه فى كل مكان أما هذه الحيوانات الرمزية المقدسة فكما يقول بلوتارخوس يجب ألا تعبد بل يعبد الاله من خلالها فهى ليست إلا مرايا واضحة أعدتها الطبيعة لذلك ويجب اعتبارها أدوات وفن الاله الذى يدبر كل شئ » . فلا تقديس لها فى حياتها بل تكرم بمساهمة الجميع فى دفنها فى ضريبة يدفعونها للمراسم الجنائزية (٦٨) ولكن ينبهنا بلوتارخوس لأمر له مغزاه فيما يخص عبادة الحيوان فيقول « الا فى اقليم واحد فسكان اقليم (طيبة) لا يساهمون فى هذه المراسم بشيء إذ أنهم لا يعتقدون فى أى اله يزول (٦٩) وهذه اشارة إلى وجود إلٰه أزلى وآخر يزول أى ديميورج بل كانوا يؤمنون فقط بإله واحد يسمونه كنيف إذ انه لا بداية له (لم يولد) ولا نهاية (خالد) (٧٠) فهذه إذن صورة أخرى لآمون الخفى .

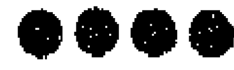
أما الحيوانات فلم تكن إلا رموزا فيها ما يستدلون به على جانب من قدرة الإلٰه الأكبر أى أن الناس تقدس فيها الإلٰه فقديماً كما يذكر بلوتارخوس كان المصريون يسمون الآلهة بأسماء نعمها عليهم من محاصيل (٧١) فلم يكن هؤلاء القدماء يتورعون من تسمية الآلهة بأسماء ما يخلقون وقد كانوا يقدسون هذه النعم مما يرزقهم الالهة لما لها من نفع لهم وهكذا يشهد بلوتارخوس بما فى عادات القدماء فى مصر فيطلقون على هذه الأعمال من محاصيل وأرزاق اسم الاله .

ثم يفسر بلوتارخوس ذلك فى براعة فيضرب لنا مثل رجل اشترى كتب أفلاطون فتقول عنه انه اشترى أفلاطونا أو كما نتحدث عمن يمثل كوميديات ميناندر انه يمثل ميناندر(٧٢) .

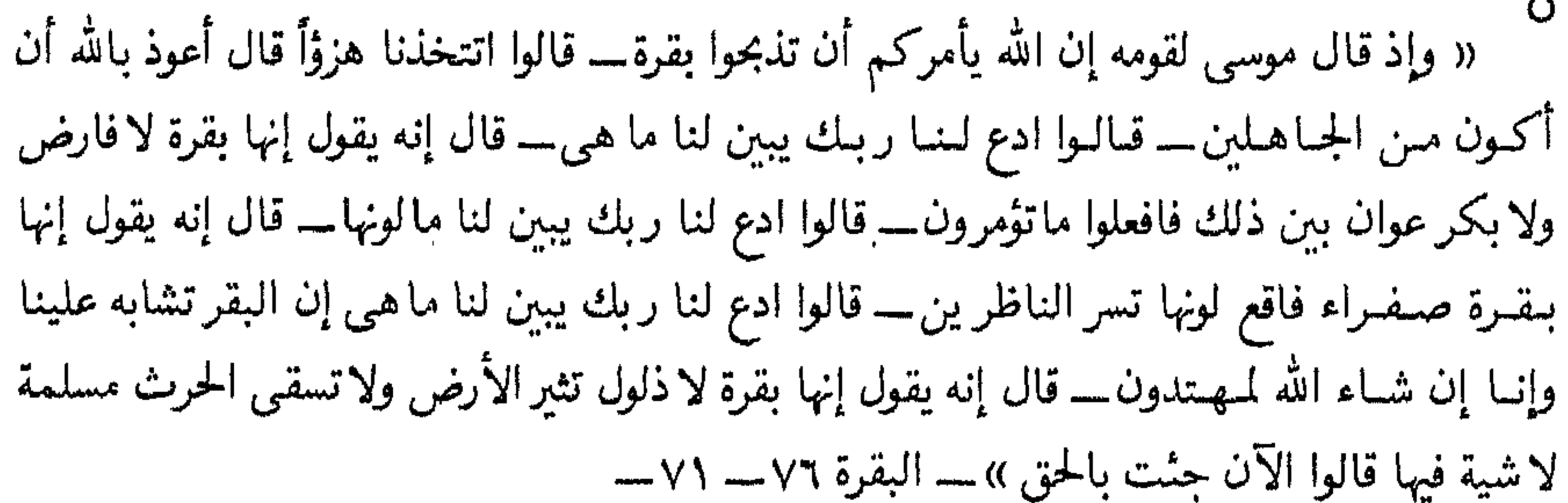
وكما كانوا يفعلون من بكائهم نعم الآلهة من محاصيل عند اختفائها لانتهاء موسمها وكانوا فى ذلك يبكون الآلهة ورأيى ان هذا مالم يفطن إليه الأجانب بل كان ذلك على ما أعتقد سليقة فأثناء بكائهم الآلهة يدعونها ان تنبت لهم هذه المحاصيل مرة أخرى وتنضجها لهم(٧٣)

فإذا كانوا يبكون هذه الآلهة وفى الوقت نفسه يبتهلون إليها أن تنبت لهم هذه المحصولات أو الفاكهة مرة أخرى فإنما يدل ذلك على انهم على سليقتهم كانوا يتوجهون تلقائيا إلى آمون الخفى دون ان ينتبهوا إلى ذلك و يسألونه ان ينبت هذه النعم لهم مرة أخرى بعد زوالها فما ظنه اليونانيون من الفلاسفة ، والكتاب شيئا غريبا يدعو للضحك (انظر بلوتارخوس فقرة ٧٠) كما قال كسنوفون من بلدة كولوفون فلأنهم لم يكونوا يعلمون ان فى أعماق نفوس المصريين ايمانا بوجود اله خفى دونه هذه الالهة الزائلة الوسيطة يدعونه و يتوجهون إليه بانبات مازال منها رغم انهم يسمون الأشياء بغير أسمائها أى أنهم يرمزون إلى آمون الاله الواحد الخفى ببعض خيره ونعمه وهو عندهم يجل عن الوصف .

فهم فعلا كما يقول كسنوفون اذا كانوا يبكون هذه الأشياء لزوالها فهى ليست آلهة وهذا منطقى ولكن هذا الغموض والتناقض يفسره اعتقادهم بالإله الخفى الذى لا يرونه .




وسع كرسيّه السماوات
والأرض


« وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ــ قالوا اتتخذنا هزؤاً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين ــ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ــ قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ماتؤمرون ــ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا مالونها ــ قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين ــ قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهى إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون ــ قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول تثير الأرض ولا تسقى الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق » ــ البقرة ٧٦ ــ ٧١ ــ

صدق الله العظيم .

أمر الله سبحانه وتعالى موسى أن يذبح قومه بقرة فانزعج القوم وما كادوا يصدقون ما يسمعون وظنوا انه يسخر منهم فقال انه ليس بساخر فإن ما يقوله ليس بالهزل ثم يأمرهم ان يفعلوا ما يؤمرون فقد أدرك منهم تلكؤا متعمدا ، ذعر القوم وخاصة اليهود الذين يعرفون الخطورة وراء ذبح البقر فى مصر وحساسية هذا الأمر البالغ الخطورة عند المصريين ، ولما انطوت عليه قلوبهم من وثنية دارت رؤوسهم بأفكار ماقبل اليهودية وتقاليد الاضاحى من الأبقار وألوانها التى تسمح بذبحها وخطورة ذلك وحساسيته عند الكهنة فى تشريعاتهم وعقوبة الاعدام للخارجين عليها وعدم مراعاة أحكامها بدقة فى مصر من قبل ان يبعث الله موسى فتساءل اليهود عن هذه البقرة متشددين فى سؤالهم لما انطوت عليهم أفكارهم من وثنية حتى دلهم الله رحمة بهم على أوصاف مايمكن ذبحه من الأبقار عند المصريين الذين كانوا على ملتهم من قبل فقالوا لموسى « الآن جئت بالحق فذبحوها » وقد اطمأنوا وزال عنهم الخوف وخاصة بالنسبة للونها كما أخبرهم موسى الذى يعلم قبل غيره مقدار ماينطوى عليه هذا الأمر من حساسية عند المصريين خطيرة العواقب حتى ان موسى قد طلب من فرعون السماح ان يبعد هو وقومه عن الوادى مسيرة ثلاثة أيام تفاديا لأى

تعارض قد يوردهم هو وقومه مورد هلاك أكيد إذا ماضحى بذبيحة تخالف تقاليد المصريين فى الأضاحى وقد ذكرنا فيما سبق مثلا لما ترتب على مخالفة وعدم انتباه فرقة من اليهود فى جيش قمبيز إلى هذا العرف عندما وصل الجيش إلى أسوان واحتفل اليهود من الجنود بعيد الفصح فذبحوا الأغنام فى أسوان فكانت مذبحة لهم ولليهود المقيمين فى أسوان وهدمت معابدهم هناك ومذابحهم . فإذا بأمر الله سبحانه وتعالى الذى وسع علمه كل شئ لموسى ان يذبح بقرة صفراء لا شية فيها .. صدق الله العظيم فهذه البقرة الصفراء التى لا شية فيها كما يخبرنا المؤرخون اليونانيون هيردوتوس و بلوتارخوس وديودوروس هى البقرة التى يباح ذبحها عند قدماء المصريين فى أضاحيهم فلا خوف ولا حذر من تضحيتها عند اليهود فالمصريون يعتقدون بأن ست إله الشر المصرى لونه أحمر (اصهب) ولذا فقد خصصوا للاضاحى من بين مواشيهم تلك التى يكون لونها اشقر تماما (٧٤) إذ أنهم كانوا يعتقدون ان أوزريس كان اسمر (٧٥) فكان اللون الأسود عندهم مقدساً ثم ان حورس كان ابيضا فكان اللون الأبيض مقدسا أيضا أما ست إله الشر فلون جلده أحمر أو أشقر مما جعل للألوان عند المصريين أهمية خاصة فلون الآلهة ـــ وكأنهم من البشر ـــ الأسود والأبيض لآلهة الخير وأما الأحمر أو الأشقر فلون إله الشر ولذا فقد كانوا حريصين على فحص هذه الأضاحى من الأبقار قبل ذبحها فحصا دقيقا حتى ان الحيوان الذى يجدون فيه ولو شعرة واحدة بيضاء أو سوداء يكون فى رأيهم ان من الخطأ ذبحه و يرون انه حرام ان يضحى به ، **فمن المناسب ألا يضحى الناس بما يحبه الإله فالأنسب أن يضحوا بما لا يحبه الإله (٧٦) .**

ثم ان هذا يؤكد أيضاً قول ديودوروس بأن من البقر الأصفر (الاشقر) مايمكن ذبحه فقد كان المعروف ان هذا اللون الاشقر هو لون إله الشر الذى تآمر على اوزيريس ولذلك عاقبته ازيس لقتله زوجها (٧٧) .

ومن هؤلاء المؤرخين عرفنا مقدار دقة هذا الفحص وأهميته تماما وخاصة من هيردوتوس الذى اهتم بكل التفاصيل لهذه الرقابة وذلك الفحص الدقيقين . فيقول عن العجل « فكما يعتبر الكهنة أن كل العجول تنتمى إلى العجل المسمى ، باليونانية Epapuos ابافوس وهو الاسم اليونانى لعجل أبيس أو حابى . Hapi . (٧٨) العجل الإله فى منفيس كما يقول Leob فى الملاحظة (١) من نفس فقرة هيرودرتوس وهذه العجول فى فحصها قبل ذبحها يبحث فيها عن وجود شعرة واحدة سوداء فيعتبر العجل غير نقى ولذا عين واحد من الكهنة لهذا العمل يفحص الحيوان ثم يخرج لسانه ليتحقق إذا كان خاليا من العلامات التى ذكرها المؤرخ فى موضع آخر من كلامه (٧٩) فإذا خلى العجل من كل هذه العلامات وضع عليه الكاهن علامة بأن يلف على قرنه قطعة من البردى يلطخها بخاتم من الطين يختمه هو باصبعه ثم يقود العجل إلى الخارج ولكن العقوبة هى الاعدام لمن يضحى بعجل لم يعلمه الكاهن هذه هى شروط ذبح أبقار الضحية عند هيرودوتوس وأما من جهة عجل ابيس وعلاماته التى تؤهله ان

يكون العجل المقدس (روح أوزيريس الحية وروح بتاح أيضا الذى هو إله تحت الأرض أى إله الإنتاج الأرضى) فهو يتميز بميزات سنذكرها فيما بعد وقد أوردها ديودوروس فأولى علاماته انه أسود وعلى جبهته مثلث أبيض وعلى ظهره رسم ما يشبه النسر (الصقر) وشعر ذيله مزدوج وتحت لسانه عقدة تشبه الجعران ثم أحياناً يكون على جانبه رسم يشبه الهلال كما سترى فيما بعد.

فانظر اذن دقة وشدة مراعاة عدم وجود هذه العلامات والحرص على أن تفحص الماشية فحصاً دقيقا على يد كاهن مختص حتى يكون العجل خالياً من أية شائبة تمنع ذبحه وكان ذلك واجباً محتماً حتى ان الموت كان هو جزاء لمن يقدم على ذبح عجل دون فحصه وختمه والسماح بذبحه هكذا كانت تراعى تلك الشروط الدينية لذبح الأبقار ذكورا وأناثا كما يرويها بالتفصيل هيرودوتوس و يوافق على ذلك مؤرخ الديانة المصرية بلوتارخوس فيما بعد ولو أنه لا يذكر علامات عجل ابيس فهى علامات لا تخص الأضاحى بل هى علامات لاختيار عجل ابيس نفسه فى مقره بمعبد بتاح فى منفيس وهى لا تكون فى الأبقار العادية التى يكون ذبحها محرماً إذا وجدت فى شعرها شية أى أية شعرة بيضاء أو سوداء ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أن فنانا كبيرا هو الأستاذ محمد ناجى عند تصويره لذبح الضحية فى احدى لوحاته صور البقرة الضحية بلون أحمر (صفراء) تماما لا شية فيها فكان على علم يشهد له بأنه قرأ وعلم فأصاب فى تعبيره بدقة دراسته التى هى دائماً خلفية لمنجزاته الفنية الرائعة وكانت تلك احدى لوحاته التحضيرية فى تشكيله للوحة إله الطب عند قدماء المصريين (عبادة أمحوتب).

فهذه البدائية اذن التى جمعت هذه الأوصاف فى عجل ابيس قد جعلتها أوصافا نادرة الوجود لتدخل الخرافات الدينية أيضا وقد جمعتها كلها فى عجل صغير واحد وقد يحدث ذلك بيننا الآن إذا ما رأينا حصانا أو حيوانا ما بألوان شعره الجميلة واتساق زخرفتها فنعجب به ونحبه بعيداً عن أى شعور دينى نتدلله ولكن دون أن نفكر فى ايجاد خليفة له بهذه الأوصاف فهذه ظاهرة نادرة لا نصادفها كل حين كذلك نجد المصريين يمضون وقتاً طويلاً فى البحث عن عجل بهذه الأوصاف كل حين كذلك نجد المصريين يمضون وقتاً طويلاً فى البحث ن عجل بهذه الأوصاف وتحمل كل هذه العلامات بين قطعان الماشية الهائلة العدد فى البرارى شمال الدلتا التى تربى الأبقار فى مراعيها الطبيعية كما كان يحدث قديماً فى كسويس (Xois،) سخا الحالية مديرية كفر الشيخ حديثا فإن وجدوه بهذه العلامات انفرجت أزمتهم الدينية التى تحتم عليهم الحزن والحداد على العجل الذى نفق حتى يجدوا بديلاً له فيسود الفرح و يعم التفاؤل وقد كان ذلك سببا فى نظرة هؤلاء البدائيين إلى عجل ابيس كأنه شئ فريد مميز عن كل فصيلته من الأبقار فإذا هو إله لا مثيل له جميل المنظر شكلا وموضوعا فيحوز اعجابهم بجانب ما يكنون له من تقديس كرمز للخصوبة والنفع والخير.

وهذا بالطبع ظاهر البدائية ولكنه ظاهرة موجودة بيننا حتى الآن نراها بين الفارس وحصانه مثلاً أو الكلب وصاحبه والسائق وبهيمته حتى لترى بينهم من يطعم الحيوان مما يأكلون من حلوى و يسقونهم مما يشربون احساسا بعمق الصلة والتقدير والاعزاز بينهم و بين الحيوان الذى يساعدهم فى حياتهم كذلك نجد عند الغاو ين من يكن اعزازا وتقديرا للنباتات والزهور و يؤمن بما فيها من نفع ومزايا تنفع الناس .

فانظر كيف ان الله سبحانه وتعالى يعلم ويحيط بكل شئ فى قوله « لا شية فيها » ان هيرودوتوس يورد لنا كيف كانت الدقة بالغة فى فحص الحيوان والتأكد من خلوه من أية « شية » فيما ذكره من تفاصيل هذا الفحص فالكاهن المخصص « لفحص شرعية ذبح الضحية » يوقف العجل على أرجله ثم يطرحه أرضاً ثم يقلبه على ظهره باحثاً عما فيه من الشيات التى تمنع ذبحه (٧٩) أى وجود ولو شعرة بيضاء أو سوداء .

و يقول بلوتارخوس فى ذلك أيضاً ان من بين الكهنة من كان يسمى « بالختامين » أى Sphragidai . وهم المكلفون بفحص الذبيحة فحصاً دقيقا ثم يختمون مايصلح منها للذبح بخاتمهم الذى يحمل رسما يمثل رجلا راكعا على ركبتيه و يداه مربوطتان خلف ظهره وغائر فى عنقه سيف وهكذا تحمل الذبيحة التى تقدم للتضحية أيضا هذا الخاتم تماما كما يذكر هيرودتوس مع خلاف سطحى فى تفاصيل الخاتم لبعد الزمن بين الرجلين وتكون هذه البهيمة خالية تماما من أية شية تحول دون ذبحها و بذلك تكون ايضا غير مرغوب فيها ولا مقدسة للآلهة بل بالعكس كانوا يعتقدون انها قد تقمصتها روح شريرة لانسان غير نقى انقلبت روحه إلى أجساد أخرى بعد مفارقته للحياة ولذا فقد كانوا يستمطرون اللعنات على رأس الضحية و يرمونها فى النهر بعد قطعها وذلك فيما قبل عهد بلوتارخوس بوقت طو يل وهو ما كان يحدث أثناء وجود اليهود بمصر ولكن وقت وجود بلوتارخوس كانوا يبيعون هذا الرأس للأجانب من غير المصر يين وكما قال أيضاً هيرودوتوس انهم كانوا يبيعونها لليونانيين (٨٢) .

صدق الله العظيم فهذه البهيمة كانت رمزا لست اله الشر و بلونه كما يراه المصر يون أفرأيت اذن كيف شدد اليهود فى ذبح البقرة وكيف كانوا متأثر ين بخوفهم من شدة عقوبة الخروج على قواعد الاضاحى حتى بعد أن تركوا الوثنية وصاروا يهودا أو كما يقول الأستاذ در يوتون بعد أن كانوا عبرانيين فى مصر وخرجوا منها يهودا .. ثم ما كان من عبادتهم للأبقار وتقديسهم للعجل فكان حرصهم كبيرا على أهميتها كالمصر يين تماما فى تقديسهم للأبقار وما تحمله من علامات وألوان لها صلة بالآلهة التى كما يخبرنا بلوتارخوس أن المصر يين كانوا يتكلمون عن ألوانها كأنهم من البشر وعرفوا أن ذبح الضحية يشترط فيه خلوها من أى علامة أو شية تمنع ذبحها فتحل تضحيتها فلا شعرة بيضاء ولا شعرة سوداء فلما دلهم موسى على أوصافها اطمأنوا وقالوا « الآن جئت بالحق فذبحوها .. » ثم أيضا لا تحمل أى علامة من علامات عجل أبيس المقدس الذى إذا

ذبح لمناسبة هامة سمى الضحية الكبرى شأنه شأن أوزيريس اله الماء المخصب والرطوبة الخلاقة وهكذا فهموا أى اليهود ووعوا أمر الله لهم بذبح بقرة صفراء خالصة لا شية فيها رحمة بهم وحماية لهم ولدينهم إذ يجنبهم غضب المصريين وتنكيلهم بهم وقد أراد الله لهم اليسر ووقاهم من عذاب شديد وآمنهم من خوف قد يتعرضون له على أيدى المصريين كما حدث لهم فى عهد قمبيز فى أسوان فيما ذكرنا من قبل . وهم يعلمون أن الله أراد أن يبعد عنهم عذابا ووقاهم شرا كثيرا كشأنهم دائما فشدد الله عليهم فهو العليم بما فى الصدور ويعلم السر وما أخفى فقد كانوا رغم يهوديتهم غير مؤمنين وكان موسى هو اليهودى الوحيد بينهم يضمرون وثنية دفينة فى قلوبهم من قبل أن يبعث الله موسى رسولا إذ كانوا عبدة اله الشر ست أبيهم وهو ذو لون أشقر كلونهم ولون الغرباء أمثالهم انه لون الصحراء الجافة المحرقة فانظر قول بلوتارخوس أن أوزيريس عند المصريين أسمر (٨٣) وهم يطلقون اسمه على الماء والرطوبة التى يعتقدون أنها أساس الخلق « وجعلنا من الماء كل شىء حى » وفى أساطيرهم أن أوزيريس وهو الماء يجعل كل شىء يبلله من أرض أو من ثياب أو سحب أسود ولذلك فشعور الشباب سوداء نتيجة الرطوبة والحيوية فيهم أما ست فيطلقون اسمه على كل ما هو جاف محرق قاحل وبما أنهم يعتقدون أن لونه أشقر فقد كانوا أى المصريون لا يرتاحون حتى الى أشخاص بهذا اللون فلا يجتمعون بهم ثم يقول أن عند المصريين الشيب وشقرة اللون يسببها اليبس الذي يحدث لمن فاتهم سن الشباب كذلك فالربيع نضر وخصب ومحبوب أما الخريف فبسبب نقص الرطوبة فيه يكون غير موات للنباتات وغير صحى للأحياء ثم أنهم يطلقون اسم « خيميا » على مصر أى أنها سوداء كسواد العين فمصر غالبا سوداء ثم أنهم يشبهونها أيضاً بالقلب فهى دافئة ورطبة وهى مقفلة ومحدودة بالجزء الجنوبى من المعمورة كالقلب فى الجانب الأيسر من جسم الانسان (٨٤) .

فاللون الأصفر إذن بالنسبة لليهود لونهم المفضل والبقرة الشقراء التى لا شية فيها بقرة ست الذى ارتبطوا بأبوته فيما مضى فكان للبقر فى نفوس اليهود قداسة ومعزة حتى أنهم فى شتاتهم بعد خروجهم مع موسى الى سيناء ورجوعهم الى عبادة العجل صنعوا للثور تمثالاً من الذهب وصدق الله العظيم إذ قال « واتخذ قوم موسى من بعد من حليهم عجلاً جسداً له خوار» الأعراف / ١٤٨ فقد عصوا أمر الله « وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم » البقرة / ٩٢ . وقد نهاهم موسى عن ذلك محاولاً أن يرجعهم عما كانوا به يؤمنون وأمرهم أن يتجنبوا ما كانوا يأتونه فى مصر حيث كانوا يقيمون « كلم الله موسى قائلاً كلم بنى اسرائيل وقل لهم أنا الرب الهكم ، مثل عمل أرض مصر التى سكنتم فيها لا تعملوا ، ومثل أرض كنعان التى أنا آت بكم اليها لا تعملوا وحسب فرائضهم لا تسلكوا ، أحكامى تعملون وفرائضى تحفظون (٩٢) لتسلكوا فيها » (اللاويون ١٨ / ٣) ولم يأخذوا بهذا ولا ذاك فقد كانت كثرتهم منافقين ولم يكونوا مؤمنين باليهودية بل ظلوا على ديانتهم القديمة وقد خرجوا هاربين مع موسى بدافع عنصريتهم

واضطهادهم مع من آمنوا من القوم خشية انتقام المصريين وغضبهم وقد ظلوا فى سيناء يظهرون ما لا يبطنون حتى ظهر ما كانوا يضمرونه فى ضمائرهم من كفر باليهودية فرجعوا إلى عقيدتهم الأولى فكان للون الأصفر عندهم شأن خاص ومغزى هام ولذا فقد صنعوا الثور الذى ارتدوا الى عبادته فى سيناء من الذهب لا من معدن آخر غير الذهب الأصفر الأصيل وطبعا لم يكن كالثور الذى كان فى العصر الرومانى ممثلا بحفر بارز ومذهبا و بين قرنيه قرص الشمس وكله مذهبا على أرضية بزرقة السماء (الشمس فى برج الأسد) بالمتحف المصرى — إنما كان ثورهم صغيراً لأنه من معدن نفيس من الذهب الخالص دليلا على ما فى قلوبهم من ايمان شديد بالتقليد المصرى الذى كانوا يتبعونه فى مصر من عبادة الههم ست الذى كان البقر الأصفر الذى لا شية فيه بلون معبودهم وشدة تمسكهم برمزه الأصفر الخالص مما جعلهم يشددون فى لون البقرة التى يذبحونها صفراء لا شية فيها (صدق الله العظيم) فذبحوها وما كادوا يفعلون .. صدق الله فكان ذبحها رغما منهم يتجنبون غضب المصريين فيحفظ الله دينه الجديد و يترددون فى ذبحها تقديسا للبقرة الصفراء التى تمسكوا بها رمزا لست أبيهم ومعبودهم قبل اليهودية وكان يملأ قلوبهم بعدها .

خرج اليهود من مصر وكانوا من عبدة الثور ولكن الى أين ذهبوا ؟ انهم خطوا الى أرض مصرية قحلاء جبلية تسود فيها عبادة الثور أيضاً ثم من بعد سيناء الى كنعان بلاد عبادة الثور كذلك فالواقع التاريخى أن الثور كان معبودا فى هذا الشرق الأوسط بأكمله فى مصر وفى المشرق كله (الأناضول) وفى سوريا وفى بابل وعند الحيثيين وكان ذكره واردا فى القاب وصفات الممتازين من الحكام والقادة وظلت هذه الألقاب الدالة على انتماء هذه الشخصيات البارزة الرفيعة القدر ذوى المكانة الممتازة عقليا وروحيا ظلت هذه الألقاب ملتصقة بهم منذ العصر الوثنى وقد وردت هذه الألقاب كقول العلماء فى النصوص الانجيلية بلغتها الأولى العبرية بعد العصر الوثنى ثم أبعدت من الترجمات الأخرى بما يوافق روح المسيحية بعيدا عن الأصل الوثنى وقد عارض (٩٣) بعض العلماء ذلك ولم يوافقوا على هذا التصحيح من جهة عدم تمشيه مع المعنى العام وسياق الذكر ومنهم المترجمون أنفسهم الذين اضطروا الى ذلك محافظة على الروح الدينية فقد ورد فى التكوين (٢٢ / ٢٤) اشارة إلى ذلك بعد أن امحت صفة يوسف « الثور الصغير » ثم اشارة أيضاً فى التكوين (٢٢ / ٢٤) الى ابعاد تعبير « ثور يعقوب » و بدّل بتغيير « عزيز يعقوب » فالأسلوب الذى سجلت به التوراة كان من روح المحيط الوثنى وتقاليده فكلمة ثور تعنى عند الوثنيين الإله المعبود ولذا فقد علق الأستاذ كونراد (١٣٢) على هذا التصحيح بقوله أن ذلك تناسيا للأساس التاريخى للعبادة فى الشرق القديم ومهما يكن من أمر فعندى أن تناسى هذه الحقائق التاريخية لا يمكن ولا يجوز أن يمحو أن يوسف كشخص بارز وله شأن فعال فى الحكم كان فى زمرة الهكسوس الذين عبدوا « ست » الاله المصرى فإن وصف بالثور الصغير فذلك تكريم له كحاكم يبدو أن يوسف ليس له فى ذلك التقليد دخل ولا حيلة له فى هذه

التقاليد ولا هذه التسمية فقد لقبه المصريون بذلك أسوة بأوزيريس وبأبيس وحورس الذى هو رمز لكل موسم للخير والوفرة وهو أولى بهذا اللقب تصديقا لما ورد فى الكتب السماوية فقد أنقذ مصر من شر الجوع وجنب الناس مجاعة كادت أن تأتي عليهم وآمنهم على حياتهم من خوف وكان لذلك لقب للفراعنة والوزراء وأولى الأمر فى مصر وفى الشرق كله مجال عبادة الثور ولكن يوسف يجل عن هذا اللقب فقد كان يوسفا نبيا ولكنهم لا يعلمون .

وهنا أيضاً ترد اشارة مباشرة لصخرة اسرائيل التى يبدو كما يظن كونراد أنه مكان لقاء لهؤلاء العابدين للثور فى قوافلهم وحتى لو افترض بعض الناس أن موسى فى هذا المحيط التاريخى قد شبه بالثور ولقب به كما نحت انجيليو له تمثالاً قائماً على هذا الظن والخيال له قرنا ثور محفوظ فى كنيسة سانت بيترو فى روما . ثم أن ترجمة الانجيل اللاتينية المسماة Vulgate كما يذكر كونراد (١٣٦ / ١٠٨) تذكر أن موسى كان بقرنى ثور ولا تقول هذه الترجمة أن « على رأسه هالة » وهما تعبيران بمعنى واحد عبرى ، كما أن بعض المفسرين ذهب إلى أن الهالة نشأت أصلاً من تتويج الرأس بقرنى ثور وربما كان ذلك على أساس ما يمكن أن يناله انسان من تكريم بالغ كبير إذا شبه بالثور الاله الوثنى المعبود عند القدماء فى الشرق خاصة قبل الأديان السماوية وأن التعبير عن التكريم بالثور أو وضع قرنى الثور بؤرة قوة الثور السحرية (٩٤) على الرأس لشخص ما إنما هو تكريم أيما تكريم بعيدا عن المغزى الدينى كما كان عند اليونايين وعند العرب أسماء سبع وأسد وهزبر وصفات الشجاعة فيه والتشبيه به قوة وشجاعة واقداماً كذلك كان قديما الثور أقوى إنتاجاً وأكثر خصوبة وأعظم قوة ونفعاً من الأسد قديما وحديثاً أيضاً ولم يكن ذلك كفراً وقديماً كان العرب يشبهون الحفاظ على الودبالتيس كما وجدت صفات البقرة الحلوب والنعاج الولودة للمرأة وكل حيوان من تلك الماشية كان رمزاً لصفة جميلة يقدرها الناس فيه ويحبونه من أجلها والثور عندنا الآن رمز المقوة والجبروت حتى ليعتبر الناس مصارعته والتغلب عليه بطولة وشجاعة عظيمتين وقديماً أيضاً كان أكثر الناس لا يرون الأسد إلا قليل منهم عن طريق التماثيل والصور وكان حديثهم عنه من وحى الخيال ولقوته وجبروته شبهوه بالشمس فى أوجها ولشجاعته وإقدامه أصر الملوك على الظهور بشكل الأسد لما شاع من تقديره وتقديسه وهو بعيد عنهم كفلاحين أما الثور فكائن معهم ملموس يعيش بينهم يراه الكبار و يلعب معه الصغار أليف الكل يحبونه و يقدرون فيه نفعه لهم فهو غذاؤهم ومن فلاحة الأرض إلى أفواه الناس طعاماً يشبعهم و يقيم حياتهم ولحماً شهياً وجلداً يكتسون ولهم فيه منافع أخرى فى نقل حاجاتهم وخدمة أغراضهم وعند اليونان كانوا يعتبرون الثور بالنسبة للفلاح الفقير كالعبد عند الغنى لا يخشى أحد خطراً منه كالحيوان المفترس فكله رزق لهم وخير وقوة انتاجية للأبقار ووفرة فيها وقوة جسمانية لخدمة الزرع لا تباريها قوة انسان مهما كان قوياً صبوراً تسلية لهم فى ركوبه ، وتناطحه ومصارعته فهو كل حياتهم تقريبا وكذلك البقرة والخراف والمواشى الأخرى التى تعيش مع الفلاحين والرعاة ينظرون إليها من جهة نفعها العملى لهم .

لا عجب إذن أن يرتد الاسرائيليون الى عبادة الثور بعد اليهودية فقد نزحوا من أرض عبادة الثور إلى أراضي يسود فيها الثور روحيا متجهين إلى كنعان التي يعبد فيها الثور أيضاً وصدق الله العظيم عندما نهاهم موسى عما كانوا يفعلونه في مصر من قبل وما يفعله الناس في كنعان (لاو يون ١٨ / ٣) المتجهون اليها فهم لم يخرجوا عن دائرة تقاليد عبادة الثور مطلقا رغم نزول اليهودية الدين السماوي فلم يؤثر فيهم وهم النفعيون الذين ارتبطت منافعهم بالثور الذي كان يلبي عملياً مصالحهم فاعتبروا اليهودية مبادىء نظرية ولم يكن بين هؤلاء القوم جميعهم سوى موسى عليه السلام(٩٥) يهوديا صادق الايمان ومخلص النية لله ولم يكن علمهم بالدين الجديد النظري وايمانهم به ليخرجهم عن تقاليدهم التي تعودوا على ممارستها فقد نشأوا عليها فتمسكوا بالثور وعبادته وظاهر من هذا كون هذا المعبود القديم نافعاً لهم عندما كانوا في وادي النيل يرعون ما شيتهم في أرض المراعي (جوشن) شرق الدلتا ومن حولهم الفلاحون المصر يون والكل يجل الثور و يقدسه كرمز للقوة وخدمة وفلاحة الأرض والانتاج الحيواني والزراعي فكان كل انسان بارز من الشخصيات قوي عامل منتج نافع يدعى ثوراً .

افسقد اليهود ثورهم في صحراء موحشة لا ماء ولا نبات فيها ولا رعي وقد وجهوا نظرهم إلى السماء في دينهم الجديد يستلهمونها الصبر على ما هم فيه من جوع وقلة زاد واستبدلوا بالخضر اللذيذة والقمح التي تبدو على مرآى من أنظارهم غر با في الوادي باللبن والعسل فاشتاقوا العودة إلى العجل وعبادته ولم تكن سيناء لهم ر ياضة روحية كما يقول الأستاذ فؤاد حسنين كما أرادها موسى لهم بل كانت محركة لنفوسهم الضعيفة الكافرة الثائرة الجائعة الحاقدة للردة إلى عبادة الثور وكانت عبادة الثور وهم عبرانيون قبل اليهودية في عقولهم وفي قلوبهم وذاكرتهم وكانوا يرون في عبادة العجل أبيس ومنيفيس و بوكيس (Apis Mnevis، Bukis) أمراً طبيعياً عملياً ينالون منه نفعاً مادياً فور ياً « فاشر بوا في قلوبهم العجل » البقرة/ ٩٢ . ولا ينتظرون جزاء الجنة بعد حياتهم في اليهودية التي كان عونها وصية وحضاً على تمسكهم بالصبر والثواب على تحمل المشاق والمتاعب وأجرهم عند الله في الآخرة دين نظري لعقول بدائية وأجساد جائعة ونفوس كافرة ثائرة هيهات أن تستجيب للمعنو يات فهم هنا في سيناء في ذعر من المجاعة حتى أنهم عندما ذهبوا الى كنعان وهي أرض عبادة العجل أيضاً قضت عنصر يتهم الأنانية الارهابية على أهلها الأصليين لينفردوا بالأرض يستقرون عليها وحدهم أماناً غذائياً لهم فقط كما جعلوا من اليهودية كذلك دينا عنصر ياً خاصاً بهم فلم يذهبوا إلى كنعان مبشر ين بدين جديد بل ذهبوا والعنصر ية التقليدية العبرانية الاسرائيلية في قلوبهم وعقولهم فأفسدوا هدف اليهودية المادي لجميع البشر وقد انطووا عليها واتخذوها دينا عنصر يا قاصراً عليهم فلم تغير اليهودية منهم شيئاً واقتلعوا من كنعان أهلها الأصليين واغتصبوا الأرض وانزووا بأنفسهم وفسروا وعد الله تفسيراً

شيطانياً مفترين على الله الكذب بعملهم اللا انسانى الذى لا يمت بسبب إلى اليهودية تفسير ضال بطل فيه ما أمر به الدين من مؤاخاة بين الناس وتآلفاً بينهم فى حب الله .

وهكذا يقول كونراد إن صنع هارون العجل الذهبى لم يكن كفراً بل هو قد تم برضاء القوم جميعهم وكان ذلك العمل من اختصاص كاهن الثور فى التقاليد العبرانية فى مصر وكان هارون باجماع العلماء الباحثين كاهنه وكان العجيل الثمين المعدن من الذهب الأصفر الخالص من أية (شية) يسر الناظرين وكان هذا العجل الذهبى يعبد أيضاً فى كانوبوس فى العهد الرومانى ولكنه على ما أعتقد كان رمزاً شمسياً لا كالعجيل الاسرائيلى الكافر وقد أورد ايرهارد لهذا العجل (صورة) بعض بنى اسرائيل يرقصون حوله فكان العجيل الذهبى من صنع هارون صغيراً نظراً لقيمة معدنه وظروف تكوينه كما يقول كونراد وكما يخبرنا سترابون فإن موسى كان كاهناً على قطاع كبير فى الدلتا وعالماً بطقوس ومراسم التقاليد المصرية والمعابد وعالما وفيلسوفا تعلم فدرس الحكمة والفلسفة المصرية ولكن علمه وفلسفته وعمله ودراساته أوحت إليه كلها باتجاه جديد وفكر جديد وفلسفة جديدة تبلورت فى دين جديد أعده الله بما آتاه من استعداده فى تأمله الروحى لوحيه فتلقى الوحى الإلهى بقلب سليم . بعكس هارون الذى لم يكن مؤهلاً لا روحياً ولا عقلياً لأن يكون نبياً بل قامت منزلته فى قومه القبلى العنصرى على أنه أقرب الناس الى موسى فإن أضله وقومه أحد كالسامرى من عبدة العجل فلا أيسر فى غياب موسى أن يستجيبوا جميعاً له أنهم خرجوا من أرض عبادة العجل إلى أرض فيها الثور معبود وفى سفر التكوين كما ذكرنا (٢٢ / ٢٤) تجد اشارة إلى صخر اسرائيل الذى يظن كونراد أنه كان مكان لقاء لهذه الطوائف السامية من عبدة العجل ومهما يكن من شىء فلم يكن بين بنى اسرائيل يهودى صادق النية والايمان إلا موسى عليه السلام كما يخبرنا بذلك سترابون أيضاً فيما سبق ولكن كان غضبه لردة القوم الى عبادة الثور وعلى من ساعد على هذه الفتنة الدينية غير ذى أثر على عبادة الثور فى هذه المنطقة التى يعبد فى كل مناطقها العجل فى بيتهل Bethel وفى شيشيم Sechem وفى شيلوك Shilok وجيلجال وجهات أخرى كثيرة أسست فيها مراكز لعبادة الثور كان يحج إليها العابدون له فى مناسبات زراعية معينة فلما ان أتى اليهود إلى هذه المستوطنات تغيرت فى مناسكهم النظرة إلى العجل من القوة والفحولة كرعاة إلى نظرتهم له لما استقروا أنه رمز فقط للخصوبة فأنظر كيف كانوا جوعى ! جوعى يبحثون فى مستقراتهم عن الأمن الغذائى يقيهم بعد طول ما عانوه منذ خروجهم من مصر فى تنقلهم فى فيافى سيناء من شظف العيش وعسر الرزق وقلة الزاد فاستولوا على الأرض أولاً وأخرجوا منها أهلها وأصحابها الأصليين بدلاً من أن يدخلوهم فى دينهم و يعيشون معهم فى أمان يظللهم فيه دين الله .

فى هذه المنطقة وعند الحيثيين خاصة لم يكن لأى حيوان غير الثور قدسية دينية بعكس ما كان فى مصر والهند وأرض الجزيرة فقد كان لحيوانات أخرى غير العجل فيها قداسة وإن كان

العجل يعتبر أهم وأعظم الحيوانات المقدسة . وفيها أراضى خصبة يغذيها ماء النيل والأنهار الأخرى هناك وليست الأمطار فقط هى عماد ريها ثم مراعى كثيرة عليها حيوانات زراعية كثيرة ذات فوائد جمة للناس أما عند الحيثيين فأراضيهم شبيهة بواحات أو جزر فى بلدان وسط الصحراء والمناطق الجبلية فالعجل كان أهم وأكبر رمز للخصوبة فيها فكان الثور إلٰها فى شارشميش Charchemich . كما كان فى بال واور Ur و يتصف هناك بأكبر مزايا الاخصاب بالنسبة لعابديه شديد الوطأة والغضب على من يتحداه . فهم يتصورونه إلٰها للسماء فى هيئة آدمى يسمونه Techub وهو منزل المطر حياة الأرض .

وشبيه بهذا الإلٰه الحيثى شكلا ورمزا كانت الآلهة داد Dad، وهادد Haded ورامان Ramman أى الذى يخور والبعل (١٣٢ ص ١٠١ - Baal) وفى بابل وآشور كان الإلٰه الثور يسمى رامان وفى أحد ابتهالات بابل للإلٰه الثور يقولون « أيها الإلٰه رامان Ramman تسامى اسمك أيها الثور العظيم إبن السماء إلٰه الوفرة » فالتماثيل والأناشيد والعبادة كان يتوسل بها الرجل القوى والمرأة الخصبة والملك الجبار لينالوا القوة والخصوبة من العجل فالخصوبة والقوة هما أهم شىء فى الشرق الأوسط يرمز إليها الثور فى قول شاعر فى سور يا أن المرأة تتمتع بأن يخصبها العجل ايل El . كما كان فى كريت طبقة من العاهرات يسمون ديكتر ياد Diktriades لا يرضين أن يمسهن أحد إلا العجل ثم فى اليونان كان النساء يتوسلن أن يأتى اليهن ديونيسوس بأرجل العجل .

كان ايل El معبود الكنعانيين وعندهم أنه هو أبو البعل والأداد وهما عجلان و ينادونه « العجل الأب » وهو إلٰه مخصب ولذا كانت السماء من اختصاصه كز يوس عند اليونان أنه هو الذى يمتطى السحاب أنه الرعد إلٰه العواصف و ينزل المطر فبدونه لا نبات للأرض القحلة ولا لمراعيهم فليس عندهم إلا جداول صغيرة لا تكفى حاجتهم كما كان عند اليونان الذين يخزنون مياه الأمطار حتى الآن فأرواحهم متعلقة بمنزل المطر مدرارا فبدونه تصير أنهارهم ترابا وأرضهم قحلة بلا زرع فإذا عاد عادت معه الحياة وكل شىء وفى العربية تعبير « أرض البعل » هى الأرض التى تعتمد فى ريها على المطر ونقول عندنا نبات بعلى أى يروى مرة واحدة .

وفى اليونان نفس التضار يس تقر يباً والمناخ وهى شبيهة بكل أرض جبلية فى محصولها القمح والزيت والنبيذ وهكذا كنعان بلاد عبدت الثور وتمسكت به كغيرها من مناطق الشرق الأوسط وكان الثور فيها يتصف بكل ما يدل على الاخصاب من قوة وفحولة فهو الماء المخصب للأرض الجبلية التى تحتاج لكل قطرة ماء فهوعندهم كأوز ير يس فى مصر إذن فأين ذهب اليهود من بنى اسرائيل بعد أن نزحوا من مصر إلى كنعان التى تعبد الثور مجتاز ين كل الأقاليم الشاسعة عابدة الثور أنهم لم يخرجوا من محيطهم الذى تعودوا عليه فى عبادة معبودات كان الثور أهمها وصدق الله العظيم فقد أمرهم موسى ألا يعملوا ما كانوا عليه فى مصر وأن يتجنبوا ما يجدونه

فى كنعان حيث يقودهم إليها فرحيلهم من مصر وترحالهم فى سيناء واستقرارهم غير المشروع فى كنعان كلها مناطق عبادة الثور زيادة على عنصر يتهم القبيحة التى ضنت بكل شيء على غيرهم من الناس حتى دين الله فكانوا أسوأ من أؤتمنوا على شيء وكانوا فى عنصر يتهم (ثيرانا) عتاه فبعقول (الثيران) أرادوا أن يجعلوا لأنفسهم جذوراً فى أى أرض وهم السطحيون الرحل الذين ليس لهم أصل ثابت ولا حضارة مطلقاً فتمسكوا باليهودية وجعلوا منها دينا عنصر يا لهم واستمسكوا بعنصر يتهم الدينية هذه متوهمين أن ذلك يجعل لهم أصلاً وجذوراً وحضارة فى أراضى اغتصبوها من أهلها فكانوا واهمين ولم يخدعوا أحداً بل كانوا أنفسهم يخدعون فاليهودية دين الله للناس أجمعين .

أما الفينيقيون وهم من أهم من نشر عبادة العجل وروج لها فى حوض البحر الأبيض المتوسط هؤلاء التجار البحر يون القدماء من عبدة العجل كانوا صلة بين عالم البحر المتوسط القديم بعضهم ببعض وكان البعل إلـٰههم الأكبر وزوجته عشتروت البقرة تماما كمعبود الشرق الأوسط فى كل الأنحاء وخاصة مصر وكانوا يحرمون أكل لحوم الماشية إلا فى مناسبات دينية نادرة وفى غيرها كان اللحم حراما وأكله من الكبائر .

هكذا لم يبعد اليهود عن تقاليد عبادة الثور حتى بعد اليهودية وظل أثر هذه العبادة فيهم فكان يوشوا Jushua الذى قاد اليهود الى كنعان بطلا من قبيلة إفراين ، Ephrain وهو اسم مشتقاً من اسم الثور الذى كانوا يعبدونه فى الصحراء و يرى كونراد أن داوود عندما أسس الولايات اليهودية المتحدة أسس معها عبادة يهوا ، Jahwiam فبدى لعقول العامة فى تصورهم تقارب وتوحيد (بعل يهوا) واستمر هذا التصور (للبعل مع يهوا) فى عهد ابنه وخليفته سولومون بدليل أنه قد وجد فى المعبد المشهور تماثيل للإلـٰه شيروبيم Charubim وهو تمثال إلـٰه من البرونز بشكل آدمى مجنح برأس عجل ثم وجد تمثالان كبيران لهذا الإلـٰه شيرو بيم فى قدس الأقداس بالمعبد (١٣٦ ص ١١٠) .

و بعد موت سولومون حدث تراجع ونكسة كاملة إلى الردة فقام يرو بوم Jernboum وجمع شمل قبائل شمال فلسطين وحثهم على عبادة صور آلهتهم القديمة فأقام مراكز لعبادة الثور فى مركز ثور يعقوب (عزيز يعقوب) كما يذكر فى التوراة (التكوين ٢٢ / ٢٤) ضمن مراكز أخرى لعبادة الثور فى بيت هل Bethel وفى دان وقال لقومه « يعيد عليكم أن تذهبوا إلى بيت المقدس فانظروا هذه هى آلهتكم القديمة التى عبدتموها فى أرض مصر » (١٣٦ ص ١١٠) .

هذا هو اثر مصر على اليهود فى هذه البقاع الذى تأثر به اليهود أنا وجدوا بعد نزوحهم عن مصر فلا يمكن أن يتخلصوا منه انها آثار باقية فيهم إذ لم يكن لهم من حضارة إلا ما أخذوه عن مصر ولا فضل إلا ما اكتسبوه من مصر ولا حكمة ولا أمثال إلا تعلموها فى مصر فمصر بالنسبة لهم أصبحت كالليل الذى يدركهم رغم بعد الشقة وسعة المنتأى ورغم ذلك يأبون الا أن يطفئوا نوراً

ملأ عقولهم وقلوبهم فجحدوا نعمها عليهم حسداً لها وكرها فيها وغيظاً منها ثم بعد ذلك يلجأون إليها بوجوه شوهها الر ياء حماية لدينهم من أعدائهم فى فلسطين وفى بيت المقدس كما سترى .

وقد أصبحت هذه المراكز التى أسسها برو بوم م Jeruboum لعبادة الثور مجالا لمراسم الاخصاب الاباحية ومجالا لسنة حرق لحوم أضحية العجل أيضاً فى المشرق كجزء من مراسم العبادة مما أثار لوم وانتقاد أنبياء اليهود فى الجنوب وشددوا هجومهم على هذه العبادة فكان ذلك دليلاً على تمكن عبادة العجل من عقيدة اليهود آنذاك فاليهود فى المشرق (الأناضول) لم يتنازلوا عن عبادة العجل التى مارسوها وآمنوا بها قروناً طو يلة وقد أصاب كونراد (١٣٦ ص ١١٠) فى قوله بأن تقاليد عبادة العجل كانت راسخة قو ية فى نفوس الناس فالعجل يوحى بالاحترام والحب والاعجاب لأنه يستجيب لمتطلبات حياتهم هناك ومرتبط باحتياجاتهم ورغباتهم الدنيو ية الواقعية فلم تفسح العقيدة فيه مجالا لعقيدة الأنبياء الدينية السماو ية المعنو ية أى أن بنى اسرائيل تمسكوا بعقيدتهم التى مارسوها كعبادة عملية كانوا يستفيدون منها فيما مضى (١٣٢ ص ١١٠) مما حدى بهم فى ابتداء رسالة موسى أن يتراجعوا عن دينه الذى أنزل عليه فكان موسى هو اليهودى الوحيد بين قومه الذى اختار الله معبودا له فاختاره الله لرسالته للعالم وهو العملاق الفكرى الفلسفى الروحانى الحكيم صافى النفس والقلب السليم ولكن لم يكن اقناعه قومه باختيارهم الله سهلاً فقد غلبت مصالحهم الأرضية وحاجاتهم الدنيو ية وهم الرعاة الرحل المستضعفون فى الأرض لا يشغلهم إلا حياتهم الصعبة البدائية لا هم لهم فيها إلا الاهتمام والمحافظة وتقديس كل ما ينفعهم و يعينهم على حاجاتهم فى دنياهم فيحمل عنهم عبأها و يسهل لهم متطلباتها و يكثر لهم رأس مالهم وعماد حياتهم من قطعان الماشية غلب ذلك تطلعهم إلى الروحانيات السماو ية فقابلوا دعوة موسى اليها وتقبلوها بفتور وسلبية ولولا خشيتهم من اضطهاد المصر يين لهم لما خرجوا معه من مصر كما ذكرنا .

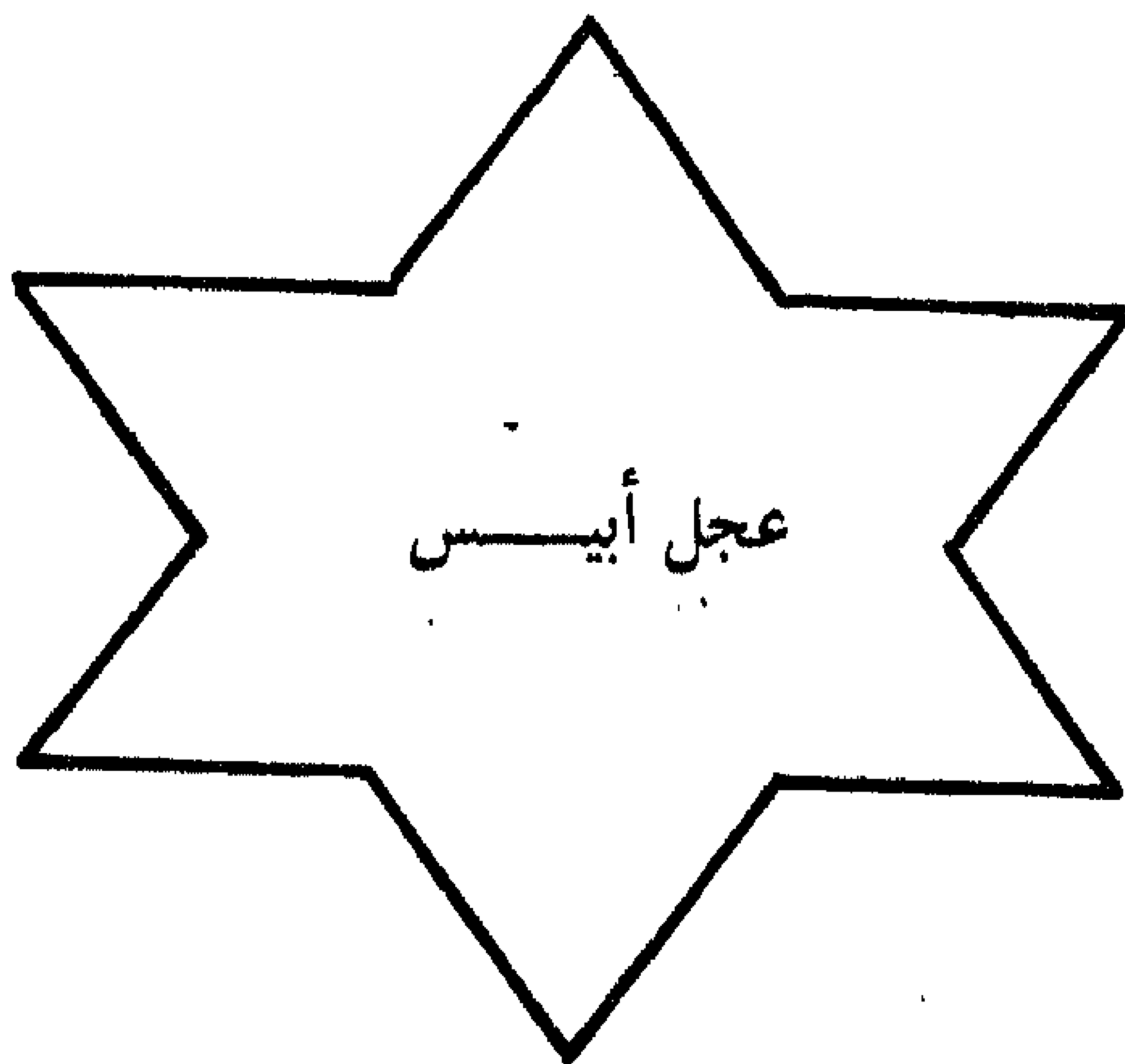
كانت نتيجة كثرة التضحية بالعجل وأكل لحمه إن سادت فكرة الوحدة بالجوهر بين الإلٰه وعابديه مما كان بركة للعابدين المشتركين فى هذه الولائم الدينية المرسمية وقد كان شعور الناس بذلك قو ياً شديداً حتى ظل فى تصورهم بعد أن اختفت عبادة العجل فى المشرق بأسلوب آخر كما يرى كونراد ـــ فآخر عشاء ربانى كطقس رئيسى ومعجزة المسيحية المرسمية كان اثراً مذهبياً مباشراً أتى من هذه المراسم السامية الواسعة الانتشار (١٣٦ / ١١١) فسبحان الله الذى أعلمنا أنه حين أتت رسله ابراهيم « ما لبث أن جاء بعجل حنيد » كما كانت عادة القوم من زمن سحيق .

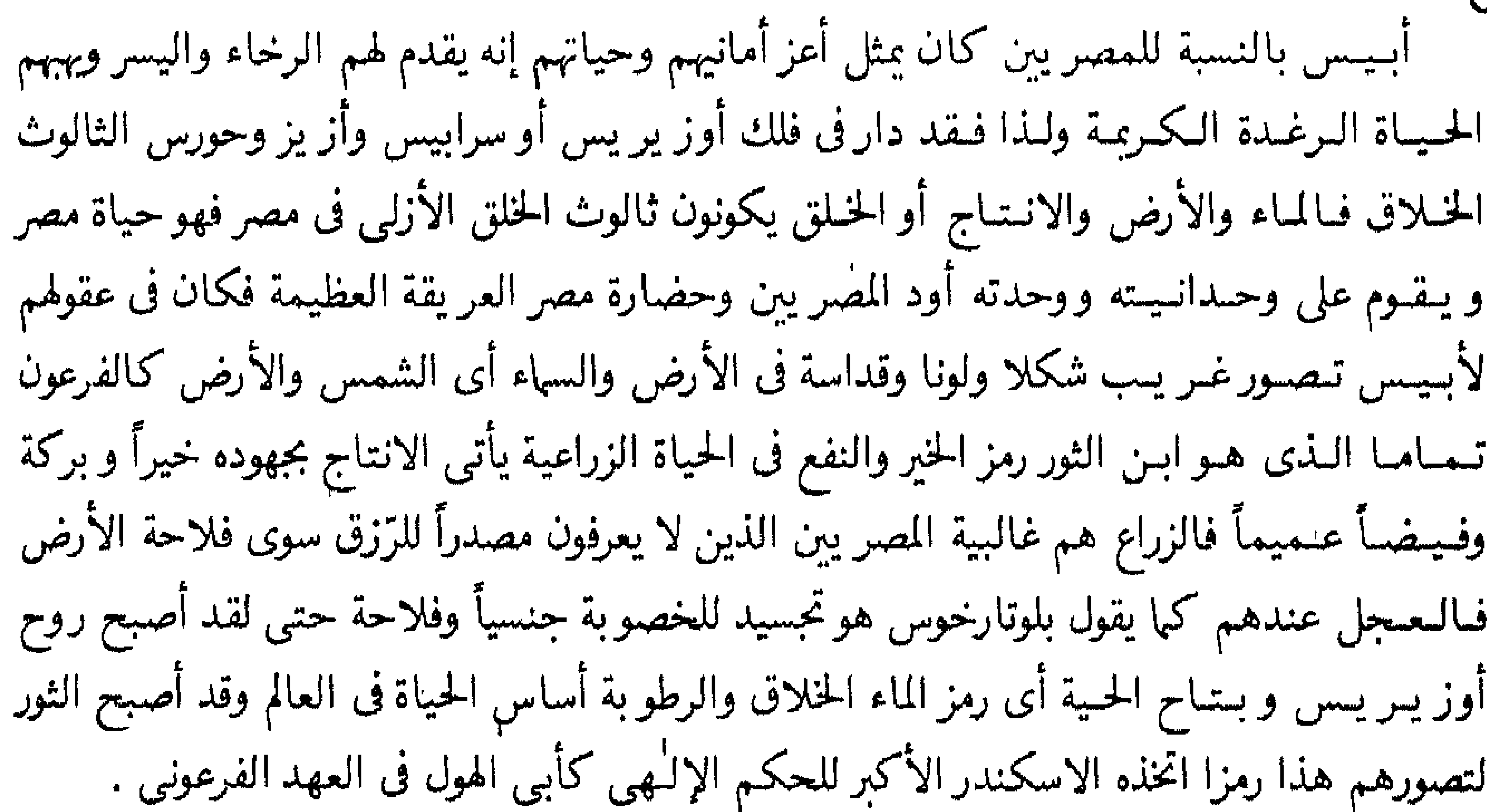
وقد كان المتقون والأنبياء من اليهود يرون الأسلاف والرسل فى أحلامهم ماشية من أبقار وغيرها كما روى Enoch (١٥٠ ق م) الذى يروى لابنه رؤ ياه فى منامه عن أصل الخلق أنه رأى فى منامه آدم وحواء ونوح .... الخ قد تمثلوا له جميعاً أبقاراً كبيرة وصغيرة

(١٣٦ / ١١٢) . ذلك لأن الماشية كانت بالنسبة لهؤلاء الرعاة والفلاحين أيضاً أهم ما فى حياتهم فليس أمامهم سواها يرون فيها كما كان فى مصر سر الخالق والخلق والحياة من خصوبة وقوة ووفرة وأمومة وتلقائية غريزية للبقاء .

هكذا كان أهل المشرق (الأناضول) وفى آشور عبدة العجل المجنح الذى زينوا به قصورهم وكان علم الملك سارجون نفسه يحمل رمزا ، عجلين ورأس عجل وعند الحيثيين وفى سومر وبابل والهند وفى مصر الكل يرجو ويلتمس من الإله العجل القوة والخصوبة بما يقومون به من عبادة له فى معابدهم وأناشيدهم وتماثيلهم يتقربون بها إليه منذ آلاف السنين فكان عند هؤلاء المرتبطين بالأرض فلاحة ورعيا الإله بدون منازع فى منطقة الشرق الأوسط .




عجل أبيـــس



أبيس بالنسبة للمصريين كان يمثل أعز أمانيهم وحياتهم إنه يقدم لهم الرخاء واليسر ويهبهم الحياة الرغدة الكريمة ولذا فقد دار فى فلك أوزيريس أو سرابيس وأزيز وحورس الثالوث الخلاق فالماء والأرض والانتاج أو الخلق يكونون ثالوث الخلق الأزلى فى مصر فهو حياة مصر ويقوم على وحدانيته ووحدته أود المصريين وحضارة مصر العريقة العظيمة فكان فى عقولهم لأبيس تصور غريب شكلا ولونا وقداسة فى الأرض والسماء أى الشمس والأرض كالفرعون تماما الذى هو ابن الثور رمز الخير والنفع فى الحياة الزراعية يأتى الانتاج بجهوده خيراً وبركة وفيضاً عميماً فالزراع هم غالبية المصريين الذين لا يعرفون مصدراً للرّزق سوى فلاحة الأرض فالعجل عندهم كما يقول بلوتارخوس هو تجسيد للخصوبة جنسياً وفلاحة حتى لقد أصبح روح أوزيريس وبتاح الحية أى رمز الماء الخلاق والرطوبة أساس الحياة فى العالم وقد أصبح الثور لتصورهم هذا رمزا اتخذه الاسكندر الأكبر للحكم الإلهى كأبى الهول فى العهد الفرعونى .

أفرأيت إذن كيف كان حرصهم كبيراً بالنسبة لأبيس وعلاماته ولونه ثم كيف يجمع المؤرخون اليونانيون القدامى الذين زاروا مصر على نظام الأضاحى عند المصريين القدماء وكيف أن العجل كان عند الفلاحين فى مصر خادما للأرض وعونا على زيادة انتاجها الزراعى وهو أيضاً كذلك عند اليونانيين فيعتبره الفلاح اليونانى بدلا من العبد عند الفلاحين الأغنياء ومن أمثالهم « الجار أحسن من الأخ فهو الذى يساعدك إذا ما حدث شيء لعجلك بالليل » فما دام النيل المخصب (أوزيريس) المخصب الأول والأساسى للأرض والزراعة فى دنيا الفلاحين مقدساً عندهم إذ أنه واهب الحياة وبدونه لا حياة للأرض ولا لهم ، كذلك كان الثور معاون النيل فى الانتاج بما يقوم به من حرث الأرض وأعمال خدمة الزراعة موضع اعزاز ومحبة ورعاية وتقديس كما كانت البقرة أيضاً مصدر رزق يأخذون منها اللبن والجبن والدسم واللحم وانتاج

حيـوانى ثم سماد للأرض فهى عندهم كزوجة الفلاح مساعدة فى خدمة الأرض وست الدار انها از يس فان كانت هذه الأبقار النافعة والضرورية لهم ذكورا وأناثا تشترك فى بعض من أوصاف مـن أوزيريس معلم العالم كله زراعة الأرض بعد الاستقرار من حالة البداوة والترحال فى شىء مثـل اللـون الأسـود أو اللـون الأبـيض لون ابنه حورس رمز الشمس المشرقة وتجدد الحياة فيا عدا الأوصاف الأخرى التى يجدونها فى العجل الذى يمثل روح أو يزريس الحية زاد تقديرهم وحبهم لهـذه الأبـقـار فان قدمت منها أضاحى فيجب ألا تكون من الأبقار التى يعتزون بها وهكذا كانوا يفـعـلـون بشهادة المؤرخين الذين اهتموا بمصر ديانة وتقاليداً فليس أمر أيسر علينا أن نتعرف على عـجـل أبيس من ذكر الأستاذين ايليانوس فى كلامه عن خصائص الحيوانات وهو العالم المختص فى علم الحيوان ثم الأستاذ بلينى العالم الرومانى فى التاريخ الطبيعى فمن طريقهما يمكن أن تأخذ فكرة مختصرة شاملة من تصور المصريين لما يكون عليه عجل أبيس من أوصاف أشهر وأقدم معبود من الحـيـوانـات وأعـرق حيوان وجد على أنبل وأخصب أرض أزلية أرض مصر السوداء الخالدة أز يـس الـسـمـراء ذات الأسماء الـتى لا تحصى فعجل أبيس فى دنيا مصر الفلاحين أروع إلـه له ايمـان ووجـود فى نـفـوسـهـم لا يدانيه عندهم إلـه آخر فاذا كان أوزيريس هو حياة الأرض أى الـنـيـل ومـاؤه فالثور روحه الحية التى تكمل العمل بالجهد فى الانتاج وزيادة المحصول كما وصفه المؤرخـون كما أن الـبـقرة كانت مكملة للرخاء فى بيت الفلاح وفى أرضه وهى الأم للعجل الولود الحـلـوب فـالـعـجـل (أبيس) يولد من بقرة يخصبها شعاع من أشعة القمر المخصب وهى فى حالة استـعـداد للحمل كما يقول المؤرخون القدامى أما ايلياتوس فيروى لنا أن شعاعا من السماء هبط على بـقـرة فى حـالـة اسـتـعـداد للـخـصـب فـولـدت عجل أبيس الذى يسميه اليونانيون أيبافوس Epāphos، وعـنـدهم أن أم هذا العجل هى ايو Iō من مدينة أرجوس فى اليونان وأن أبوها هو ايـنـاخـوس Enachos وهـكـذا يـرجعون نسبه إلى خرافة ايو Iō أما بروجشى فيقول أيضاً أن زيـوس قـد سـخط أيو بقرة وضعت فى النهاية أيبافوس فى مصر أو عجل أبيس وذلك قبل أن ترجع إلى صـورتهـا الآدمية على يد زيوس وهذه هى الخرافة اليونانية التى ترتبط بأبيس المصرى وتتشابه فيهـا أيو Io وهى بشكل البقرة مع أزيس Isis أى حتحور ورغم أن هيردوتوس (٣ — ٢٨) وأرستا جوراس Aristagoras (ميللر ٢Mueller — ٩٨) . قـد قـدّمـا مـثـل هذه القصة إلا أن المصريين لم يعترفوا بذلك على حد قول ايليانوس نفسه فهم قد رفـضـوا هـذه الـقـصـة واعتبروها قصة زائفة وذلك لأنهم « أكدوا أنه يجب أن يكون على ظهر هذا الـثور المقدس ٢٩ علامة ظاهرة فى وضوح » ثم يحتجون أيضاً بأن ايبافوس هذا ولد فى عصر متأخر جدا بينما كانت أول معرفة البشر لأبيس قبله بآلاف السنين (٨٥) .

صـدق ايـلـيـاتـوس فالواقع أن ظهور أبيس كمعبود رسمى كان كما يقول ايليانوس نفسه من عـهـد المـلـك مـينا أى من أول عهد الأسرات أى أقدم بكثير جداً من ظهور تلك الخرافة اليونانية

التى أراد لها اليونانيون أن تأتى على غرار التقليد المصرى فهم أيضاً يقدسون الثور تقديراً منهم لخدماته الزراعية .

ذكرنا فيما سبق أقوال المؤرخين من اليونانيين فيما يخص ولادة أبيس وقد أجمع الكل على صلة أبيس بالقمر وقد أوردنا أيضاً ذكر بلوتارخوس لذلك وعنده أن هذا الثور الخصب قد « ولد عندما هبط أحد أشعة القمر على بقرة فى حالة استعداد للاخصاب » (٨٦) . وهذا ما يشير إليه أيضا المؤرخون الآخرون ومعهم بلينى Plinius إلا أن إشارته لم تكن مباشرة ففى كلامه عن العلامات التى تزين أبيس يذكر أن أول ما يتميز به ثور أبيس هذا بقعة بيضاء يشكل هلال قرى على جانبه الأيمن (٨٧) .

إنه يذكر الهلال كأول وأهم علامات أبيس فهو إذن ثور ينتمى إلى الفلك حتى تبلور تصويره فى العصور المتأخرة على لوحة من الحجر الجيرى نحت عليها نحتاً بارزاً يبرز فيها العجل وقد غطى كله بالذهب وهو واقف متجهه إلى اليمين و بين قرنيه قرص الشمس والخلفية التى يبرز عليها زرقاء بلون السماء وهذا دليل على النظرة الفلكية التى بنى عليها علماء الكهنة فلسفتهم اللاهوتية فى عبادة العجل أى الشمس فى برج الثور فأنظر كيف ارتبط العجل بعبادة أوزيريس أبيس ودار فى فلك الشمس الأزلى فمن بين الكهنة من يعتبر أن أوزيريس هو الشمس صراحة و يسميه اليونانيون سيريوس Sirius أى نجم الشعرى اليمانية وهى نجمة الكلب الفلكية باعثة المطر كما يحدثنا بذلك بلوتارخوس (٨٨) ولا غرابة فى ذلك فالصلة بين أوزيريس والشمس والشعرى اليمانية باعثة مطر وماء الفيضان كلها تمثل تماما أوزيريس الذى هو النيل بمائه فالشعرى اليمانية هى نجمة أزيس تى المسماة صوثيس Sothis باعثة و بشيرة الفيضان فالمساواة بينها و بين أوزيريس والشمس قائمة ونجد ذلك كله بمساواة الجميع واضح تماما على حجر منقوس لخاتم من العهد اليونانى الرومانى ضمن مجموعة المتحف المصرى النادرة الثمينة وهذا النقش يمثل الشمس قبيل وقت الأمطار الموسمية ممثلة برمزها النسر الذى يقف فى عربة شمسية يجرها كلبان وهما رمز نجمة صوثيس تسير مع الرياح الموسمية المحملة بسحب المطر الغزيرة فى موعد مطلع نجمة صوثيس أى الشعرى اليمانية أى أزيس صوثيس Sothis عند المصريين وهى نجمة أوزيريس سيريوس Sirius اليونانية أيضاً بشيرة الفيضان العظيم تجدها عند اليونان ممثلة بازيس على ظهر الكلب على النقود الرومانية أيضاً وفى أعلى الشكل النجمة وهى العملة الخاصة بمصر والمسماة بنقود الاسكندرية فكل هذا التمثيل على هذا الحجر المنقوش النادر وعلى النقود انما يتعلق بدورة الشمس وتطورها فى الفصول الأربع الزراعية بمصر ومنها موسم الفيضان فكان المصريون يكرمون الأسد و يزينون أبواب معابدهم برأسه إذ أن النيل يفيض عندما تقترب الشمس من مجرة الأسد و يعلق لو يب على ذلك بأن نجمة صوثيس أو الشعرى اليمانية تشرق فى هذه الآونة إذن ففى هذا الوقت يجر الكلبان رمزا نجمة صوثيس العربة

الشمسية ايذانا بظهورها وفيضان النيل (فقـرة ٣٨=٣٦٦أ) وهكذا نجد المطابقة تامة فى قول بلوتارخوس عن أوز يريس فى التقاليد العامة بأنه الشمس وأنه عند اليونانيين نجم سيريوس بشير و باعث ماء الفيضان .

أما المصريون فكانوا يعتقدون فى خصب القمر حتى أنهم رمزوا إلى ابتداء الربيع بقمر شهر فامينوث Phamenouth الجديد فيحتفلون فى هذه المناسبة بعيد اسموه « أوز يريس فى القمر» وهذا يعنى أن أوز يريس هو المخصب كالربيع وهو الذى يخصب البقرة أم أبيس بشعاع من القمر، ثم يذكر بلوتارخوس أن المصريين كانوا يركزون قوة اخصاب أوز يريس فى القمر ولذا فاز يس عندما تكون حاملا أو خصبة ترتبط بأوز يريس فى القمر ولذا فمن الكهنة من يقول بأن از يس ليست سوى القمر (٩٠) . فتماثيلها التى تمثلها بالقرنين المتوجين لرأسها ما هما إلا محاكاة لشكل الهلال القمرى ثم هى فيما تلبسه من ملابس داكنة إنما تدل على تلهفها لأن تتبع الشمس أو على أنها فى متابعتها الشمس تكون متخفية وغامضة ومن أجل ذلك أكد أيودوكسوس Eudoxos أن از يس هى الإلـهة التى يحتكم اليها الناس فى شئون حياتهم الجنسية فالناس يناجون القمر فى الحب وأحواله (٩١) .

وصدق أيودوكسوس أفلا نفعل نحن ذلك الآن ؟؟ ثم ان قوله منطبق على الواقع فاز يس المصرية قد اندمجت فيها كل الآلهات اليونانيات ومن بينها أفروديت إلٰهة الحب اليونانية كما تمثل ذلك كثير من التماثيل الفخارية والنحاسية فى جميع متاحف العالم ثم أنهم أيضاً من هذا كله « يقولون أن القمر أم العالم » (٩٢) . ثم انه عندهم فى طبيعته مذكر ومؤنث فى نفس الوقت ففى طبيعته المؤنثة يتزوج الشمس ويحمل منها ومن جهة أخرى فطبيعته المذكرة تنثر فى الهواء جرم الاخصاب (٩٣) .

فمن ذلك يتضح أن الثور يدخل دائرة أوز يريس الشمسية الخالدة و يقصدون بذلك أن يجعلوا له علامات قوية واضحة الدلالة وإن كانت بدائية تبرز ارتباط أبيس بالدورة الشمسية الأبدية التى يتوقف عليها كل شيء كقوة أو طاقة أساسية للانتاج الزراعى فى مصر تتعلق بها حياة الانسان وموته و بعثه وكذلك يرتبط بتوقيتها تطور الزراعة وتغير الفصول الزراعية فى البذر والحصاد والنيل ومائه وفيضانه توقيتا دقيقاً لا يتأخر ولا يتقدم ولا يتغير منذ الأزل وإلى الأبد متصل بفضل طبيعة مصر الفريدة حتى ليقول ايليانوس (١١ ــ ١٠) أنهم كانوا يشبهون الثور بحورس الذى يرون فيه السبب الأول فى خصوبة الأرض وحاصلاتها وهو أيضاً سبب كل موسم مبارك و يفسرون أيضاً سبب تعدد ألوان الثور بأنهم يرون فى ذلك اشارة خفية ترمز الى تنوع المحاصيل (٩٤) . وهكذا تظهر الصلة بين الثور وفلاحة الأرض قوية فى تفكير وعقيدة هؤلاء الفلاحين الأول و يبرز هذه الصلة أكثر ما ورد عن ايليانوس فى روايته على لسان الكهنة المصريين « إن قصة لا يعرفها الكثيرون هى أن الملك مينا فى مصر عندما فكر فى حيوان يعبده

اختيار الثور معتقداً أنه أجمل الحيوانات جميعاً » (٩٥) . أفرأيت إذن كيف أن ملك هؤلاء الفلاحين البدائيين الأول عند الاستقرار على الأرض وابتداء الزراعة الحقة لأرض مصر قد اختار الثور حيوانا وحيداً معبوداً له لعقيدة الكل فى هذا المجتمع الزراعى بأن أنفع الحيوانات وأشدها جهدا وأجملها فى تصورهم هو الثور فعبده الملك كما ورد فى هذه الخرافة وأصبح الثور رمزا للملكية فى مصر منذ ابتداء تاريخها الأول وكذلك الحال عند البدائيين من اليونانيين بالنسبة للثور كما ورد فى الياذة هومز.

بجانب منفعة الثور الذاتية للزراعة وجهوده فى خدمة الأرض وزيادة الانتاج للشعب وللملك يتدخل فلاسفة اللاهوت من الكهنة الفلكيين كما يصفهم سترابون فيخلقون له ارتباطا وثيقا برمز الاخصاب ومركز دورة الانتاج الزراعى وتوقيت المواسم الزراعية أى بالشمس المهيمنة على كل شىء وفلكها فيرتفع الثور فى السماء برجاً شمسياً تنزله الشمس أى برج للثور فى السماء رمزاً للاخصاب وقد نقش هذا الرمز على لوحة بارزة الحفر بالمتحف المصرى كما ذكرنا ، وأن هذا يخالف النظرة التى صنع من أجلها اليهود عجلهم من الذهب فالذهب يشير إلى لون ست إلـٰههم القديم الأصفر أو الأصهب الذى لا شية فيه كما ذكرنا .

ويشير المؤرخ بلينى أول ما يشير إلى صفة الثور الفلكية فأول ما شرحه له الكهنة علاقة الثور بالقمر فالهلال الذى على جانبه الأيمن له صلة بالقمر كذلك تأويل وشرح بقية العلامات وعلاقتها جميعا بالفلك ونجومه . فهذه عقيدة سائدة بين الشعب فى تطلعه إلى الشمس وهى عقيدة رسمية أيضاً فنجد علامة الهلال هذه التى على جانب الثور الأيمن والدليل على صلته بالقمر والسماء تمثل على التمائم والنقود فيوجد حجر خاتم صغير فى مجموعة المتحف المصرى يحمل نقش الثور واقفاً إلى اليمين وعلى جانبه الهلال بارزاً وفوق رأس أبيس كلمة (احمنـا) أو احفظنا باليونانية ثم بجانب هذه التمائم نجد النقود الرسمية تحمل أيضاً الثور أبيس واقفاً على جانبه الأيمن هذا الهلال اعترافاً رسمياً بأبيس كرمز شمسى فلكى أى إلـه ولذلك فاننا نلمس العناية بأبيس منذ ولادته فعندما كانوا يعثرون عليه عجيلا صغيرا بين المواشى يحمل تلك العلامات الشمسية التى تميزه عن بقية الأبقار وهى علامات كثيرة عددها عند ايلياتوس تسعة وعشرون علامة (٩٦) . وقد عدد هيردوتوس بعضها فيما سبق ولكنه لم يذكر عددها ثم إن ايليانوس يقول أن المصريين قادرون على تحديد أى نجم ترمز إليه أى علامة منها على جسم الثور و بين تلك العلامات كما يقول ما يشير إلى موعد ارتفاع النيل وشكل الكون (٩٨) أى أنه أيضاً كرموكرانور مبهيمن . وكما نرى فان ذلك تفسير صحيح لما اعتبر من أجله عجل أبيس روحا لأوزيريس حية فدورانه فى فلك الشمس يجعل منه أيضاً دليلاً على موعد الفيضان وظهور نجم الكلب (صوثيس Sothis) باعث و بشير ماء الفيضان وهذا كله دليل واضح على فلسفة عبادة الثور رمز

الفلاحة الأول وجعله الروح العاملة لأوزيريس أى النيل نفسه أى الفيضان واخصاب الارض . حتى أن الكهنة اطلعوا ايليانوس على تفسير علامة أهرى ممثلة على الثور بين العلامات ترمز إلى ما يدل فى الأزل على سبق الظلام على النور (٩٩) .

ثم إن ايليانوس لم يربط ولادة العجل بالقمر صراحة بل أطلق القول بأن شعاعا من السماء نزل على بقرة فسبب ولادته فهو بالنسبة للمصر يين أبرز الآلهة (١٠٠) .

وكذلك يقول هيردودت من قبله (٣/٢٨) بدون ذكر مخصص للقمر ولكنه يضيف أن أبيس أو Epaphos عجيل يولد من بقرة لا تحمل مطلقا بعد أن تلده (١٠١) .

ولكن ايليانوس يذكر الصلة التى تشير إلى انتماء أبيس للقمر يشير إلى علامة الهلال مثل بلينى فيقول أن هناك « علامة أخرى تبين شكل هلال القمر لمن يفهمون ذلك » (١٠٢) أى أنه يشير إلى سر وجود ودلالة هذه العلامة لمن يفهم علاقة أبيس بالقمر من المختصين أولى العلم .

أما بلينى فلم يذكر إلا علامتين شمسيتين فقط (٨/ ١٨٤) إصرارا منه كما يبدو على انتماء العجل إلى الشمس كفلك يدور فى فلك الشمس الأبدية المرتبطة بها مصر الفلاحين بنيلها وزراعتها والمعتمدة عليها فى توقيتها للزرع بكل دقة فأولى هاتين العلامتين تظهر على فرائه بقعة بيضاء بشكل الهلال القمرى على جانب أبيس الأيمن وأما الثانية فتختبىء تحت لسانه بشكل عقدة يسمونها جعلان أو الجعران (١٠٣) . وهذه العلامة أيضاً ورد ذكرها فى هيرودوتوس مع علامات أخرى كما سنرى (أنظر ملاحظة ٧٩) وهذه علامة غير ظاهرة إلا لمن يعرف موقعها وكنة وجودها من خبراء الكهنة العالمين بالأسرار فالجعلان أو الجعران أو (خيبرى) ماهو إلا رمز للشمس كما ذكرنا بين الدلالة منتشر الظهور ومعروف فى خرافة ولادة الشمس من جديد أى البعث وكان يمثل فى جسم الانسان أى فى العالم الصغير الضيق Macrocosme القلب على غرار الشمس فى العالم الكبير الواسع Mictorome تمثل قلب الكون النابض Kardia Tou Kosmou والتى يرمز إليها الجعران أيضاً وتلك علامتان ظاهرتا الدلالة على فلكية الثور وانتمائه فى السماء الأعلى بل هو الشمس الجديدة فأنظر كيف يرى المصريون الإلهة حتحور الفلكية كما ورد فى النصوص الخاصة بالمادة الأزلية بهيئة البقرة كما يقول بروجش أنها أولى وأقدم من كل الآلهة وتعتبر الأم الأزلية لإله النور (رع) أنها « أم أبوها وأخت ابنها الذى هو زوج أمه » (١٠٤) . وفى لغة الخرافات التذكارية تذكر حتحور بأنها المضيئة فى السماء القوية القادرة على الأرض والالهة الكبرى المخصبة تحتها فهى الملكة الكبيرة المقدسة وافرة الثمار والخصب فى أعماق الأرض » إنها تعتلى عربة التاسوع العظيم المقدسة كما Tefnut ومثل نوت Nut وإزيس ونفتيس بجميع أشكالها وأسمائها المحلية (١٠٥) . وكان تعليق بروجش قوله أنها بعبارة أخرى قد جمعت كل هذه الالهات وتضمنت فى ذاتها كل خصائصها .

أفرأيت إذن أن المصريين فى عقائدهم يبعثون بكل ما ينفعهم إلى السماء و يتمنون له الدوام فينسبونه الى الشمس و ينسبونها إليه و يربطونه بدورتها الفلكية الزراعية الأزلية الأبدية فى تغير الفصول وتجدد ماء النيل والزرع والحصاد ؟ أوليس ذلك أيضاً مصداقاً لقول بلوتارخوس الذى يوحى بفكرة أن هناك إلٰهين ؟ إذ يكاد يقرر وجود إلٰهين إلٰه لم يولد خالد أبدى لا يفنى وهذه اشارة منه للواحد الخفى الذى هو ملىء السموات والأرض كما ذكرنا فيما سبق وأما الآلهة الآخرين فكالإبطال الأول بعد ما يقومون به من أعمال جليلة فيعملون على احياء ونشر ما أوجده الإلٰه الأبدى لنفع البشر من نعم وخيرات وسلوك طيب وفضائل تنفع الناس و ينعمون بها أى ديمبورجيون أو آلهة ثانويون يقومون بما يشبه دور الرسل فيما بعد فى الكتب السماوية يفنون وتبقى أرواحهم مضيئة فى السماء تدور فى فلك الشمس الإلٰه الأبدى فروح أزيس هى نجمة الكلب (الشعرى اليمانية) كما يسميها اليونانيون أما عند المصريين فاسمها صوثيس ثم روح حوريس أصبحت النجمة أهوريون وروح ست إلٰه الشر هى الدب الأكبر(١٠٦) .

وفى الاطار الفلكى تظهر ازيس كما يقول برجش (ص ٦٤٨) كنجمة صوثيس (Sothisstern) فى السماء قرب الشمس فى أولى أيام السنة الجديدة وهو ما يعتبره المصريون الأول آنذاك رجوعاً لفصل الصيف فى هذه الآونة وليس فقط ايذانا بدخول سنة جديدة بل أيضاً اعلانا بابتداء موسم فيضان النيل وذلك له معنى رمزى كبير إذ أنه يجعل لنجمة صوثيس علاقة قوية قريبة من طبيعة ازيس فشروق مجموعة نجم ازيس فى هذا الوقت بالذات من السنة يشير إلى عودة الحياة أو تجددها فى مظهر العالم الموسمى فهذه الصورة على أرض مصر بهذا الانتظام الموسمى الدورى المنتظم يكوّن بوضوح ملحوظ ثلاثة مواسم وصول فصل الفيضان ثم فصل القمح ثم فصل الصيف القائظ (١٠٤ / ٦٤٧) .

هذه إذن ازيس الفلكية واضحة دلالتها النجمية بارتباطها بالدورة الفلكية وهى على الأرض كما يذكر بروجش « ازيس سيدة الأرض المنزرعة » وهى البقرة (هورسخا) أى المغذية التى تنتج كل شىء وهى التى ترضع وتغذى بلبنها ابنها الطفل حورس انها تهب الحياة وهى منتجة القمح والحبوب . انها (بوتو Būto) الخضراء التى تشبه خضرتها خضرة النباتات الجديدة التى تغطى الأرض فالآلهة بوتو آلهة الحقول الخضراء كما يذكر بروجش (١٠٤ / ٦٤٩) .

كل هذا ظاهر الدلالة على ارتباط الحلقة الزراعية الموسمية بالدورة الشمسية المنتظمة التى لا تخلف مواعيدها .

وكما يقول برجش أن تقاليد عبادة أوزيريس المحلية كانت عبارة عن ثالوث مكون من (١) أوزيريس بشكل عجل أبيس (٢) ازيس البقرة المقدسة مغذية ابنها حورس Horsecha (٣) الطفل حورس أو أبيس الصغير أو العجيل Kalb أى أن هذا بمعنى آخر هو الثالوث الأبدى سر وجود مصر فازيس كربة الحقل أو الأرض المصرية المنزرعة (ص ٦٥١) ثم هى هنا ليست بمفردها إذ أن زواجها من أوزيريس النيل فكرة مجازية متضمنة فى مفهوم الجميع (كما ورد فى نصوص الواحات Oase-Texten — ثم فى مدينة أبيس التى وردت فى قوائم المديريات فى مصر السفلى تحت اسم آموت Amut حاضرة المديرية الثالثة (الليبية) كانت ازيس تحمل اسم حتحور الذهبية نوبيت Nubit وحورس الطفل كان العجيل Kalb الذى ولدته ازيس للعالم وهذا هو أبيس الصغير فى نصوص حورس Horustexten العجيل الذى يقف بين أرجل أمه المضيئة من فوقه ثم يعلق بروجش على ذلك بقوله اى بعبارة أخرى « شمس الصباح اليومية وفى جريان سير الشمس السنوى التى تشرق من الشرق فهو الشمس المبكرة أو شمس باكورة الصباح » (١٠٧).

وقد كان بروجش موفقاً فى قوله أن فكرة Nutr تتفق مع فكرة أن هذه القوة تتضمن مبدأ التناسل والولادة فكل منها لا ينفصل عن الأخرى كما هو بالنسبة للتمثيل او التصوير الآدمى لفكرة الأب والأم والطفل كما أقامه المصريون بالتوازى مع ما يسمى بالثالوث الإلهى القائم على أساس التصور الحسى والبشرى وهكذا أقامت التعاليم فى مدينة طيبة الثالوث آمون (زيوس اليونانى) أب وموت (هيرا اليونانية) أم وابنهما خنسو (هرقل اليونانى) الطفل الابن ولكن بروجش يستدرج فيقول ولكن يجب ألا يخامرنا سوء الفهم بين وجهة نظر فكرة عدم تجزؤ أو انفصام الوحدة الإلهية فى هذه الأعضاء المتفرقة التى يتكون منها الثالوث فقد استبعد كل فكرة أو تصور ما يتصل بتكوين هذا الثالوث من البشر نهائياً ففيه تمثيل قوة الوحدانية الإلهية واضحة متينة. فآمون يظهر فى لغة الخرافة كرع موتيف - Ramutef أى زوج أمه وموت Mut كأم أبيها وأخت ابنها تماما كما كان الأمر بالنسبة للإلهة حتحور فيما أسلفنا قوله من أنها « أم أبيها إله النور الثور رع وأن الإله خنسو هو الذى « ولد أباه » (١٠٨).

وفى النهاية فان صورة هاربوكرات التى تتصل بثالوث أوزيريس المصرى أى الطفل مع الأب ومع الأم وكما عبد فى مدينة أبيس على بحيرة مريوط و بالذات ثالوث أوزيريس (أبيس) وازيس البقرة حورسخا (المغذية لحورس) ثم حورس الصغير عجيل أبيس (١٠٩).

فالثالوث كما ترى كله عجول مذكر ومؤنث كبير وصغير مما يدل على هذه العلاقة الوثيقة بالعجل كرمز لكل الآلهة الخصيبة من ماء وأرض وانتاج أوزيريس وازيس وحورس أى الثالوث الخصيب الأزلى أساس ثالوث أو مثلث الخلق أروع أشكال الطبيعة الإلهية وعماد الحياة عند أفلاطون والبيتاجوريين كما سنرى ، فالثالوث الأزلى أو الثالوث الأساسى كان

متماسكاً فى وحدة قوية لا تنفصم تتمثل فى رمز واحد بشكل واحد لا يختلف هو الثور الحيوان الزراعى على أرض الفلاح ذو النفع الكبير رمز هذه الآلهة النجمية المخصبة التى ترتبط بالشمس المخصبة قلب العالم وعقله المهيمن فى دورتها الزراعية فالعجل بعلامتيه السماويتين البارزتين ضمن العلامات الأخرى تدل على انتماء الثور إلى الفلك الشمسى أما سترابون فلم يذكر هذه العلامات تفصيلا إنما يجمل ذكرها كما هى ظاهريا بسيطة كما سنرى وقليلة تزين ألوانها أبيس التى تمثلها لوحة صقارة الاعلانية التى اكتشفها الأستاذ الكبير ماريت يعلن بها أحد محترفى تفسير الأحلام اليونانيين من القرن الثانى ق . م كما يؤرخها هو أى من العصر البطلمي وجدت بصقارة مرسوم عليها عجل أبيس بألوانه التقليدية كما يقول (الخشاب الحمامات الشفائية) وهذا الرسم بالألوان لعجل أبيس انما يدل على تمثيل صادق صحيح لما كان عليه أبيس بلونه وشكله عموما فأنظر ما يذكره سترابون من أنه « كما قلت (أى سترابون) أنهم (المصريين) يعتقدون أنه (أبيس العجل) إلٰه » « وله معبد فى منفيس و يعتبر كالإلٰه أوزيريس » (١١٠) .

ثم يذكر ألوانه فيقول « جبهته بيضاء و بعض أجزاء صغيرة من جسمه بيضاء ولكن أجزاء أخرى سوداء » (١١١) . فان أمعنا النظر فيما يقوله سترابون فى وصفه ما كان عليه أبيس من الوان وعلامات وجدنا ذلك مطابقاً تماما للرسم الذى يمثل أبيس بألوانه التقليدية على لوحة صقارة وهذه هى العلامات الهامة الواضحة فى الإلٰه أبيس فى اعتقادى أما بقية العلامات فقد نلاحظ فى شرحها وتفسير دلالاتها تعقيدات وجهة النظر الدينية لعلماء الفلك وفلاسفة اللاهوت من الكهنة مما يجب أن تتوافر فى الثور كإلٰه فلكى إلا أن كل هذه العلامات التى يتحدث عنها الكهنة من الصعب أن تجتمع كلها فى عجيل واحد وكما نفهم من ذكر سترابون فإن هذه الألوان التى ذكرها فى العجل كانت الأكثر شيوعاً فى لون العجل والتى يختاربها إلٰه جديد أى كما يقول سترابون « بهذه العلامات كانوا يختارون دائماً أبيس الجديد الذى يخلف العجل الذى نفق » (١١٢) .

وقد كان الأمر يقتضى من « أهل العلم المقدسين الذين توارثوا علمهم عن الأسلاف أن يتحققوا من هذه العلامات ليتعرفوا على الإلٰه الجديد فكانوا يذهبون إليه فى موقع ولادته حيث وضعته أمه ذات الحظوة الكبرى عند الإلٰه » (١١٣) . كما يقول ايليانوس وأنه بناء على « قوانين هرميس الأزلية كانوا يبنون له مكانا لاقامته لفترة ما ويجب أن يكون هذا المكان مواجهاً للشمس أى للشرق ثم يجب أن يكون متسعاً بالقدر الكافى لتقيم معه المرضعات » أى أبقار ترضع العجيل غير أمه طبعا (١١٤) .

فالعجيل « يجب أن يبقى على الرضاعة أربعة أشهر ثم يفطم وعند ظهور القمر الجديد يذهب الوزراء والكهنة لزيارته ثم بعد مضى سنوات يعدون له قاربا مقدساً ينقلونه فيه إلى منفيس » (١١٥) ، ويحدد بلينى عدد أفراد البعثة التى تحضر العجل إلى منفيس بمائة واحد وفى

منفيس يكون قد أعد « للعجل كل ما يتمتع به من بقرات جميلات ومرعى يمرح فيه و يتسكع ويجرى و يتمرغ فى التراب ثم حظائر لبقراته الجميلات المرضعات (١١٦) ، ثم بئر عذب يشرب منه فالقائمين عليه يقولون أنه ليس مستحسناً من الجهة الصحية أن يشرب باستمرار من ماء النيل » (١١٧) . « فشربه المستمر من هذا الماء العذب يسمنه إذ يساعد على تربية وازدياد لحمه » (١١٨) .

هذا هو أبيس المقدس ورعايتهم له صحياً وتدليلهم اياه واهتمام أولى الأمر من كهنة ووزراء بأحواله ومسكنه مع أمه المقدسة ومرضعاته المرفهات عنه من أبقار جميلات وفناء يبرطع فيه كما يحلو له وحظائر صحية إلى آخر ما يحظى به من رعاية ومحافظة أليس هو رمز الخصوبة والخير فى الحقل وأليست البقرة رمز الخير والرغد فى البيت فأنظر كيف كانوا يجلون و يقدسون تلك الحيوانات الخصبة المخصبة النافعة المغذية إنه رمز أوز ير يس النيل المخصب لاز يس الأرض السوداء المصرية . إنه يدور فى فلك الشمس المهيمنة و يدخل دائرة أوز ير يس واز يس وحورس فى ثالوث الخلق المقدس انه بعث لأوز ير يس جديد يرمز لخصوبة الوادى وارتفاع النيل فى فيضانه من جديد مع دورة الفصول الزراعية .

فأنظر كيف كانوا يحتفلون فى أفراحهم بظهور هذا الإلٰه الجديد بين قطعان الأبقار فيقيمون الاحتفالات الدينية ويجرون الطقوس والمراسم و يقدمون له الأضاحى و يطلقون أفراحهم بهذا وتبدأ أعيادهم مستبشرين بعد حزن على أبيس الذى نفق فاذا بظهور أبيس الجديد يجدد لهم الأفراح والبشر والسعادة يرقصون ويجتمعون فى الأجران فرحين مهللين بظهور إلٰه جديد هو بعث أوز ير يس فى أساطيرهم وتلك قصة طويلة نكتفى هنا بشهادة ايليانوس إذ يحدثنا مشيرا إلى احتفالات المصريين ومواكب الأعياد وكيف يعم كل مدينة وقرية الفرح والسرور» (١١٩) .

أما ذلك الرجل السعيد المحظوظ الذى وجد العجيل المقدس فى قطيعه فيعتبر « سعيداً فعلاً ومحظوظاً كما كانت البقرة الأم سعيدة ومرضياً عنها كذلك و ينظر المصريون إلى هذا الرجل نظرة اعجاب شديد» (١٢٠) .

هكذا يشير ايليانوس إلى ملابسات ظهور إلٰه جديد هو أبيس أى احياء ذكرى أوز ير يس الأبدية مما يعرفنا بحقيقة أهمية أبيس و يصور لنا حجم الجرم الذى اقترفه كل من الحاكمين الفارسيين قمبيز الأول وأوخوس وهو ارتكسركسيس الثالث عندما تجرأ على ذبح عجل أبيس وقد اسماهما المصريون بالسكين تشبيها بالسيف أداة القتل والموت بسبب قسوتهما وغلظة قلبيهما (أنظر فقرة ١١ = ٣٥٥) ثم لغباء ارتكسركسس الثالث (أوخوس) ولؤمه وغلظته أسموه الحمار أيضاً (فقرة ٣١ = ٣٦٣) أسوة بست إلٰه الشر وقد غاظه منهم هذه التسمية فرد عليهم بقوله مؤكداً أن هذا الحمار سيحتفل بأكل لحم عجلكم وذبح العجل (فقرة ٣١ = ٣٦٣) ونتيجة

لذبح أبيس يفقد الكلب أيضاً قداسته عند المصريين وخاصة عند عبدة أنوبيس فقد كان للكلب فى هذه العبادة منزلة رفيعة ولكنه فقدها وفاز باحتقار المصريين وكرههم له لأنه كان الوحيد من بين الحيوانات الذى أكل من لحم أبيس بعد أن ذبحه قمبيز ورماه (فقرة ٤٤ = ٣٦٣) .

يبين ذلك مقدار ما يكنهُ المصريون لأبيس من قداسة واحترام كبيرين وما زادهم استفزاز الفرس لهم باحتقار أبيس وقتله إلا تمسكا بعقيدتهم وايمانهم بالعجل واحتقارا للفرس واشمئزازاً من جرائمهم بتدنيس مقدساتهم ومما حدى بالأستاذ در يوتون أن يقول أن إصرار المصريين على عبادة الحيوانات كان تحديا ومقاومة وطنية ضد الفرس وغيرهم من الأجانب .

لم يكن مسموحاً لعجل أبيس أن يعيش أكثر من مدة معينة يحددها الكهنة كما يقول بلينى (٨ / ٨٠) و يذكر بلوتارخوس أن هذه الفترة كانت مدتها ٢٥ سنة وذلك فى كلامه عن العدد خمسة الذى إذا ضرب فى نفسه كان ضربه مساويا لعدد الحروف الأبجدية المصرية ثم مساوياً أيضاً لعدد السنين التى يعيشها عجل ابيس (١٢١) . كما سنرى فيما بعد عند دراسة ثالوث الخلق ــ ثم فى نهاية هذه الفترة كان يغرق فى بحيرة المعبد وكذلك يقول أيضاً Budge بادج موافقاً على أن أبيس كان مسموحاً له أن يعيش لمدة ٢٥ سنة فإذا تعداها دون أن ينفق قتل ودفن فى بئر مقدس لا يعلم موقعه إلا قليل من ذوى الشأن وهو فى ذلك يعتمد على ما ذكره بلوتارخوس واميانوس (١٢٢) ، وكان كل ذلك يجرى بين بكاء الكهنة وحزنهم ثم البحث عن عجل يكون خليفة جديداً له كما يروى لنا ذلك بلينى فى تاريخه الطبيعى (٨ / ١٨٤ ــ ١٨٥) ، فيقول « يظل الكهنة على أحزانهم هذه وحدادهم عليه ويحلقون رؤوسهم حتى يجدوا إلـٰهاً آخر يحل محل الأول ولم يكونوا يسمحون بالبحث عنه مدة طويلة » (١٢٣) ، فلا يحدد بلينى زمنا معيناً لنهاية حياة أبيس إنما يعلق ذلك على قرار الكهنة أما عن أحوال أبيس فيقول بلينى أنه كانت تقدم إليه بقرة مرة كل سنة يعنى كل سنة مرة وهذه البقرة تتزين بعلامات خاصة وإن لم تكن بنفس زينة أبيس وكان تقليداً أن يبحثوا عنها و يقدمونها إليه ثم يقتلونها فى نفس اليوم (٨ / ٨٨٥) وكان هذا الزواج الترفيهى يقصد به ألا يكون لأبيس سلالة لا تصلح لخلافته .

أما عن تنبؤات أبيس عما يسأله الناس من أمورهم كما يقول بلينى وكذلك كما يقول الأستاذ در يوتون بالنسبة لتنبؤات العجول الأخرى مثل ثور منتو Montu فى هيروموثيس فى الكرنك (١٢٤) ، فبالنسبة لأبيس كان إذا دخل احدى مقصورتيه المسماة بغرف النوم المخصصتان لعجل أبيس وكما يذكر سترابون كانت واحدة من هذه الغرف مخصصة لأبيس نفسه فى فناء المعبد (١٢٥) ، وأمامها فى نفس الفناء مقصورة أخرى خاصة لأمه أى أم أبيس التى

ولدته (١٢٦) ، وقد كانت هاتان الغرفتان مصدر التنبؤات للعامة فالعجل إذا دخل واحدة منهما تفاءل الناس واعتبروا دخوله فيها فالا حسناً وأما إذا دخل الأخرى تشاءم الناس وتوقعوا حدوث أحداث مكدرة لهم (١٢٧) .

ثم هو يعطى تنبؤاته لما يسأله عنه أحد الشخصيات البارزة الخاصة بأن يأخذ الطعام من يد من يستشيرنه وقد أعرض وازْوَرّعن يد الامبراطور جيرمانيكوس الممدودة إليه بالطعام ــ وكان ذلك تنبؤاً بموته أو برحيله قريباً من الدنيا » (١٢٨) ، وكان جيرمانيكوس قد زار مصر عام ٤٩ ق . م وقد اغتاله Piso ، بيزو السورى بعد ذلك بقليل .

Cornucopiae

اما الشعب فكان يستمد تنبؤات أبيس أيضاً من عبث الصبية الذين يسيرون خلف الثور أثناء نزهاته مع الكهنة المرافقين له فعند كل فرد داخل نفسه فكرة ما يريد أن يعرف مصيره وما قدر له فكانوا يتفاءلون بما يتفوه به الأولاد المرافقون للعجل كما يخبرنا بذلك بلينى (مرتلين أناشيد المديح والتعظيم له) عندما يخرج من صومعته التى يعتزل فيها (١٢٩) ، وفجأة تنتاب هؤلاء الصبية نوبة تخرجهم عن صوابهم فيهذون فى أناشيدهم بتنبؤات عن أشياء مقبلة (١٣٠) ، وهكذا كانوا يأخذون من أفواه هؤلاء الصبية المتحمسين لأبيس تنبؤات عما يضمرون فى نفوسهم من نوايا وعندنا نحن الآن مثل « خذوا فالكم من عيالكم » تماماً كما نعرف أيضاً نحن فى عصرنا عندما كان الزار والذكر منتشرين فينشد المنشدون والمنشدات نشيدهم على ايقاع الدفوف وفجأة تتقمص الجودية (شيخة الزار) روح الجن أو كما كانوا يسمونه أحد (الأسياد) وتهذى هذياناً مصطنعاً بكلام فيه وصفة شفاء للمريضة نفسياً وكذلك رجال الذكر كانوا يفعلون كما كان يفعل الميناد اليونانيات فى عيد ديونيسوس وهن (مجذوبات) يخرفن أثناء رقصهن حول المذبح المحمل بقنانى الخمر ويهذين بتنبؤات وهن سكارى (١٣١) .

أما الدور الهام الذى اشتهر به أيضاً أبيس وكما نعرفه عن غيره من الآلهة المصرية اليونانية الرومانية كما سنرى ذلك تفصيلاً فهو التنبؤات العلاجية الشفائية للمرضى والتى أكدتها تلك اللوحة التى كشفت عنها الحفريات الاثرية التى قام بها الأستاذ مريت فى صقارة أنها لوحة شفائية تدل على ما كان لأبيس من مكانة وقدرة على علاج وشفاء المرضى عن طريق التنويم والأحلام أى ما يسمى بالانكوباتيو Incubatio باللاتينية أوكيمسيس koimesis باليونانية فى معبد أوزيريس بمنفيس .

أما كراماته فأنظر قول بلينى من أنه فى أثناء السبعة أيام التى يحتفل فيها بعيد ميلاد أبيس بمنفيس فان « أحداً من التماسيح لا يهاجم أى فرد من المصريين » (١٣٢) . إلا أنه « فى اليوم الثامن بعد أيام الاحتفال السبعة وبالتحديد بعد ظهر هذا اليوم ــ تعود الوحشية إلى هذا الحيوان ــ التمساح ــ » (١٣٣) .

هـذا هـو أبـيـس بـلـسـان كـهـنـة مصر للمؤرخين الذين أتوا مصر لتسجيل التار يخ ولدراسة فلسفتهم ولكن المصر يين لم يكونوا يمجدونه إلا كرمز للقوة والخصو بة الأرض فجعلوا منه كفلاحين شـعـارا لـلالـوهـيـة يحيى الأرض بنشاطه وعمله الدؤوب تماما كما النيل أوز ير يس ثم هو شعار الملكية عند هؤلاء الفلاحين من ملوك المصر يين .

هـذا هـو أبـيـس أعرق وأشهر الحيوانات المصر ية المقدسة وسيدها فى العالم كله ثم هو يمتد فى تـقـديـسـه وعـبـادتـه إلى عصر ما قبل التار يخ إذ صورعلى الباليتات أى لوحات تستعمل لز ينة الـنـيـدات من الشيست قبل الأسرات مقدساً بل نجماً فى السماء فقد صورت فوقه أيضاً خمسة نجوم ثم يسجل التار يخ ابتداء من الأسرة الأولى الشواهد التاريخية وأولها لوحة نارمر ثم بعد ذلك حجر باليرمو من الأسرة الأولى فيذكر ايليانوس أصل عبادة أبيس من عهد مينا أول ملوكها (ملاحظة ٩٥) ولوحته تمثل مينا نفسه مندمجاً فى الثور وقد ذكرت أولى الاحتفالات بعيد أبيس على حجر Palermo بـاليرمو وقد ذاع صيته وانتشرت عبادته فى كل العالم القديم شرقا وغر باً وأقيمت له الـمـقـصـورات مـلـحـقـة بالمعابد الهامة فى مصر القديمة كلها واتخذه الأباطرة الطموحون وسيلة لنشر نـظـر يـة الحـق الإلـٰهى فى عالمهم الامبراطورى الرومانى كما اتخذ أيضاً هؤلاء الرومان أبو الهول الإلـٰـه Hor-em-akket هـور إم آخـت وأبـو الهـول يـعنى باليونانية الأندروسفنكس أى الأسـد ذى الـرأس الآدمـيـة وسيلة أخرى لهذا الحق فاندماج آمون فى الامبراطور كان اعلانا لهذا الحق فاندماج آمون فى الامبراطور كان اعلانا لهذا الحق الإلـٰهى أمام شعوبهم فى بلادهم وكذلك فـعـل الهكسوس الأجانب فى مصر عندما مثلوا بجسم الأسد رمز الشمس (آمون) أما شهرة أبيس كـرمـز لـلـقـوة الخـارقـة فـقد أطالت فترة وجوده بيننا حتى الآن فى عالمنا الحديث فى أسبانيا فقوة أبـيـس الجـسـديـة وفـحـولـتـه الجـنـسية واعجاب الناس وتقديسهم له وعراقة وجوده جعل الناس يـعـجـبـون بـالـثـور أيـاً كـان عندهم أو عند غيرهم ولا يفرقون بينها و بين أبيس المصرى فأكرموا الـشـيـران عندهم وأحاطوها برعايتهم كما فعلوا بعجل مثرا واتخذوا من أسلوب مثرا فى ذبح الثور فى عبادات الفرس مدخلاً لهم إلى مصارعة الثيران حتى الآن وكذلك كان الأمر فى جز يرة كر يت وقـد انـتـشـرت عـبـادة مثرا الفارسية وعرفها الناس من احتكاك الجيوش الرومانية مع الفرس فى حـروبـهـم مـعـهـم ومن هـنـا اخـتـلطت عبادة أبيس المصر ية المعروفة لديهم بعبادة مثرا الفارسية وتـقـالـيـدها هذه العبادة التى يخطف أو يسرق مثرا الثور من حظيرته و يركبه إلى كهفه (١٣٥) Bouklopos كما يـفـعـل الرعاة و يذبحه بأمر الإلـٰه أى الشمس فتونع الدنيا بهذه الضحية كما الـر بيع وتخضر الأرض و يسبب تناسخ الأرواح (النحل) (ملاحظة ١٣٠ / ٨٦) فيطلقها من أماكنها لتدخل دائرة مجال الحياة منذ وجود العالم ولكننا لا نرى نحلاً تخرج من العجل بل هو دمه وسـنـابـل القمح المغذية فى طرف ديله هى كل ما نرى (١٣٠ ص ٨٦) دليل على انبعاث الحياة فى الكون و يز يد الانتاج الزراعى و يكون لحم الثور شفاء للعابدين ودمه حياة لهم وتطهيراً و بعثاً

روحياً جديداً فهو إذا ما أكل كان قوة أنه رمز البركة وسبب الرخاء والوفرة ودمه شفاء وحياة تماماً كما يفعل المصريون بعجل أبيس ضحيتهم الكبرى تمثيلاً بأوزيريس المخصب أو الشمس رمز الماء والخصوبة والنماء يخصب الأرض بمائة فيكون زواجه بازيس الأرض فينتج القمح والثمار المختلف فأنظر قول ايليانوس (١٣٥) . فى اختلاف ألوان أبيس وتفسير المصريين لهذه الألوان المختلفة أن « هذا الاختلاف اشارة خفية ترمز الى اختلاف المحاصيل » وهذا وفاقاً تماماً لما يظنه الفلاسفة الفلكيون من أن مثرا ذابح الثور يقف وظهره إلى برج الكبش عندما تدخل الشمس نصف الكرة الشمالى فى السماء فيكون الاعتدال الربيعى فلما إن تدخل الشمس فى برج الكبش (ملاحظة ١٣٠ ص ٨٥) تزدهر الدنيا فى الربيع وتتعدد ألوان الثمار وتغطى النضرة الدنيا وتونع الزهور وتتفتح فتبدو يانعة فى الربيع كما سنذكر ثم كما يحدث فى وادى النيل من ازدهار الأرض المنبسطة بألوان ثمارها ففى مصر هذا هو اكتمال الثالوث الأزلى الماء والأرض والانتاج أو الخلق كما سنرى أما إذا مثل أوزيريس بالحبوب فيعتبر دفنه فى الأرض ضحية كبرى فزواجه على هذا الوضع من الأرض فناء وتحلل له و يعد ذلك بعثاً للحياة له جديد فى القمح الجديد فى سنابله واعادة خلق للكون فيما يسمى بحورس أى الحياة المتجددة فى صورة نباتية رمزاً للبعث البشرى .

وهكذا يظهر تأثير العجل المصرى أبيس فى روما واختلاطه بمراسم عجل مثرا (ذابح الثور) (١٢٦) ، فمثرا كما يقول كونراد إلـه رعوى خصب وفى التقاليد المزدوية يظهر جليا انتماء الثور إلى إلـه الشمس فلكياً ودينياً وهو الإلـه المخصب وتلك عقيدة كانت عامة فى الدنيا القديمة فكان مثرا الفارس ديميورجاً باعثاً للحياة والوفرة والبركة والثمار للأرض وللحيوان وللنساء فذبحه الثور له صلة بالبعث الربيعى للدنيا وتجدد العالم فى آخر الأيام (ملاحظة ١٣٠ ص ٨٥) وواهب الصحة ومساعد على تناسخ الأرواح والحياة المباركة والثروة والنور والحقيقة والحكمة و بصفاته هذه فمثرا دائماً فى نزاع من إلـه الشر وهكذا استمد الأولون البدائيون زراعاً وراعاة من الثور الإلـه كل القيم التى هى سعادة البشر وهذه هى خلفية عقائد الرعاة فى رعيهم وتقديسهم للعجل أياً كان يرون فيه الخير .

وعلى لوحات مثرا أى ما يسمى بالمثرايا Mithraea ذات الحفر البارز ترى مثرا بعد صراع ومخاطرات مع عجل متوحش ينزل عليه الأمر من إلـه أصله وليد الخير أنه رمز إلـه النور الذى يعبر عنه بلوتارخوس الإلـه الخفى الذى لا يسمع ولا يرى ولكنه ملىء السماوات والأرض ، ينزل على مثرا أمراً من إلـه الخير يذبح الثور و بعد تردد (ملاحظة ١٣٢ ص ١٤٥) وهذا التردد كما سنرى عند اليونان أمر شائع أيضاً يتنصلون من جريرة التضحية بهذا الثور النافع لهم جميعاً كما كان عند المصريين القدامى فيما كانوا يسمونه بالضحية الكبرى كما سنرى بعد

قليل فليس من السهل الاقدام على القضاء على حيوان نافع هو سيد الحيوانات المقدسة وأنفعها وأجملها وأقواها .

ثم يوقن مثرا كما يقول الأستاذ Conrad بضرورة تنفيذ أمر السماء فحكمة ذلك الأمر أن الثور فدو عظيم لصالح الحياة البشرية والكون جميعاً وأخيراً يصرع مثرا العجل أرضاً و يضع ساقه على صدره و يضغط بركبته عليه وقد أمسك بخشمه وذبحه بسكين متجهاً إلى السماء ببصره يشهدها على الخضوع لأمرها وتنفيذ وصيتها إليه فيصبح هو الشمس المنتصرة أى Aniketas.، ذابح العجل بتضحيته لأبيه و يكون خالقاً باعثاً للحياة من جديد أى ديميورج يجدد نبض العالم فى حياته فى آخر الأيام بعد شتاء يابس وأما الثور فتصعد روحه إلى السماء فى حمى كلب مثرا و يصبح بذلك الإله Silvanus حامى القطعان (ملاحظة ١٣٢ ص ٨٥) .

تلك كانت نظرة البدائيين من وراء ذبح الثور والتضحية به فى سبيل سعادة وجودهم ولكن علاقة الثور واتصاله بعبادة كل الآلهة المخصبة فى العالم ، فى مصر كروح أوزيريس و بتاح وجميع آلهة الانتاج والخصوبة فى العالم جعلت ذبحه تضحية كبرى لها رهبة تهز قلوب الناس ومشاعرهم فهو عندهم رمز الحياة حتى أننا نجدهم فى اليونان يخترعون المواقف الدرامية يتنصلون بها ارضاء لشعورهم الوهمى من جريرة ذبحه فكما يظن و يتخيل الأستاذ كونراد فيما ذكرنا أن مثرا وهو الإله الباعث يبدو مترددا فى ذبح الثور ثم يذعن لأمر إله النور العلى فيذبحه وهو ناظر إلى السماء يشهده على تنفيذ ما أوصى به إليه ثم نجدهم فى اليونان والثور عندهم روح وتجسيد ديونيسوس الإله الأكبر إله الخصوبة وهو فى مصر أوزيريس الإله النيل المخصب .

والثور عند اليونان أيضاً يمثل الماء والأنهار الجارية فى قوة اندفاعها وصوت الماء ذى التيار الجارف فيها فالثور عند القدماء ذو قوة خارقة سحرية وخصوبة جنسية وفحولة عارمة غير عادية ففى أعياد اليونان الدينية للتضحية بالثور تجرى مراسم تشبه إلى حد ما مراسم ثور مثرا الطقسية وأول ما نلاحظه فى ذلك محاولة التنصل من جريرة قتل الثور فتقوم بعد التضحية محاكم صورية لتحديد على من تقع مسئولية ذبح هذا الحيوان المقدس فى احتفال ديوبوليا فيبرأ كل شخص من العابدين فى هذا الجمع الدينى و يقع عقاب هذا الذنب على السكين التى قطعت حنجرة العجل وهكذا كما ترى فى أسلوب مثرا فى هذه التضحية أنه يشهد السماء على أنه ينفذ وحى الإله الأكبر. ففى الحالتين لا يريد أحد ما أن يقع عليه وزر قتل الثور المقدس ومن ضمن الاحتفالات الدينية فى عبادة زيوس فى أثينا يقام احتفال ديوبوليا ، Deopoleia وأهم مراسم هذا الاحتفال أن يذبحوا ثوراً كما فى مثرا و يسمون ذلك Bauphania أى ذبح الثور فيقيم العابدون فى ساحة الاحتفال مذبحاً من النحاس و يضعون عليه فطائراً وفولاً وقمحاً ثم يأتون بعدد من العجول المنتقاة يطلقونها فى ساحة الاحتفال والثور الذى يقترب من المذبح و يبدأ فى أكل ما عليه يكون قد اختار لنفسه أن يكون الضحية فيفصلونه عن بقية الثيران ويحيط به جماعة

العابدين لتكريم الإله الأكبر الثور (ز يوس أب ديونيسوس) ومن بين هذه الجماعة فتيات جميلات يدعون (حاملات المياه) فهن اللاتى يحضرن الماء ثم يوجد فى تلك الجماعة أيضاً رجال يكلفون بشحذ البلطة والسكين ثم يقوم أحدهم بتقديم البلطة إلى رجل يسمونه (ذابح الثور) فيضرب بها الثور ضربة مميتة ثم يترك البلطة بجوار المذبح ويهرب إلى خارج ساحة الاحتفال فيأخذ رجل آخر سكيناً يقطع بها رقبة الثور ثم يقومون بسلخ الثور و يفرق لحمه على العابدين كلهم . يأكلونه نيئاً ثم يحشون جلد الثور بالقش و يوقفونه على أرجله و يضعون على رقبته ناف المحراث كمهمته فى خدمة الأرض فى حياته وقد يشبه هذا تماماً فى مغزاه تحنيط العجل بعد موته بمصر واستمرار دوره فى احياء الأرض وانباتها كما كان يحدث لأوز ير يس بعد أن تمتصه الأرض ماء أو حباً فينبعث منها نباتاً جديداً كحورس رمز الحياة المتجددة كما يذكر بلوتارخوس فكرة رمز ية للبعث البشرى .

وفى فارس تجد نفس الفكرة من ذبح ثورا مثرا هى الخصوبة وانتشار الرخاء واحياء الدنيا وهذا الخير وتلك النتيجة تجعل منه أى مثرا وثوره رمز خير و بركة ومقاومة الشر مما يثير الإله عدو الخير فيرسل بحيواناته المؤذية للقضاء على مكامن الحياة فى العجل ولكن ذلك لا يؤثر فى العجل أو من استمراره فى دوره بعد الحياة كما يتصورها المصر يون كأوز ير يس أبيس Osirapis فى عالم ما بعد الحياة وصوروه على أحد التوابيت عجلاً يحمل جثة إلى العالم السفلى حيث تتجدد الحياة (ملاحظة ١٣٦ ص ٨١) يبدو هذا أنه نفس دور ثور مثرا الذى يسبب تناسخ الأرواح و يدفعها الى دائرة الكون الحيو ية أى الميتانسوماتوز Metensomatose فيحنطون العجل فى مصر بعد ذبحه و بعد أن يأخذوا جانباً من لحمه يأكله الملك فيشتد و يتجدد نشاطه و يشرب من دمه فيرتد إليه شبابه و باقى هذه الأضحية الكبرى يدفن فى قدسية وهكذا كان ثور مثرا عظيماً مقدساً أيضاً فبعد ذبحه تصعد روحه إلى السماء فى حمى كلب مثرا و يقدس فيها فيصبح نجم راعى المواشى وحاميها (١٣٦ ص ١٤٩) . Silvanus

وكما رأينا وجهة النظر اليونانية بأن يحشو جلد العجل بالقش بعد سلخه وأكل لحمه نيئاً ففيه قوة سحر ية خارقة خلاقة تبعث فيهم من قوته وحيو يته التى لا حد لها قوة ونشاطاً وشباباً فيهم ثم يحشون جلده وكأنه حيا لم يمت و يعلقون المحراث فى رقبته فعمل الثور عندهم مصدرا للحياة والرزق الزراعى ودوره فى ذلك خالد ما وجد العجل فى الدنيا كما كان عند المصر يين والآر يين الرعاة وهذا دور العجل الأزلى فى الشرق الأوسط وحوض البحر الأبيض .

و بعد الانتهاء من عملية البوفونيا Bouphonia أى ذبح العجل أو ما يمكن أن نسميه باغتيال العجل والهرب من مكان ذبحه والتنصل من هذه الجر يرة تقوم محاكمة صور ية فأحد لم يتسبب فى أن يصل الثور إلى هذا المصير بل هو الذى اتجه بنفسه إلى قدره هذا باقترابه وأكله مما وجد على المذبح ثم إن الذى ضرب به بالبلطة غائب فقد هرب من الساحة واختفى من مكان

الاحتفال وتبرأ بذلك البلطة من هذا الجرم ثم توجه التهمة إلى حاملات المياه فتسرعن بدورهن بالقاء اللوم على من يشحذ السكين و يدفع هذه التهمة عن نفسه و يتهم من قدم السكين لذابح العجل وهذا بدلاً من أن يلقى الاتهام على من ضرب الثور بالبلطة يلوم الذى قطع حنجرة العجل وهذا بدوره يتهم السكين وهى التى لا تملك كلاماً تدفع به عن نفسها هذه التهمة فتدان و يقضى عليها أن تلقى فى البحر عقاباً لها على ذبح العجل المقدس (ملاحظة ١٣٦ / ١٣٨) .

إنهم ليسوا كمثرا الديميورج يذبح العجل بأمر إله النور ويهب هو الحياة مرة أخرى فهم فى اليونان يعدون ذلك جرماً فالعجل لم يذبح بل يبدو كما لو كان قد اغتيل فقدسيته توحى بالخوف من ذبحه والتضحية به ويحاول ذابحوه دفع تهمة ذبحه عن أنفسهم أنه ضحية كبرى يخافونها لحبهم له ولكن مثرا نفسه ديميورج يذبح الثور بأمر الإله الأول .

انه نفس دور ثور مثرا الذى يبعث الحياة فى الربيع فتخصب الأرض وتخضر بماء المطر وتنتعش وتزدهر فذبح الثور كما يفعل مثرا وكما يفعلون فى مصر من أيام ما قبل التاريخ وفى اليونان وأرض الجزيرة وعند الساميين وفى الشرق الأوسط ضحية كبرى والتضحية به تضحية بمصدر هام لحياة البشر ولكن ليس ذلك جرماً يطغى الشعور به على فاعلوه فقد ظلت أثينا كما يقول كونراد (١٣٦ ص ١٣٨) ظلت أثينا ألف سنة تحتفل بعيد Bouphonia فى وقت قمة الجفاف كل عام و يضحى الاثينيون بالعجل رمز الخصوبة الأزلى معتقدين أنه تجسيد زيوس الأب ملك السماء ومرسل المطر وهذا ما يفعله الساميون وفى كل مناخ يعتمد على المطر وانهم بذبحهم الثور فى هذا العيد يرجون زيوس و يتوسلون الله أن ينزل عليهم المطر فيخصب الأرض فى هذه الفترة القاسية من السنة فالرطوبة هى الحياة (١٣٦/١٣٨) عند المصريين واليونانيين كما عند الساميين والعالم أجمع قديمه وحديثه فللثور إذن مكانة خاصة وتقديساً عظيماً له حتى أن زيوس يمثل وعلى رأسه قرنان فهو عندهم ثور السماء كما كان رع ثور السماء فى مصر ومن أكل لحمه امتص جسمه قوة العجل وحيويته وفحولته الجنسية الخلاقة ولا سيما وأن الثور شىء هام جداً فهو بالنسبة للفقير كالعبد عند الغنى وسوء تربة اليونان وشح أرضها وقلة رزقها يجعل للثور عندهم نفعاً عظيماً فيخصلون بخدماته وقوة احتماله من الأرض على أكبر قدر وأوفر محصول يستعينون به على الحياة كما يفعلون بالنسبة للجدى المقدس عندهم و يستغلونه كما يفعلون بالبحر الذى يعيشون عليه و يقدسونه كمورد رزق بجزره المتعددة وجعلهم مواطنين عالميين فى العالم أجمع . وقرون الثور التى تتركز فيها قوته والتى تزين مع جبهة الثور كما فى أسبانيا واجهات المعابد ولها أيضاً قوة سحرية تدفع الشر وتبعده وتوحى بالقوة والشجاعة وارهاب الأعداء ولذا فقد تزينت بقرون الثور رؤوس الآلهة والأبطال والمحاربين كذلك فإن قرن الثور رمز للبركة والوفرة كخصوبة الثور ووفرة انتاجه الحيوانى والزراعى Cornucopiae وهى رمز للحياة كعلامة عنخ عبد المصريين القدماء وذلك لأن الثور (أبيس) يحمل علامة تدل على موعد

الفيضان الذى هو حياة المحاصيل والمصريين جميعاً ، بالاضافة إلى أن كونراد (٧٦) يعطينا تفسيراً لعلامة عنخ هذه إذ يرى أن هذه العلامة مكونة من عضو تذكير الرجل المسمى بالهندية Linga . والرحم أى بالهندية Yoni ، تماما كالحربة ذات التلا شعب بشكل . عضو تذكير الرجل عندهم علامة الانتاج الجنسى الهائل للإله Shiva أى الإله الثور الكامنة فى الثور نفسه (٧٦) وهذا الإله الثور الهندى كما تقول الخرافة ينبع من رأسه نهر الجانج Gange ، وهذا تماماً كما فى تقليد مصر واندماج أوزيريس النيل بأبيس وهذا القرن الذى يرمز الى البركة والرخاء والوفرة كثيراً ما نجده على الأنواط الذهبية والفضية التى تضرب لمناسبة تألية الحكام مثل عملة ارسنوى فلادلفوس الذهبية والفضية التى أخرجت لمناسبة تأليهها بعد موتها ثم نجد على النقود أيضاً فى يد الآلهة والآلهات وخصوصاً مع إله النيل الممثل على عملة الاسكندرية الامبراطورية فى الثلاث قرون الأولى الميلادية أما عند اليونان فقرن الوفرة كان قرنا للعنز أمالثيا Amalthia التى كانت ترضع الإله زيوس ثور السماء ومرسل المطر أيضاً ثم أصبح القرن ينطبق على كل ما يشبهه حتى قرنى هلال القمر الذى هو أيضاً ثور السماء ذو الاخصاب المهيمن على كل انتاج وكذلك مثل حورس حاملاً قرن البركة أيضاً .

وهكذا فقد تجمعت فى الثور كل مراسم احتفالات الاخصاب فى العبادات المختلفة فقامت الصلة بين الثور والإله مين Min (الإله الثور مين) ، ففحولة الثور وقدرته على النسل نشهد بها فى مصر آثار كثيرة ففى طيبة اكتشفت فى مقبرة جثة سيدة محنط معها عضو تذكير الثور وقد كان ذلك أيضاً دور زهرة اللوتس السحرى لشفاء العقم باستحمام النساء فى بحيرات ينمو فيها اللوتس فقد وجدت جثة سيدة فى مقبرة بين فخذيها زهرة اللوتس (ملاحظة ٥٤ / ١٩٧٣) .

وقد شهد وأيد دور الثور فى الشفاء من العقم ووفرة النسل عند النساء المؤرخون القدامى ايليانوس وغيره فيما ذكرنا إذ رووا أن الكهنة كانوا يسمحون بمثول النساء عاريات أمام عجيل أبيس مدة وجوده لأربعين يوماً فى معبد النيل قبل وصوله إلى منفيس كما ذكرنا فرمزية القوة الخلاقة الخارقة للثور الإله وقدرته الجنسية الهائلة كانت مع صفة الالوهية أى التعبد أو العبادة رابطتان تجمع الملك بالثور فى ثالوث الحق الإلهى الذى يتمثل فى الملك الفلاح ملك الرعويين فى مصر القديمة منذ فجر التاريخ أى الملك والثور والإله فيما أن الملك هو الثور فهو أيضاً إله وهذا هو الحق الإلهى الذى استمد منه الاسكندر الأكبر حكمه الإلهى من مصر بتقديمه الأضاحى لعجل أبيس ارضاء للمصريين وارضاء لطموحه أن يكون كوزموقراطى أى حاكماً عالمياً مهيمناً على هذا العالم القديم .

فمصر منذ آلاف السنين كان للملوك فيها وضع الآلهة بين المصريين وكانوا أى الملوك يوصفون و يتمثلون بالثيران فالملك الثور كان رمزا للقوة والحيوية الخلاقة والاخصاب والخير تماماً كالثور روح أوزيريس الحية (النيل) وهذا الجبروت إذا وجد وجدت معه الآلوهية والملكية مما

أدى إلى التكوين الثلاثى الثور الإلٰه الملك وفى ذلك يرى كونراد (١٣٦ / ٧٢) أساس الحضارة المصرية منذ الدولة الأولى وتلك نظرية صائبة تماماً .

وذلك أيضاً أساس تمثيل أبو الهول أى الأندروسفنكس Androsphinx أى الأسد برأس انسان فالأسد رمز للشمس والقوة الخلاقة ففى مصر كما يخبرنا بلوتارخوس أن الشمس عند أول اتصالها ببرج الأسد Leo ليوتظهر نجمة ازيس صوثيس أى نجمة الكلب سيريوس اليونانية باعثة الفيضان بعطره (بلوتارخوس) (فقرة ٣٨ = ٣٦٦أ) و يرى فى ذلك Loeb سبباً لتزيين أبواب المعابد برأس الأسد رمز الفيضان لنبل الخلاق ولذا فان اندماج الأسد رمز آمون بالملك يعادل التكوين الثلاثى الثور الإلٰه الملك أو ثالوث الحق الإلٰهى لفرعون مصر وحاكمها الذى اتخذه الاسكندر وغيره من الأباطرة الأجانب الذين وصفوا أنفسهم بالثيران متخذين الآلهة المصرية الحجة لاقناع شعوبهم بقبول نظرية الحق الإلٰهى أو الحكم الثيوقراطى وكان ذلك أيضاً سبباً فى عملهم على انتشار الديانة المصرية فى امبراطورياتهم .

وكان من اندماج الثور وتمثيله لكل آلهة الخصوبة أن تجمعت وقامت به الاحتفالات التى تقام للإلٰه مين كما ذكرنا ممثلا للإلٰه المخصب الأكبر وهو ثور هو الآخر فكان يتحرك موكب كبير فى عيد الحقول على رأسه العجل الأبيض والملكة والملك وتتبعهم أعلام وتماثيل الآلهة ثم تمثال للإلٰه العجل يحمله الكهنة على أكتافهم فاذا وصل الموكب إلى نهايته يقدم الملك بعض النباتات للعجل وربما كان ذلك اعترافا للعجل بفضله لموسم وافر النتاج ثم يجتمع الملك بالملكة اجتماع تزاوج رمزاً للانتاج فالملك هو ثور الملكة المخصب الأكبر وهو أب الحياة و واهبها (١٣٦ / ٨٥) كالنيل الثور أيضاً ، فالحياة فى الحقل وعند البشر ثم البعث تتمثل فى النيل الذى يتضاءل إلى أقل مستوى ثم ترد اليه ماؤه بانتظام مرة كل عام فيفيض على الدنيا بالحياة والرزق وكذلك رع الشمس ثور السماء التى تغرب وتعود يومياً من المشرق جديدة المولد صباحاً فيدب نورها وتنبعث الحياة حرارة وقوة و يصحو الناس فى القرى والحقول ببعث آخر يوحى عملاً وفكراً وانتاجاً أى حورس ثور السماء الذى هو « زوج لأمه التى تلده مرة أخرى » ولذا سمى « عجل أمه التى تحمل منه وفيه أمه » و يعلق كونراد على ذلك (ملاحظة ١٣٦ / ٨٦) بأن هذا الشذوذ بمضاجعة الأمهات والاخوات والبنات إنما هوغير شرعية دنيوية سياسية كان انعكاسا واضحاً فى التقاليد الملكية ولكن ذلك كان على خلاف مبدأ كمبدأ الوحدانية التى لا تنقصم عراها والتى هى أساس ثالوث السماء ــ غير الزواج الدنيوى تماماً من أول العصور إلى آخر عصر البطالمة فى مصر وكان أيضاً سارياً بين حكام الأقاليم المصرية فكان زواج الأخ من أخته « حفظ لدم أولاد الشمس » الملكى الإلٰهى .

وهكذا كان عجل أبيس من وجهة النظر الدينية يؤكد البعث والحياة الجديدة مصحوباً بعبادة وتقديس الخضرة واخضرار الأرض الدورى أى الزراعة التى يحييها أوزيريس الذى

نشأت عنه عبادة سرامبيس فى العصر المتأخر فكان ذلك فى نظر المصرى القديم ولادة وحياة للزرع والحيوان والنيل والشمس وللملك جديدة و بعثا وكل ذلك من الأسرار التى يمكن تفسيرها من ناحية قوة الثور الخلاقة الهائلة ثم يقول كونراد أن هناك وحدة أساسية تجمع الحياة والموت ثم الحياة مرة أخرى أى البعث هى دوائر قوة كبرى فى مصر الشمس والملك والنيل والزرع والماشية فكل واحدة فيها قوة قابلة للموت ولكن قوة الثور الجنسية تديم دائماً حياة الماشية وتز يد فى تنمية القطعان رغم تعرضها للذبح والهلاك فالمخصب الأكبر وأهم نموذج للاخصاب هو الثور فكان أبيس هو الذى يمثل هذا العجل المخصب كالـله النيل مخصب الأرض وواهب الحياة بمائه الذى يولد نفسه كالشمس والليل فى دوران الشمس اللا نهائى يومياً وعلى مدار السنة الزراعية. و يقول كونراد أنه فى كل صباح عند الفجر أى اللحظة التى يسميها المصر يون « ساعة العمل » فى هذه الساعة عند الفلاح المصرى كان الاعتقاد السائد أن بعثاً جديداً يكاد يظهر بشكل ما من انتاج فحولة العجل ومن قوته الخلاقة فى العمل وتلك عقيدة باقية إلى الآن من عبادة الشمس واستقبال الشروق بالأمل والنشاط الجاد فى العمل والاستبشار بدورة حياة يومية بانجاز أعمال الحقل وكان ذلك بطبيعة الحال مرتبطاً بعبادة العجل الذى يمثل القوة الخارقة الفذة والذى ارتبط كما عرفه الناس بعبادة أوز ير يس النيل الخلاق إلـه المواسم الزراعية الدور ية التى أوجدت عبادة سرابيس فى العصر البطلمى فكان المصر يون يتمثلون فى العجل القوة الهائلة فى الانتاج الزراعى واخصاب الأرض بالجهد الشاق وكان القاسم المشترك الذى يرون فيه دورة الشمس والنيل و بعث الملك والنبات والحيوان فالكل ثور ومن أبنائه وهو ممثل لهم جميعاً و واهب الحياة لهم.

فـأنظر إلى مثرا إلـه الشمس الفارسى الذى يذبح الثور فدواً عظيماً يذهب به الجفاف وتخضر الأرض وتونع الأزهار وتثمر الزراعة وتلد القطعان و يذهب العقم عن الناس ويحل ر بيع مزدهر يحل فيه الرخاء كما عجل أبيس الذى يفتدىَ به فاذا هو الضحية الكبرى والذبح العظيم كأوز ير يس الذى تمتصه الأرض از يس ماء أو حبوباً فيفنى فيها فاذا به يبعث قمحاً جديداً ونباتاً أخضر فيه حياة للناس ورزق لهم. كما نجده ممثلاً فى آخر ذيل عجل مثرا وهذا شبه كبير بين الضحيتين فى مصر وفارس فما أشد أثر تلك التقاليد المصر ية على غيرها فى منطقة الشرق الأوسط وتلك معجزة عند المشتغلين بالأرض أساسها قوة الثور الذى يذبحه مثرا مستلهماً أمر السماء بذلك فإذا ما أرسل إلـه الشر رسله للقضاء على مكامن الحياة فى الثور لا يؤثر فيه ولا تنال منه انها معجزة البقاء الدائم فى عجل مثرا وأبيس بعد ذبحه كما كان يحاول المصر يون بتحنيطهم الثور الابقاء على أبيس بعد موته أى التضحية به ليصير فى الحياة الثانية أوز يرابيس وهكذا كانوا يتمنون له الدوام بحيو يته وبجبروته الذى لا يكل عند المصر يين وعند الرعاة من الفرس والذى تنبت من جسم الثور و بدمه كل النباتات التى يجد فيها الناس نفعاً كثيراً فمن عموده الفقرى عند طرف ذيله تنبت سنابل القمح أساس حياة الانسان.

أليست هذه صورة تامة لعبادة وعقيدة مصر فى العجل الذى هو قاسم مشترك أعظم فى عقيدة الرعاة والمشتغلين بالأرض فى العالم كله ثم ترتفع روح العجل الى السماء يحميها كلب مثرا Psychopompos ثم يكرم فى السماء كأبيس الأبدى عندما يصير أوز يرابيس فيصبح ثور مثرا سليلفانوس Silvanus .. حامى الماشية والغاب كما هو عند الأسبانيين خاصة .

فحب الناس للعجل وتدليلهم المستأنس منه كما يفعل هواة الخيل الذين يرون فى وجود الخيل فى بيوتهم عزا وعظمة أما الرعاة والمزارعون فالعز عندهم الثور يرون فيه الخير والبركة والرخاء ولقوته التى لا حد لها يعتبرون الانتصار عليه عظمة وشجاعة ما بعدها شجاعة وفى ذلك مجال يظهرون فيه بطولات مدو ية فى اصطياد المتوحش من الثيران واستئناسها وترو يضها بركوبها فى براريهم و يتفاخرون بشجاعتهم فى مصارعة الثور والانتصار عليه أنه عندهم رمز لكل ماهو حسن وجميل وشر أيضاً ثم يظهر أبيس فى العالم الغر بى بعراقته وما يتمثل فيه المصر يين من قداسة حتى لينتسبون اليه ابناء وذر ية ثم يدخل إلى هذا العالم عبادة أخرى للثور مشابهة لأبيس هى عبادة مثرا الفارسى بطقوسها ذبح الثور بعد اصطياده أو سرقته من حظيرته ثم مصارعته وذبحه بأمر إلـه الشمس فهذا الحيوان فى تلك الطقوس الفارسية رمز الخير والرخاء وذبحه هو انطلاق للخير وللرخاء فيأتى الر بيع و يعم الخير و يكثر الرزق بحلول هذا الربيع الأخضر اليانع .

فيتطور اعتزاز الرعاة للعجل وتتمشى تقاليدهم مع تقاليد دينية واردة من مصر وفارس فيكون اصطياد العجل ومصارعته فى المدرجات ثم يخذون من ذلك ملهاة يتسلون بها كما كان قديماً و يتفاخرون بالانتصار عليه أسوة بمثرا « مصارع الثور الإلـهى » الذى يقدم « الفدو الكبير » وهكذا يرى هيرمان استمرار عجل أبيس فى أسبانيا فى مصارعة الثور Toro كما قدمنا فتنتشر مصارعة الثيران وإذا بهم فى الحروب يطلقون الثيران المتوحشة كالفيلة فى الهند فى هجومهم قوة لا قبل لاعدائهم بها .

كانت غر يزة قوة العجل الانتاجية نسلاً وعملاً فى الأرض ونفعه للناس هى الرؤ ية الصحيحة للواقع الملموس كما نراه نحن الآن وخاصة فى الأوساط الزراعية وانتاج اللحوم خاصة عندنا رغم ميكنة وسائل الزراعة الحديثة كانت كل هذه الصفات عند الأسبان فى مراعيهم التى يرتبع فيها الأبقار قديماً كما كانت أيضاً عند المصر يين فى مراعيهم خاصة فى سخا بكفر الشيخ وهى عاصمة الاقليم السادس فى الوجه البحرى قديماً فى العصر اليونانى الرومانى ، هذه الغرائز كانت معروفة وكانت سبباً فى تقدير العجل والاعجاب به والاهتمام العظيم الذى يولينه العجل والأبقار عامة مما أدخله فى عقائدهم وذهب بين الناس جميعاً فى الغرب واعجبوا به وتهافتوا على مجالات عرضه فى الألعاب والمصارعة حتى أنه دخل عنصراً مميزاً له مكانة خاصة فى فنونهم الرفيعة كالباروك فتمثلت مقصورة أبيس فى هذا الفن الرائع بشكل مذبح دلالة مصر ية أصل

أبيس العجل المقدس الديني وقد اعترض الأستاذ هيرمان في هذه العصور المسيحية على ذلك بقوله أن هذا التشكيل لمقصورة أبيس لا معنى له وذلك صحيح بالنسبة لوجهة النظر المسيحية ولكننا لا نجد في هذا التكوين لمقصورة أبيس مساساً بالمسيحية إذ أنها قد شكلت على غرار تمثيل أبيس المقدس وأمامه المذبح الذى نجده ونراه بكثرة ممثلاً على النقود اليونانية الرومانية أى نقود الاسكندرية المضروبة خاصة بمصر فى الاسكندرية على مدى الثلاثة قرون الأولى الميلادية وهى نقود وثنية ثم أيضاً نرى مثل هذا المذبح أمام أبيس على النقود الرومانية التى ضربت خارج مصر فى روما وغيرها من المدن التى بها مضارب للعملة الامبراطورية فى عصور الردة عن المسيحية بعد انتشارها وهذا من الوجهة التاريخية دليل على مصرية الثور وأصله الدينى وصدق تصور ذلك فى فن الباروك .

أما أن هيرمان يعيب على عائلة يورجيا الأسبانية تقديسها للعجل Hoch-schatiyung بالنسبة لأنها عائلة دينية بابوية فيها البابا الاسكندر الرابع بالذات كما سنفصل ذلك فما وصفه هيرمان بأنه تقديس . Höch- schaetzung أو تقدير ليس إلا اعجاباً واعزازاً وشغفاً عظيماً بالعجل كاهتمام الهواة بما يهوون كرمز للقوة التى تفوق شجاعة الآلهة قديماً ، والبشر الذين يقاومونه بعد أنْ دخلت التقاليد فى اللعبة الشعبية بعيدة كل البعد عن أصولها الدينية القديمة . تماماً كما نرى الآن بين الناس وقديماً جداً فى اليونان من مصارعة الديكة وشغف الناس بهذه المصارعة حتى لقد استغل ثميستوكليس Themistacles هذا العراك بين الديكة فى استثارة حماس وشجاعة مواطنيه ضد الفرس قبل معركة سلامين محرضاً اياهم أن يقلدوا هذه الديكة للدفاع عن حريتهم فى اصرارها على الاقتتال لمجرد لذة الانتصار وكانت أقوال تميستوكليس هذه سبباً فى اقامة حلبات مصارعة الديكة كل عام فى ساحة ثياترون (مسرح) أثينا على حساب الدولة فيتعلم منها الشباب كيف يكافحون حتى النهاية (١٣٧) كما يقولون فلم يكن فى ذلك الشغف والهواية التى سجلتها اليونان على نقودها بهذا النوع من المصارعة أى مغزى أو دافع دينى .

لم يكن الثور فى مصر فقط ذا معنى عظيم ورمزاً سامياً بل كذلك كان خارج مصر معبوداً مشتركاً أعظم فى دنيا الزراعة والرعى بين البدائيين فإليك ثورمينوس ملك جزيرة كريت المسمى مينوتور Minotaurós وكيف كانت عبادته هامة جداً شهدت بها كثرة صور صراعه ومكان اقامته الذى يقيم فيه اللابيرنثوس Laliyrinthos وقد فاضت بكل هذا النصوص الأدبية والأشعار الدينية وكانت الأضاحى التى تقدم لهذا العجل الخرافى كلها من البشر ثم أن الثور رغم مكانته الجليلة بين الناس فى كل مكان كان يقدم ضحية وكانت طبيعته عند اليونانيين تشبه تماماً طبيعة أتيس Attis وأدونيس Adonis أى طبيعة الآلهة التى تنطلق بالموت قواها لنفع البشر فطبيعة الثور الخرافية ذات فوائد جمة للبشر يهبها الثور أيضاً بموته

للناس فأصبحت بذلك البلطة ذات الحدين مع رأس العجل عند البدائيين رمزاً دينياً (كوك الثاني ملاحظة ١٣٦ ص ٥٢٨) فالإله الذى يقدم الناس من أجله الأضاحى يقدم نفسه للبشر ضحية . فالثور يحتوى على قوة كامنة إذا أطلقها بعد ذبحه اعتبرت إبناً له و يتصور البدائيون جميعاً أو كثرة منهم أن هذا الإبن الذى نتج عن ذبح الثور كان بهيئة البشر (جود إنف ٧/ ٧٩) .

وقد تنطبق هذه الفكرة أيضاً على التصور المصرى فاعتبار الثور تجسيداً حياً لروح أوز ير يس (النيل) المخصبة كما ورد فى بلوتارخوس ثم حورس بن أوز ير يس وتكون هذه الفكرة قد سبقت هذا التصور المتأخر فى عقيدة الشعوب الأخرى وهكذا نجد العجل منذ أول التار يخ عند القدماء حتى عصر الامبراطور ية الرومانية مصدراً أصيلاً للحياة الأولى والعالم القديم أى من بعد مصر عند الفرس وعند اليونان فالإله ز يوس اليونانى ثور وديونيسوس إله الطبيعة المنطلقة ثور و بوسايدون إله البحر ثور كما أن كل إله عند القدماء كان ثوراً فى قوته الخارقة فعند موت العجل كما قدمنا تنطلق حياته لخلاص البشر فأنظر كيف يسمى سو يداس المؤرخ الفقيه اللغوى عضو التذكير والتأنيث فى البشر بالثور المخصب المنتج بدون توقف أنه رمز للحياة ثم أن دمه ولحمه عند المصر يين والفرس عطاء للحياة وللقوة والعافية للأبطال فمثل ذلك فى مصر مجسماً فى أوز ير يس وفى اليونان فى ديونيسوس يفنيان فى الأرض بذراً وماء وهذا يرمز لرجوع الإلهين و بعثهما ثانية فى شكل نبات أخضر جديد فيه الحياة للناس وقد شبهت أمواج البحر أيضاً بالثور فى قوته وصوته وفى اليونان وايطاليا يشبهون الانهار باندفاعها وصوت مياهها بالثور وكذلك الأمطار فكانت الأضاحى للماء ثيراناً وفى مدينة أفسوس بآسيا الصغرى كانت تقام سنو ياً احتفالات مصارعة الثيران مع بعضها تناطحاً ثم مع الرجال ركوباً وألعاباً بهلوانية وذبحاً و يقدم للناس الخمور فى هذه الحفلات شبان يسمون الثيران (جود إنف ٧/ ١٦ Goodenough) وقد ورد ذكر لمناطحة الثيران المقدسة بمنفيس مثلاً فى المعابد المصر ية وهذا أمر طبيعى فحيثما توجد الأنعام تفرض طبيعتها هذا العنف بينها كما يحدث ذلك مع الخراف والماعز أيضاً وفى الطيور الديكة وغيرها .

وفى مدينة اليس Elis باليونان كان النساء فى المعبد يتوسلن إلى ديونيسوس أن يحضر اليهن بأرجل الثور رمز القوة الجنسية الخصبة وكانوا فى اليونان — كما ورد فى بلوتارخوس — يصنعون تماثيل الإله ديونيسوس بشكل ثور ثم إن البلطة ذات الحدين كسكين مثرا التى يذبح بها الثور شعارات مقدسة فلكية وهى أيضاً أى سكين مثرا كانت تشبه سيف آرس أو مارس إله الحرب وقد استمر مثرا يذبح الثور فى طقوس عبادته حتى القرون الأولى الميلادية فيحيى بذبحه الدنيا من بشر وجماد وهذا هو المعنى البدائى والمغزى من هذه العملية أى Tauroctonic فالإله يهب نفسه من أجل احياء المخلوقات والطبيعة وهكذا كان

أوز يريس يتحلل و يفنى فى الأرض وقد تجسدت روحه الحية بشكل الثور الإلٰه الكبير فقد خصص لمثرا منزل الاعتدال مستقراً له فى الفلك خاصاً به ثم هو يمسك سكيناً وهى علامة البرج المفضل آرس (ملاحظة ٤٧) إلٰه الحرب أى برج الكيش ثم يمتطى مثرا ثور أفروديت لأنه هو مثرا كثور حقيقى يكون ديميورج وسيدا للخلق (١٣٤ / ٥٥ ملحوظة ٤٧) فالثور عند مثرا هو نفس الضحية الكبرى أو الفدو العظيم أى أبيس ملك الحيوانات المقدسة ومثرا بذلك يكون هو الشمس عندهم أى الديميورج عقل الكون المدبر وهو المشرع Nomothetes نوموثيتيس وعند الفلاسفة البيتاجوريين هو الذى يعيد زرع و يبعث كل ما غرسه الإلٰه الأول الأب الخفى فهو الروح الحية للإلٰه الأب الكبير.

وفى التقاليد المثرو ية كما فى مصر نجد أن دم الثور غذاء الحياة والخلود Natus Aeternus (البعث الخالد) ففى هذه التقاليد المثرو ية يموت الرجل عندما يدفن فاذا أريق عليه دم العجل ولد إلٰهاً جديداً فمثرا عند ليكورج وكيكرو Cicero الخطيب الرومانى متبعاً فى ذلك أفلاطون يكون ديميورج Demiourgos إذ يقول عنه هذا الخالق الثانى المنوط به تناسخ الأرواح واعادة تجسيدها كالثور خالق (ديميورج) وسيد الازدهار والنماء والخلق (١٣٤ / ٧٧ ملاحظة ١١٨).

أما الديميورج أى الخالق الثانى أو الباعث عند نومينيوس الأفلاطونى الحديث فهو الذى يكمل المسيرة لنا عندما تنحط المدارك إلى الحضيض فهو كوسيط يقوم بدور الرسل فى الديانات السماو ية فينقذ البشر عندما تضل العقول سبيلها فى ظلام البصيرة وهذا يتفق ونزول الرسل و بعث الأنبياء فى الديانات السماو ية الذين أرسلوا رحمة للعالمين صدق الله العظيم بالهدى والحق لانقاذ العالمين من الجاهلية التى يهمعون فى ظلماتها وهم النور الذى يرشدهم إلى الصواب والابتعاد بهم عن تيارات الكفر والضلال وهديهم إلى السراط المستقيم السوى واهدائهم الخلق العظيم ذلك فى الأديان السماو ية دور الرسل والأنبياء صدق الله الذى ليس له كفواً أحد ولكن ذلك عند الوثنيين هو دور الديميورج كما سترى.

فعند نومينيوس Nomenius يدخل مثرا بدبحه الثور الأرواح الى عالم التكوين Genesis . فهو يكمل المسيرة ومن ذلك نجد أن التضحية تنقذ البشرية من أن تلقى شقاءها فقدم العجل فدواً كما ذكرنا وغذاء للعقول ، وبهذا الدم الخالد المخلد يحفظ الروح من التورط فى حياة بشر ية أخرى ولعمرى تلك فلسفة مصر ية فالأضحية تساعد الروح على الدخول فى الحياة الأخرى الخالدة ومن هنا تظهر نظر ية أن الآلهة جميعاً كانوا بشراً خيرين نافعين للناس رفعوا إلى السماء بعد موتهم فأصبحت أرواحهم نجوماً فوقنا فأنظر قول نومينيوس ومطابقته مثرا فلكياً مع الأبراج السماو ية فقد خصص له مكاناً خاصاً هو وضع الاعتدال.

أما ايوبول Eubule فتبع زرادشت فى القول بأن مثرا هو الإلٰه الخالق لكل شئ وهو الذى صنع العالم بذبحه الثور الذى يحتوى على أسس الحياة وجرثومتها ثم أن الثور عند اتباع مانيكانوس له دوره كالروح الحية التى تحمل فى طياتها المقاومة والمناهضة كما كان عند اليونان والرومان وكما الثور فى مصر الذى يحمل فى لحمه ودمه وأعماله حياً قبل التضحية به و بعدها جرثومة الحياة والبعث ومثرا بركوبه الثور أى فى برج الثور الذى يطيب لأفروديت النزول فيه ، يلى مباشرة برج الكبش و بذلك يصبح مثرا فى رأيه ديميورجاً مثل الثور تماماً .

أما مثرا الكوزموقراطى الذى وحده اليونانيون مع إلٰه الشمس الذى لا يقهر Sol Invictus، فيمثل العنصر المذكر للشمس (١٣٤ / ٧٩) .

والثور يحتوى على مادة الحياة وهذا ما قصد به الأرواح أو النحل فالدم الذى تشربه الحيوانات الممثلة على لوحات مثرا ذابح الثور أى المثرايا Milhraea يرى فيها **الفيلسوف الأفلاطونى المحدث نومينيوس حياة المادة فمثرا عنده هو الإله الثانى أو القرين أو** الإلٰـه الآخر المشابه المكرر Dittos باليونانية أى القوة التى تحيي المادة من جديد يعنى تبعثها حية كما يقول Ptolmee Valerianis فاليريانوس بطليموس .

كما يفسر ذلك تيركان (ملاحظة ١٧٢) (٨٠) أنه « أعطى الحياة للمادة والروحيات » ومثرا ذابح الثور يعتبر عند البيتاجوريين والأفلاطونيين المحدثين صانع هذا الكون كله أو خالقه كما يقول نومينيوس وهو عند بطليموس فاليريوس مشرعة أيضاً أو المقنن إذ أنه يغرس فى كل واحد ما سبق أن غرسه فيه الإلٰه الأب الخفى وهذه هى مسئولية الديميورج أو الإلٰه الآخر أو الثانى أو الوسيط . Mesites المتوسط ابن الخير كله أو هو الخير الذى يعاديه الشر فى شخص الشيطان المخادع فهو ديميورج أى فى الأساس الإلٰه العادل الذى ينظم الكون كله ومن هنا أمسك مثرا أحياناً فى يده الكرة الكونية Globe دلالة على هيمنته المطلقة على العالم أجمع وهذا ما كان يتشبه به الأباطرة أى بمسئوليتهم عن العالم كله كما كان يعتبره جوليانوس المرتد أنه الشمس التى لا تقهر المهيمنة أو الكوزموكراتية كذلك كان عند الرومان .

وعند بلوتارخوس كان مثرا وسيطاً بين العالم النورانى العلوى و بين عالم الظلمات السفلى انه هرمس اليونانى أو فى مصر الإلٰه توت . That ثم هو هيليوبس ايوللون أو هرمس عند انتيوخوس الأول ملك سوريا ثم عند الكلدانيين هو وسط Mesos فى سجل مجموعة الأفلاك وفى خط سير الكواكب ثم أن الشمس تبث النشاط الحيوى فى الكون فمثرا بذبحه الثور ينشر الحياة و ينثر الأرواح فى العالم المادى (١٣٤ / ١٩ ــ ملحوظة ٣١) .

أفرأيت كيف عايش أبيسع بعراقته واصالته كل منطقة الشرق الأوسط والبحر الأبيض

المتوسط وهى منطقة عبادة العجل بكل شعوبها ودخل حياة الغرب القديم سياسياً ودينياً وشعبياً خاصة حتى عصرنا هذا وكيف كان اعجاب الناس باصالة وفلسفة الديانة المصرية واقتناعهم بها حتى اتخذوا من الثالوث المصرى فلسفة لديانتهم وظلت حتى الآن بعد أن طورها اليونان وفلاسفتهم وأصبح الثالوث المصرى أساساً لأروع وأسمى أشكال الطبيعة الإلٰهية كما سنرى وقد تطور ذلك على يدى الفيلسوف الأفلاطونى المحدث جامبليكوس Jamblichos السكندرى فى القرن الرابع الميلادى فظهر ثالوث عقلى أو روحى من الأب ثم القوة Dynamis الروحية المرشدة أو الأم الطاقة الوسطى ثم العقل الأبوى المدير للكون والمقنن له والهادى فيه أى الابن (زيوس) .

وقد احتفظ العالم كله بأبيس ووحدوه بكل ثيرانهم المقدسة نتيجة تلك الذكرى البالغة القدم ذكرى التصور الأزلى التى كان فيها العجل عماد حياة المصريين ومعوض ضعفهم ومحدود جهدهم وقدرتهم على الانتاج الزراعى بجانب فحولته فى الانتاج الحيوانى وحفظ النوع والبقاء الذى من أجله قدسوه فى عبادتهم له لينالوا منه تلك القوة وهذه الفحولة فيصبح فى تصورهم روح أوزيريس الحية الزارع الأول والإلٰه النيل المخصب منتج الزرع وواهب الكثرة والوفرة فى الرزق ثم يأتى على غراره مثرا عند الرعاة فيمثل نفس الدور متأثراً بالخرافة المصرية فيتخذ مثرا من الثور وسيلة للاخصاب والفيض العميم فى القوت والحياة الطبيعية ورمزا للبعث والحياة المتجددة فيجعل من العجل فدوا عظيما كما كان فى مصر يجلب الخير والرخاء والحياة بعد قحل وموات (١٣٤/ ١٧٦) .

فبعد ذبح العجل يولد أول آدميين آدم وحواء (١٣٨ / ١٧٧) وقد قاوم مثرا البلاء والنار اللذين أرسلهما عليهما أهريمان وانتصر عليهما مثرا فى ابطالها فأنهى مهمته على الأرض كما يتصور ذلك جرانت فثور مثرا وذبحه المرسمى إذن يصور البعث والخلق الجديد ثم هو يحمى هذه الحياة من الشرور كما يرى جرانت وغيره من المؤرخين لا بل هذا كان دور الثور فى كل العالم الشرقى والغربى القديم وقد وضح اثر هذا على فكر الناس فى الامبراطورية الرومانية فيما انتشر من الرسومات والتمائم لصراع مثرا والثور حتى لنرى بيننا صورة من آثر ذلك ظاهرة بوضوح فى الفن المعاصر إذ يمثل تمثال ثيسيوس البطل الأثينى وهو يذبح المينوتور أى ثورمينوس فى الخرافة الكريتية اليونانية بأسلوب مثرا الفارسى و بشكله وتكوينه المختلط من الفن الفارسى والفن الحديث فى حديقة التويليرى بباريس وقد كان بومبى أول من أدخل تلك العبادة المثروية ومصارعة الثور التقليدية فى روما ثم انتشرت بعد ذلك فى أنحاء الامبراطورية ثم ما كان من أثر طقوس الاستحمام بدم الثور الذى كان يسيل من دم ثور مثرا ففى يوم تعميد المؤمنين فى عبادة مثرا ينزل المبتدئون الى حفرة تحت العجل ثم يأتى العجل مزيناً بالأغصان وصفائح الذهب ومعه الكاهن الذى يقوم بذبح العجل مقتفياً فى ذلك بكل دقة خطوات مراسم ذبح مثرا للثور فى

خرافته ، والمؤمنون بالحفرة يتعبدون برؤوسهم المرفوعة إليه يترنمون بالأناشيد والدم المتفجر من العجل يراق عليهم يدخل فى أفواههم المفتوحة و بعد أن يغمرهم دم العجل الذى يسيل عليهم يخرج العابدون من الحفرة و يأخذ كل منهم جزءاً من خصيتيه وجانباً من لحمه نيئاً يأكلونه و بذلك يدخلون فى دينه وتتم عليهم نعمة العجل بما يكتسبونه من قوة وخير و يصبحون عبدة لمثرا الثور مخلصين .

يسبعث مثرا ذابح الثور الحياة فى كل شىء و يشرب عبدته خمراً أعد من دم الثور فيكتب لهم الخلود فدم العجل كما ظهر من تأثير طقوس ذبح أبيس الضحية الكبرى فى مصر فيه شفاء لهم وخصوبة لمراعيهم ورمزية تدل على سعة العيش ووفرة الرزق وفيه لهم فحولة وقوة كالعجل يتباهون بها ثم فيه شفاء لنفوسهم .

ولكن لم يكن ذلك فقط فى العصور المنصرمة القديمة جداً بل ظل ذلك أيضاً فى خرافتنا المعاصرة فلا زال من تقاليد الزار عندنا وقد أوشك على الزوال الآن ذبح الضحية الكبرى عجلاً أو جملاً أو خروفاً أو حتى بطة أو ديكاً ثم يراق دمها على المريضة التى تجلس فى طشت بملابسها ثم تشرب قليلاً من دم الضحية التى كانت تقدم للأسياد حسب طلبهم ارضاء لهم فيهبون المريضة الشفاء و يذهبون عنها شر الأرواح المؤذية نتيجة ذبح هذه الضحية بسحرها الشافى فكل ما يخرج منها دماء ولحماً خير و بركة ونفع لجميع من يأكله وخاصة شيخة الزار التى كان لها نصيب الأسد من لحم الضحية إن لم تكن تستحوذ عليه كله تبيعه لحسابها وهذا أثر من خرافات كثيرة ترسبت فى عادات الناس من ساحق العصور فالفدو انما يفتدى به ليحفظ على الناس حياتهم وصحتهم وسلامتهم من كل شىء .

إلا أنه ليس من الممكن اغفال السياسة فى أمر وضع مثرا فى العصر اليونانى الرومانى فاتحاد مثرا مع الشمس (هيليوس) بالنسبة للملوك والأباطرة أى دلالته ككوزموقراطى أى المهيمن المسئول عن العالم الذى يحكمه بعيداً عن النظرة الدينية الفارسية القديمة كما كان يريد الأباطرة أن يتشبهوا به وهى نظريتهم التى يريدون بها اكتساب الحق الإلٰهى أى الحكم الثيوقراطى ففى ذلك الوقت كان الملوك والأباطرة يستغلون الديانات الشرقية لتأييد نظرياتهم الاستبدادية فى الحق الإلٰهى فيحيدون بهذه الديانات العريقة إلى وضع السياسة الدينية أو الدين السياسى أى الثيوقراطية أسوة بالاسكندر الأكبر واعتناقه الديانة المصرية الشمسية وسيلة ليصبح حاكماً عالمياً أى كوزموقراطياً فحذا هؤلاء الخلفاء من بعده حذو سلفهم العظيم فى الديانة الفارسية وكان الاسكندر نفسه عدواً لأهلها ، لارتباطها بالفلك الذى كانت الشمس فيه أعظم وأهم كوكب والمحرك المركزى فيه .

أما الأرواح فلا نجد فى لوحة مثرا ذابح الثور ما يمثل النحل التى هى الأرواح تنبعث عن ذبح الثور وهى جوهر حيوية العالم بل هو دمه كما سنرى . و يعرف الفيلسوف الأفلاطونى الإلـٰه الديميورج بأنه هو الذى يحفظ للعالم الاستمرار فى مسيره (١٣٤ / ٨٧) وهذا يعنى طبعاً أنه القوة الدافعة أى الطاقة المحركة والشمس عند أفلاطون هى بنت الخير كما هى أيضاً ممثلة بخيرها ونفعها ودفعها العالم إلى الأمام كما ذكرنا من اجتماع كل آلهة الخير بكل رموزها وصفاتها حول رأس الامبراطور الممثل للشمس على جسم الأسد أى أبو الهول فى لوحة التوحيد .

أما نومينيوس فبالتحديد يقول أن الديميورج هو مقلد الخير وابنه أى هو الشمس المجهولة الأب .

فالإلـٰه الأكبر صورة للخير وهو ذاته إما الديميورج أى المكرر فهو المقلد (١٣٤ / ٧٩) وعند Nunenius الشمس هى المهيمنة واهبة الحياة وعقل الكون المدبر وقلبه النابض Hegemoiks وهيلوس أبو جميع الأشياء كما عند سوفوكليس وأيضاً هو أب الآلهة وخالقها وهذه الألقاب الديميورج فى Timée وهى أوصاف أيضاً يضفيها نومينيوس على مثرا .

والشمس عند بوسايدونيوس هى الأب فهيليوس سيد النجوم السيارة ونظراً لوضعه الأوسط يكون هو المحرك لها وهذه الأبوة خلقت له مهمته كموجه أى كونه مركز سلطة وحركة وسط فى مسار العالم ، كذلك كان رع بالنسبة للفلاسفة اليونانيين فكما يذكر بير ين فان رع هو روح العالم وضميره إنه الباعث والحقيقة (معت) وهو يعنى قولاً لفظ الفاعل Loges أو السبب كذكره عند الفيلسوف هراقليدس ، الذى خلق العالم فالحقيقة الحقة ليست إذن العالم الذى خلق ولكنها الفاعل الذى نشاء عنه الخلق (١٢٠) كما كان أوزيريس النيل والماء الخلاق صانع الحياة وأصل كل حى .

وأخيراً فإن ذلك كله له صلة بالقمر الذى تخصبه الشمس التى تهب الناس العقل والذكاء Nous المدبر فيلد القمر الأرواح وكذلك مثرا بتضحيته الثور يسبب ولادة الأرواح فى العالم وكما تذكر البونداهيشن Boundahishn فإن هذه الأرواح تمر بالقمر لتتطهر (١٣٤ / ١٢ ملحوظة ٨٩) هذه هى آراء فلاسفة اليونان فى الشمس الديميورج أو الوسيط المتحرك وهى الخير و بنت الخير ومسيرة العالم بقوتها الدافعة التى لا تتوقف وهى الأساس وهى السبب Loges وبهذا تهيمن على الأرض والسماء فهى للعالم وفية كل شىء كما كان يعتبرها القدماء فى مصر وفى فارس والعالم القديم كله فى عبادتهم الشمسية وأخيراً يوحد بوسايدونيوس الشمس بمثرا كما يقول بذلك أيضاً الجغرافى الفيلسوف سترابون (١٣٩) أى

« هيليوس الذى يسمونه مشرا » و يعتقد فيلرميكوس ماتيرنوس Firimicus Matemus أنّ هذا العنصر النارى الذى يعبده الفرس ينقسم إلى قسمين **مؤنث ومذكر** ويجب أن نذكر أن هذه تقريباً هى وجهة النظر المصرية فمثلاً العنصران الناريان فى السماء هما الكوكبان الشمس (العنصر المذكر والقمر هو العنصر المؤنث) وعند الفرس كقوله يمثل مشرا العنصر المذكر بينما الوجه المؤنث أى القمر تمثله أنثى ذات ثلاثة وجوه تلتف حولها ثعابين ضخمة (١٣٤ / ٩٠) وهذه هى أناهيتا قاعدة الانتاج فى الثالوث الفارسى .

وهذه الطاقة أو القوة Dynamis ذات الثلاثة وجوه أى هيكات اليونانية وأم الأرواح فى رأى أفلاطون تمثل أوجه الروح الثلاثية (١٣٤ / ٩٠ ملحوظة ٢٣ ـــ ٢٤) فالوجه الأول يمثل كإلـهة محاربة مسلحة بالمجن والذرد تقف على قمة قلعة العقل Noûs نوس تشحذ الهمة وتبعث الشجاعة والحمية أنها Thymos الهمة والشجاعة والطموح أما الوجه الثانى فوجه مشاركتها فى دولة الغابات والوحوش أى تمثيل تعدد الأفكار الوفيرة والنشاط العقلى أنه تمثيل للعقل أو الذكاء والطموح .

وأخيراً الوجه الثالث الذى يمثل الشهوة والرغبة والاخصاب Epithy metikon أى أن هذه الوجوه تمثل الثلاث آلهات اثينا وارتميس وافروديت اليونانيات .

أما عند الفرس فالعقل فى الرأس والرغبة أو الطموح للمعرفة فى القلب والشهوة فى الكبد (١٣٤ / ٩٣) كما يرى Firimicus Potermus وهذا الثالوث الأفلاطونى يطابق إلى حد ما خطة جامبليكوس فى التقسيم لهذه الوجوه الثلاثة أى الأب والطاقة والعقل كما هو واضح أيضاً فى كلام وتعليق الفيلسوف **بروكلوس** إلا أنه لا ينطبق تماماً على خطة هذا التقسيم الثلاثى الأفلاطونى أى أن ذلك لا ينطبق مع نفس تقسيم أقسام أوجه الروح عند أفلاطون .

فخطة جامبليكوس هذه تتكون من الأب والطاقة الوسطى أو القوة الوسطى ثم العقل :
(١) فمن الوجود الأزلى الذى هو الأب كان أصل هيكات أى أن الأزل أصل نشأة هيكات .
(٢) ومن القوة الوسطى أو الطاقة الوسطى تأتى الروحانية .
(٣) ومن العقل تنبعث الشجاعة والفضيلة (١٣٤ / ٩٥ ملحوظة ٩٣) .

هكذا كان تفرع أوجه الروح فى نظر أفلاطون فأثينا العقل فى الرأس وارتميس تمثل اختلاف الأفكار وتطورها فهى تسكن القلب ثم يرى أفلاطون باجماع كل الفلاسفة على وجهة نظره على أن الشهوة فى الكبد وهى وجه الروح الثالث (١٣٤ / ٩٣ ملحوظة ٢٧) أى وجه هيكات الثالث الذى تمثله أفروديت وفى هذا يبدو التوازى بين العالم الصغير أى

الميكروكوزموس والعالم الكبير أى المنطلق الماكروكوزموس كما نلاحظ ذلك أيضاً فى القابال عند اليهود من توزيع السفيروت العشرة وتطبيقها على مواضع جسم الانسان المختلفة .

ولكن الفلاسفة قد اختلفوا على تمثيل هذه الوجوه الثلاثة للروح فى أعضاء جسم الانسان أى أن أثينا فى الرأس وأرتميس فى القلب وأما الشهوة واللذة فتتمثل باجماع الآراء فى الكبد وهذه الآلهات الثلاث بصفاتها التى تتصف بها أى أثينا وارتميس وأفروديت تدخل بصفاتها المتعددة ورموزها المختلفة فى صفات ازيس الالٰهة المصرية وهى الشخصية التى لا حصر لاسمائها وصفاتها فقد جمعت فى قدراتها كل الآلهة اليونانية والرومانية وغيرها عند الشعوب القديمة الأخرى فتمثلن فيها جميعهن فى كل العصور حتى العصور المتأخرة وزيادة على ذلك فهى الإلٰهة ذات الطبيعة كأرض مصر تتأثر بالعناصر الأربعة ومن هنا كانت سيطرتها على هذه العناصر كما فصلنا ذلك حسب ذكر المؤلفين القدامى ثم بعد ذلك فان نجمها فى السماء هو نجم صوثيس أو سيريوس كما ذكرنا من قبل منزل المطر وهذه هى قاعدة الانتاج وأما حورس فهو مثرا فى هذا المثلث الفارسى المكون من أهورامازدا ومثرا وأناهيتا الذى مثل على الآثار فى عصر الملك (البارثى Vorod) فنجد أهورمازدا ينصب الملك على عرشه البارثى بحضور مثرا وأناهيتا فى لباس حربى كأثينا (١٣٤ / ٩٩) وقد شرح Wikander ما يميز العبادة الفارسية عن العبادات الهندو يوروبية بقوله أن النار تعبد فى فارس لأنها العنصر الوحيد الطاهر الذى لا يتدنس باحتكاكه بأى عنصر آخر ومن هنا تظهر الصلة بين النار الطاهرة وبين أناهيتا Anahita التى يعنى اسمها النقاء والطهارة وهى العنصر المؤنث الفارسى ذات الثلاثة أوجه أى هيكات اليونانية وأما الثالوث الفارسى أهورامزدا ومثرا وأناهيتا فقد ساد فى العصر البارثى فكان هذا الثالوث معبرا تماماً عن الثالوث المصرى الذى قال عنه اليونانيون أنه أحسن أشكال الطبيعة الإلٰهية كما ذكرنا ثم أن الثالوث الفارسى قد مثل على النقود الفارسية كما مثل الثالوث المصرى (ثالوث الاسكندرية) سرابيس ، أوزيريس ، ثم ازيس ثم هاربوكراتيس (حورس) على نقود الاسكندرية أى النقود الرومانية التى ضربت فى الاسكندرية أثناء الثلاثة قرون الأولى الميلادية وهذا يعنى تغلب الفكر الفلسفى اليونانى فى العصور المتأخرة وتأثيره على الديانات القديمة قبله .

وفى الثالوث الفارسى نجد أن أناهيتا الوجه المؤنث فى هذا الثالوث تتمثل فيها وجوه الروح كما رآها أفلاطون كالثلاثة وجوه لهيكات اليونانية فتكون أناهيتا مثل هيكات أم الأرواح (١٣٤ / ١١٩) كما ذكرنا أنها قاعدة الانتاج وأنها العنصر المؤنث فى الثنائى النارى فهى تمثل قاعدة الانتاج فى ثالوث مصر فتمثل القمر فى الثنائى النارى المضيء فى السماء الشمس (المذكر) والقمر (المؤنث) عند الفرس وعند المصريين أيضاً فهى ازيس المصرية (القمر) وقد رأى افلاطون كما ذكرنا فى عناصر هذا الثالوث المصرى الأب أو اللوجوس المصرى ثم الأم أو

(المرضع) ازيس أى قاعدة الانتاج ثم حررس الابن أو الانتاج أو الكوزموس وهو مثرا فى الشالوث الفارسى ثم أن حورس يوجد فى كل العبادات والتقاليد الدينية فى كل دين قديم فهو الابن أو الخلق أى الكوزموس وفى اعتقادى فإن هذه التشابه فى كون اناهيتا قاعدة انتاج فى الثالوث الفارسى كان سبباً فى أنها قد تمثلت بأوجه الروح فى الثالوث الفارسى أهورامازدا ومثرا وأناهيتا كما يرى بحق أفلاطون فى هذا التمثيل الثلاثى الوجه : العقل ثم المعرفة ثم الحب واللذة والاخصاب فهى تتمثل كاثينا بملابسها الحربية كما نجدها على الآثار وخاصة النقود كذلك وجدت تمثل ارتميس إلـٰهة الغابات والوحوش وهنا يذكر فيرميكوس ماتيرنوس تعبير ملكة الوحوش وقد كان توحيد أناهيتا بارتميس سيدة الوحوش فى الأدب والتصوير الشخصى ايكوتوجرافى (١٣٤ / ٩٩) تجسيد الشكل هو السائد فيجدها ممثلة و بيدها القوس وتحمل على ظهرها الكنانة على ظهور العملة الفارسية فى العصور المختلفة (١٦٧) كما تظهر ارتميس نفسها على نقود الاسكندرية دون أن تكون لهاصلة بأناهيتا أما وجهها الثالث أى بصورة أفروديت وهى وجه الروح الذى يمثل الشهوة والاخصاب فأمثلته كثيرة كما يوردها توركان (١٣٤ / ١٠٠) إذ يذكر تمثالاً لها بشكل أفروديت ثم يقول أن الكوكب Venus الزهراء يعرف عند الفرس باسم أناهيتا ورغم أنها تمثل كرمز للقمر نجد أناهيتا على بعض الأوانى الساسانية تمثل بهيئة ومميزات أفروديت وهى عند ميكوس ماتر يتوس تسيطر على اللذة والاخصاب و يذكرها بعض الفلاسفة والمؤرخين لصلة أفروديت بالبذر التناسلى فلغو ياً يسميها لانج Lang أفروديت نسبة إلى الرغوة أى الزبد المنوى الذى هو بذور خلق الأحياء (١٣٤ / ١٠١ ملحوظة ٨٨) .

ثم أن أول من أقام تمثالاً لأناهيتا كافروديت هو ارتركسيركسيس الثانى كما يخبرنا بذلك كلمنت السكندرى .

أما المؤلف Trever فيقول بخصوص معابد الإلـٰهة أناهيتا انها الإلـٰهة التى تشخص الحب والخلق واللذة الجنسية وتجدد الحياة كما يذكر البعض بخصوص معابد أناهيتا وجود الدعارة المقدسة فى عبادة أناهيتا . كما أن أناهيتا أفروديت مرتبطة أصلاً فى الخرافة الخاصة بالعنصر الرطب أى المائى كالإلـٰهة ازيس المصرية تماماً وفى بلاد ارمينيا كانوا يخصصون هناك بعض الأشهر للشمس و بعض أيام للقمر أى أنه من المحتمل أن يكون ذلك التخصيص كانا للإلـٰهين مثرا وأناهيتا .

وفى فارس يجعلون فى تقاليدهم من الكوكبين النيرين (الشمس والقمر) أول ما ولد أهورا مازدا .

وكما يذكر أيضاً بيديه (١٣٤/٩٨ ثم ١٠٦/٣) أن الملوك الساسانيين كانوا يسمون أنفسهم اخوات الشمس والقمر حسب قول اميانوس « Solis Fratres et Lunae » .

وعند سترابون فى ترتيب العبادات الفارسية السماوية يكون ز يوس وهو اهوارامازدا سيد السماء تأتى بعده الشمس التى يسمونها مثرا ثم بعد ذلك القمر ثم أفروديت ثم النار على الأرض (١٦٩) ثم الريح ثم الماء .

أى أن ترتيب العبادة فى السماء التى يسودها ز يوس أى الإله الأكبر اهوارامازدا يقدسون فيها الشمس التى هى عندهم مثرا ثم القمر وافروديت (وهى أناهيتا ثم بعد ذلك يقدسون النار والأرض ثم الهواء والماء وهذه هى عناصر تكوين الكون التى تتجمع كلها تحت سيطرة از يس المصرية فى الثالوث المصرى الأزلى أما فى الثالوث الفارسى فتأتى هذه العناصر فى ترتيب العبادة كما يذكر سترابون وتشملها قدرة أناهيتا لسعة مساواتها بالآلهات الآخريات وقدراتها فى التأويل اليونانى وتمثيلها الثلاثى الوجه لأثينا وأرتميس وأفروديت مما قد يبعدنا عن التقاليد الفارسية ويجعل من أناهيتا مجرد اختراع فلسفى أفلاطونى حسب ما ورد فى روث Wroth (٢٤٢) ثم غيره من علماء النقود فيما يخص شكل أناهيتا الثلاثية الوجه Triformivultus الممثل على النقود الفارسية .

كانت أناهيتا تتصف بالرطبة أو المائية Aredvî والقوة Sura والنقاء Analita فهى أصلاً مخصبة الحيوان والزرع والانسان أى كل المجتمع الآرى تلك كانت النظرة الفلسفية الخالصة التى لم تتأثر بها التقاليد الفارسية كثيراً إلا عندما تختلف وجهات النظر الفلسفية عند الفرس وعند غيرهم من الفلاسفة الباحثين فى أصول اللاهوت القديم أما عندما تتدخل السياسة فى تأويل هذه التقاليد الفارسية وما تمثله عند الفلاسفة اليونان والفلكيين منهم فالأمر يسير فى اتجاه آخر متغيراً تغيراً محسوباً فينحو بالتقاليد إلى ناحية دينية سياسية أى ثيوقراطية تستمد وجودها من السماء أى الحق الإلهى .

فبعد الاسكندر كما سنفصل ذلك حذا حذوه الملوك والأباطرة من خلفائه يونانيين ورومانيين الطموحين إلى الحكم العالمى والحق الإلهى أى فى الكوزموكراتية أى الحق الإلهى والحكم العالمى كما كان عليه الفراعنة وملوك فارس فى الشرق ولذا نرى أن عند جوليان الامبراطور الرومانى المرتد وهو فيلسوف وثنى يعتبر مثرا الشمس ذاتها التى لا تهزم Sol Invictus أى باعتبار مثرا رمزاً لعبادة الشمس كالامبراطور نفسه الذى كان يعتبر نفسه تابعاً للشمس بل حتى رفيقاً لها أى باليونانية Opados وباللاتينية Comes وهذه الكلمة التى تأتى دائماً صفة للشموس من الأباطرة على ظهور عملاتهم الممثل عليها رمز الشمس التى لا تقهر من قبل جوليان بل انه كما ورد فى نشيد الشمس Sol Roi يقول جوليان أن « للشمس فى نفسه أعمق وأصدق

الايمان » (١٣٤/١١١) فصول Sol الذى لا يهزم له أفضال على الامبراطور فقد أنجاه من محنة مذبحة (سنة ٣٣٧م) التى كادت أن تقضى عليه فأنقذه هيليوس منها . فمثرا بالنسبة للامبراطور جوليان المرتد ليس إلا شكلاً جديداً أو لفظاً حديثاً لهذا الإله الشمسى الذى يدين به و يقدسه بكل اخلاص تحت اسم سرابيس Sarapis أو أبوللون كما يقول ديديموس (١٣٠/١٠٥) لقد كان جوليان يكن ويحفظ فضلاً جميلاً وكبيراً لإله الشمس فظل مخلصاً تابعاً له ورفيقاً بل كان ابناً له باراً حتى انحرف قنسطنطين الأكبر إلى المسيحية عندما انتصر على منافسه الامبراطور ماكسانس تحت أسوار روما فكان هذا النصر تاريخاً لاستقرار المسيحية (٣١٢م) ثم ظهر قانون ميلا بحرية المسيحيين الدينية وصار قنسطنطين الأكبر الأول مسيحياً (٣٢٣م) ثم أصبح حامى حمى المسيحية ولذا فقد ارتد الامبراطور جوليان الذى ترعرع فى أحضان الوثنية ورفض المسيحية إذ يقول أن ز يوس قد طلب من هيليوس أن يرعى جوليان و ينقذه و يشفيه من مرضه وكان ذلك المرض كما يقول توركان (١٣٠/١١١) هو المسيحية وأن شفاءه (١٣٤/١١١ ملحوظة ٤٦) ودواءه كانت هذه الردة « Apostosie » .

لم يذكر جوليان فى نشيده مثرا بل كان هيليوس هو من ناداه فالأسمان عنده لهما مدلول واحد هو الشمس هيليوس الذى هو ملاذه والذى توسل إليه ز يوس أن يرعاه و يسدد خطاه و يز يل عنه المرض .

فأنظر كيف كانت نظرة هذا الحاكم الفيلسوف فى عقيدته وايمانه بمثرا (هيليوس) الذى هو إلٰه النور وكيف كان ايمانه بالشمس كإلٰه مخلّص أنقذه من الغموض المظلم وأنار الطر يق له فكان مثرا عنده إلٰه العدل والحق وهما فضيلتان مكفولتان فى أخلاقيات المازدو ية و بالنسبة لجوليان فان فضيلة الفضائل جميعها هى العدل (١٣٤ / ١١٤ ملحوظة ٦١) فالحاكم عنده يتصف أول ما يتصف بفضيلة المساواة أى أن يساوى بين الجميع ثم بعد ذلك شيمة الطيبة ثم تكون الانسانية فى طبيعته فيكون انساناً بالنسبة لمن يستحق ذلك (١٣٤ / ١١٤ ملحوظة ٦٢) فالحاكم يروح الاخوة يحقق العدالة الإلٰهية بين الناس بالمعنى الصحيح للاخوة أى Confratermité فكانت انسانية جوليان على غرار الاحسان وهبة الإله للخير ولطفه بعباده ورعايته للناس جميعاً فهو الذى يراقب كل شىء أى أنه هو الشمس وشمس العدالة Sol Justitae (١٣٤/١١٤ ملحوظة ٦٠ــ٦٥) .

أما الفضائل العسكر ية والصفات الحربية من قوة تحمل وعفة وطهر وزهد وشجاعة واخلاص ونسك وايمان بالواجب فكل هذه الصفات والخصال الفاضلة كانت من لدن مثرا ومن

حساب شيمة وفضائله وأخلاقياته (١٣٤ / ١١٥ ملحوظة ٦٦) فالامبراطور أراد أن يفكر و يعمل كجندى لربه مخلص وانه حاكم ملتزم بمنصبه الذى وضعه الإله فيه .. أن هذا كله من أخلاقيات مثرا التى اتصف بها جوليان وحققها فى حياته .

فأنظر كيف كان الحكم الإلهى أى الثيوقراطية ونظرية الفرد المستبد الصالح فى أساسها نزاهة ونعمة وكيف أن أخلص الحاكم الالتزام بهذا المثل الأعلى يصبح الشمس وظلها على الأرض من فراعنة و بعدهم من ملوك وأباطرة أشبه ما يكونون بالإله عدلاً ورحمة وانسانية بما وهبهم الإله من حق إلهى فكانت تلك الخصال أيضاً هى ما كان يريد الاسكندر الأكبر أن يتصف بها ويحققها أى حبه للبشر وايمانه بالآلهة جميعاً عند كل الشعوب التى حكمها ومن هنا كان نظره دائماً متجهاً إلى السماء ومثلها العليا شمس العدالة وحب الخير وتحقيق العدل بالمساواة بين الناس فبالعدل والانسانية كانت هيمنته على شعوب العالم .

فكان جوليان ينادى ربه « مولاى » وربه هو الشمس التى لا تقهر أى مثرا كما ورد فى الكرونيا أى وليمة القياصرة و يظن توركان أنه اذا كان كرونوس فى الثالوث الروحى والعقلى لجامبليكوس (القرن الرابع م) قد أخذ مكانه فى النظرية الجوليانية لكان قد وضع بحيث يطابق إله جوليان الأول أى الأب ثم ريا Rhea الأم أى القوة Dynamis المادة المتحركة تكون الشخصية الثانية ثم الشخصية الثالثة زيوس هو العقل الأبوى (١٣٤ / ١٢١ ملحوظة ١١٤) .

فالشمس كما يقول نومينيوس هى الابن الحق لإله الخير وهذا الفيلسوف الأفلاطونى المحدث الذى يعتبر الشمس ديميورجا وكذلك جوليان يستقيان ذلك عن أفلاطون نفسه ولذا فقد اعتقد جوليان أنه « ابن الشمس » وذو قرابة وصلة كبرى بمثرا الأفلاطونى وأما الآلهة القدامى اليونانية الشرقية فقد مثلها جوليان على نقوده ــ ازيس وسرابيس ثم عجل أبيس وقد أكد كيمونت (١٧٠) أكد تقديس وعبادة جوليان لازيس وسرابيس .

فكان الامبراطور هو نفسه الشمس Sol Roi لشدة ايمانه بالخلق والأخلاقيات المشروية وهذا هو المثل المتأخر لسياسة الحكم الدينى وهو الشاهد على نظرية الفرد المستبد الصالح التى أقامها الفراعنة وملوك الشرق ثم مشى على منهاجها الاسكندر الأكبر وقلده فى ذلك واعتنق مذهبه السياسى خلفاؤه من ملوك اليونان والأباطرة الرومان حتى العصور الوسطى وقيام سلطة الكنيسة الدينية .

نفهم من قول بلوتارخوس فيما سبق عن الإله الخفى أنه ليس هو الشمس بعينها فمثرا كما يراه

الفيلسوف بوز يدونيوس وكما يعتبره جوليان هو المشابه للشمس فكونه الإلٰه الثاني المتحرك أي الإلٰه المتحرك في الوسط (١٣٤ / ١٢١) يكون هو المهيمن على العالم والمنظم لشريعة الحركة المهيمنة Hegemonikos أي خالق كل شيء أي باعثها من جديد فكما يذكر بلوتارخوس عن المصريين اعتبارهم المحصولات الموسمية آلهة وفي ندبهم اياها و بكائهم عليها عند انتهاء موسمها يتوسلون طبعا إلى الإلٰه اعادتها لهم مرة أخرى فإذن لابد أن يكون هذا الإلٰه هو الباعث الأول الخفي الذي يرجونه أن يعيد خلق الأحياء سيرتها الأولى بوساطة الإلٰه القرين الشمس فهي الإلٰه الظاهر أمامهم حتى لقد تشابه هذا الفكر مع وصف الإلٰه المهيمن وعقل العالم المدبر بتسميته نوس وماورد في نشيد الشمس عند جوليان من طلب لعون النور المهمين (١٣٤/١٢١) .

هذا هو الإلٰه الثاني في مصر . الظاهر وخلفه الإلٰه الخفي كالنور للمصريين الذين يطلبون عونه أي الديميورج عند أفلاطون الذي يعيد الخلق و يغرس في الخلق ما وضعه فيهم الإلٰه الأول الخفي أي الأب المجهول .

إذن فوراء كل ديميورج الإلٰه الخفي كما يعتقد المصريون وهم في طلب عونه ممن يمثله من رموز حيوانية فهم انما يتمثلون فيها وسطاء أو رموز آلهة قرينة أو مكررة أي ديميورج كل يمثل قوة معينة من الإلٰه الخفي ولكن كلها للخير كالشمس بنت الخير الحقيقية ذات الأب المجهول كالفرعون أو كالامبراطور فيما بعد الذي يمثل الشمس بحقه الإلٰهي في الحكم المستمد من الشمس في تمثال أبو الهول فكان ملاذ الناس يتقربون اليه و يعبدونه و يتوسلون اليه أن يفرج كربتهم ويهب الخير كابن للشمس وديميورج لهم .

فهذه النظرة إذن إنما تجعل من الالهة مكررة أو قرينة أو وسيطة بين السماء والأرض كمثرا أو كهرمز وهذا نتيجة لعقيدة المصريين في الإلٰه الخفي Amoun أو الخفاء أو ما لا يرى وما لا يسمع وكقول الفلاسفة الأفلاطونيين بأن الشمس مجهولة الأب أي كالفكرة الأفلاطونية الحديثة التي تجعل من الشمس ديميورج وسيط وهي أيضاً في التصور الأفلاطوني تشبه مثرا أو هي مثرا نفسه إلٰه الضوء الذي هو بالنسبة للعالم المنظور الحقيقة بعينها لعالم الفكر أي عالم الادراك والفهم فهو من الناحية القدسية الإلٰهية يمثل مثرا خاصة الوسط أو الوساطة أو التوسط بين عالم الحس وعالم الادراك فهو يجمع بين الاله والمخلوقات في دنيا التوافق والانسجام الكوني كما يذكر توركان (١٣٤ / ١٢٢ ملحوظة ١٢٤) .

وهنا يتفق تماما بلوتارخوس في ذكره أن مثرا هو روح العالم وهو الوسيط أي Mesites . بين العالم العلوي والأرضي بين النور والظلام و بين الخير والشر و بين العالم

الحسي عند جوليان الامبراطور الفيلسوف وعند الرمزيين أى أصحاب الأسرار Gnostques فإن هذا العالم الحسى هو دنيا الفساد والخطيئة و يذكر Turcan. قول بروفيروس prophyros، فعالم الروح مقدس إلـهى وأما الجسد فظلام وغموض أى دنياه كلها خطيئة (١٣٤ / ١٢٢ ملحوظة ١٢٧) وفى الانسان يقوم صراع بين الخير والشر ولكن الكون أيضاً يعكس لنا كمال هذا النموذج المتصارع أو هو يصور هذا النموذج كاملاً فهيليوس يعطى العالم كله جانباً من جمال الادراك والفهم الحسن لهذا الكل من الخير والشر.

ان هيليوس هو مركز التجمع الذي يقرب هذه الأبعاد فى هارمونية وتوافق يقضى على التنافر وعلى نحوما كما يقول Impedocles، يستبعده فى هارمونيته فهذه الوحدة بين الإلـه الأب الخفى و بين الإلـه الوسيط أو الديميورج أى الإلـه المكرر يسخر فيها هيليوس قوة وسلطان هذا الإلـه المكرر ليكمل ويجمع و ينشر الحياة وأن يسمو بالجوهر أى كعمل الروح الكونية عند البينوس وكما يقول به الإلـه الديميورج عند نومينيوس الذى حفظ الكون متماسكاً فى وجوده وكيانه غير متنافر فتشابه الشمس ومثرا عند فلاسفة اليونان يجعل من مثرا مهيمناً على الخلق جميعه.

ثم أن صحة ما ذهب اليه بلوتارخوس من قول الكهنة المصريين وعقيدتهم فى وجود إلـه خفى لا يرونه ولا يسمعونه وراء كل هذه الآلهة المكررة أو القرينة قد وضحت بوحدتها ومطابقتها لهذه النظرة عند الفلاسفة اليونانيين بيثاجوريين وأفلاطونيين أزادها وضوحاً قول الفقيه اللغوى Martianus Gapalla. مارتيانوس كابالا فى احدى الابتهالات لإلـه الشمس يطلق فيها على ملك الكواكب أو النجم الملك كل الأسماء التى نسمعها مصرية و يونانية : آمون Hammon، أوزريس سرابيس أبوللون Phoebos ثم أتيس Attis ثم مثرا الذى دخل الفلسفة اليونانية كديميورج وهكذا يتضح أن الشمس إلـه ثانى وسيط ولد من أب مجهول أى أنه « ذو أصل خفى » كذلك كان آمون العريق عند بلوتارخوس عن الكهنة المصريين يشير إلى خفاء الإلـه الذى هو ملىء السموات والأرض لا يراه أحد ولا يسمعه أحد وهو الذى يرى و يسمع.

وهذه التسمية تدل على نظرة واحدة بالنسبة لكل ديميورج أو إلـه ثانى مكرر عند المصريين أولاً ثم الفرس واليونان فالكل مكرر والأصل أو الإلـه الأول أى الأب خفى لا يعرفه الناس ولا يدرك بالحواس والديميورج هو الوسيط بين الإلـه الخفى فى العالم القدسى انه النور المعلق فى الهواء فوق هذا العالم الحسى المادى انه النور للعالم الظاهر ولكنه الحقيقة بالنسبة للعالم المدرك أو هو الفاروق بين النورانية والمادية بين الخير والنقاء والشر والدنس وهو الروح الحية الخلاقة المتحركة والعقل المدبر أى عقل الكون ومثرا ليس إلا اسما للشمس التى ترشد النجوم فى مسيرتها

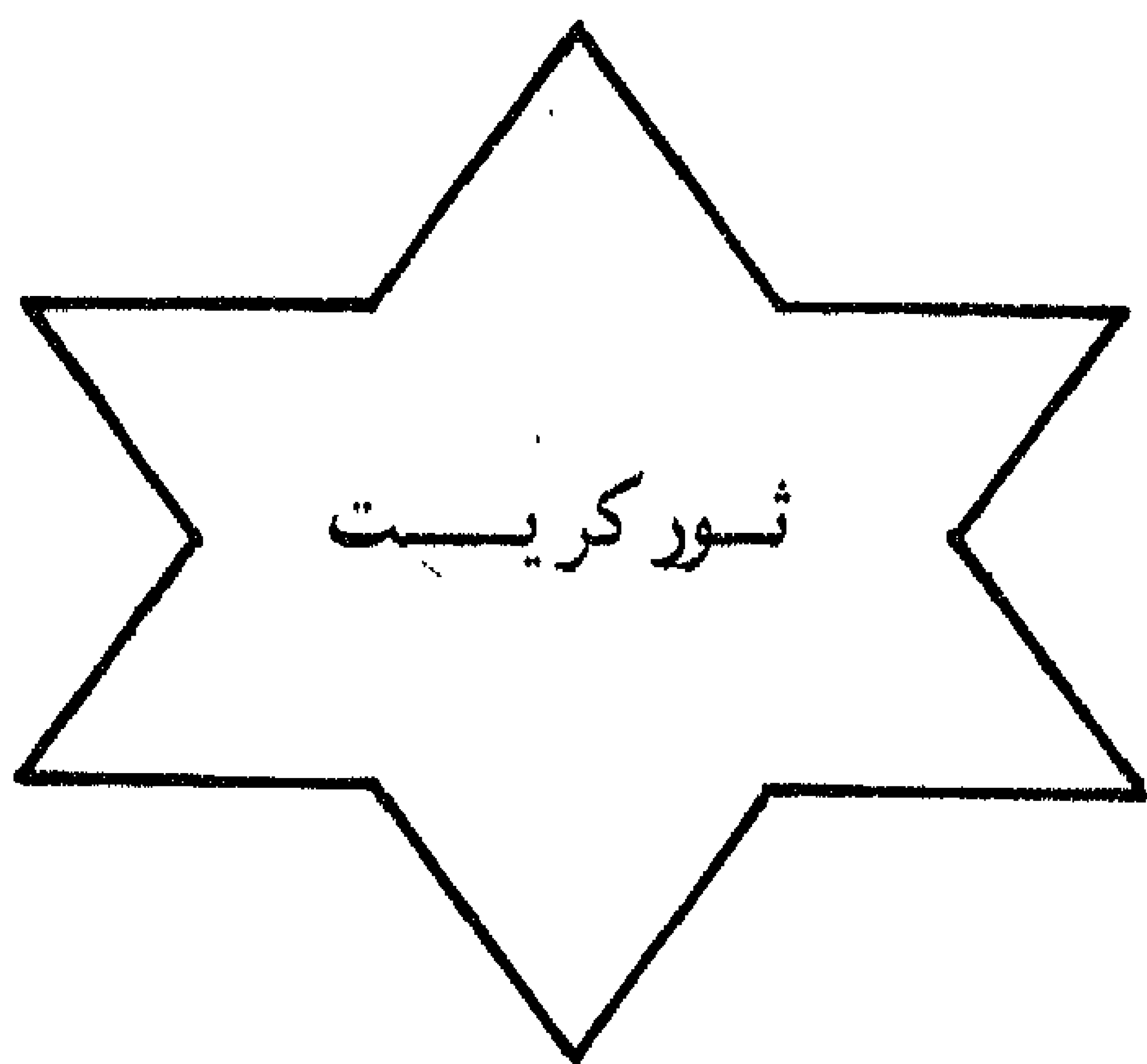
كقول كلوديانوس إلا أن تور كان يشك أن مثرا ذا الثلاثة أوضاع أى لابس الثلاثة كابات أو القبعات المخروطية كما يسميهم Trois Pileati أى ثلاثى مثرا الممثل على لوحات مثرا فى الوسط مثرا ذابح الثور بين مثرا Gautés أى رافع الشعلة ثم Goutopates أى الذى يخفض الشعلة ينطبق على ثلاثى الشمس عند جوليان أى المدرك Intelligible والعقلى Intellectuel ثم الحسى Sensible وفى اعتقادى أن هذا التردد لا مجال له هنا فالفكرة المصرية عن بلوتارخوس فى هذا التمثيل واضحة بمعنى المدرك ثم العقلى أى الديميورج ثم الحسى المظلم تطابقاً تاماً مع لوحات مثرا أى المثرايا Triplasiou Mithrou وهو فى هذا الوضع الوسط بين النورانية الإلهية و بين العالم المظالم أى الحسى وفى هذا الوضع بين النور الإلهى والظلمة المادية الحسية يكون الوسيط مقلداً الخير أى العقل المرشد إلى الحقيقة ينير الأبصار و بصيرة الناس بالحق و يضى عقولهم بالحقيقة فتتكشف لهم سبل الخير من الضلال والشر أى هو النور أو الوسيط وعلى حد قول بلوتارخوس الذى يخبرنا بأن مثرا كما يسميه الفرس وسيط أو المتوسط بين الاثنين أى بين أهورامازدا وأهريمان فعند المصريين الشمس الظاهرة الخفية الأصل هى مثرا أيضاً إله الشمس الفارسى وكذلك كان مثرا دائماً فى العصر اليونانى الرومانى ثم أن فى البونداهيشن Boundahishn نجد أن عالم الوسط أو العالم المتوسط هو الذى يطابق قول بلوتارخوس عن مملكة مثرا الوسيط وهذا هو المجال الذى يحمل النور ومن هنا كما يقول توركان أن الإله عند الفرس « هو النور الذى يحمله الهواء فى الفضاء » كما يؤكد هيبولينوس .

إن دور مثرا ذابح الثور يماثل تماماً دور أبيس الذى هو عند المصريين روح أوزيريس الحية والاثنان كما ذكرنا أى أوزيريس وأبيس هما الضحيتان القربان أى كل منهما قدوعظيم للبشرية ولكن الفلكيون من الفلاسفة الأفالطة والبثاجوريين القدامى يؤولون أيضاً مثل بورفيروس السكندرى (٢٣٣ ــ ٣٠٥) الذى يرى فى مثرا كما تمثله لوحات المثرايا ذات الحفر البارز ما نجده متمشياً فلكياً إلى حد بعيد من التأويلات الفلكية لعجل أبيس وأوزيريس وحورس وست وأغلب الظن أنهم كانوا جميعاً ديمورجيين أو آدميون صالحين خلدتهم أعمال الخير والمنافع التى أسدوها للناس ثم بعد حياتهم جعلوا من أرواحهم نجوماً مخلدة فى السماء ترتبط بالديميورج الأكبر أى الشمس ذى الأب الخفى الغير معروف وهى مركز الحركة فى مسيرة الأفلاك السماوية والتى يرتبط بها العالم كله علويه فى السماء وسفليه فى الأرض بدورانها الموسمية التى تأتى بتغير الفصول والمحصولات الزراعية الغذائية والتى أول المصريون اختلاف ألوان أبيس من أبيض وأسود باختلاف هذه المحصولات الزراعية المتنوعة والتى ترمز اليها ألوان سيد الحيوانات المقدسة وملكها رمز القوة الخارقة الخلاقة والمخصب الفحل جنسياً وجسمانياً عملاً

فى الأرض على حد قول المؤلفين القدامى على لسان الكهنة ومن عقائد المصريين التقليدية فأنظر أيضاً كيف نشأت فكرة حاكم واحد Monarchos فى السماء والأرض ثم كيف يفسر بروفيروس Prophyros السكندرى تمثيل مثرا على احدى لوحاته فيقول أن وضع مثرا فى تكوين هذه اللوحة أمام برج الكبش. ووجهه متجهاً إلى الشرق أى إلى برج العذراء افورديت (فينوس) بهذا الموقف نجد أن الكوتيه Coutés أى مثرا رافع الشعلة يكون على يمين مثرا ذابح الثور وكما يذكر توركان أن مجموعة الأبراج تبدأ دائماً ببرج الكبش Walbrook . الذى يمثل دائماً أما على يمين مثرا أو أن يكون على شماله وفى بعض اللوحات نجد أن مثرا يدخل فعلاً دائرة الأبراج وعلى لوحة أخرى (١٧٢ / ٥٨) . كما تذكر النصوص الخاصة بجحر الجنببات (١٧٢ / ٨٥) تذكر أن مثرا ذابح الثور على لوحة Walbrook الشهيرة فى وضع منحرف قليلاً حتى ليبدو أنه يدير ظهره لبرج الكبش يعنى أنه يبدو كما لو كان يتقدم مجموعة الأبراج على خط الاعتدال الربيعى وكما يقول بروفيروس كما يذكر لنا توركان حسب نموذجه التخطيطى أن ذلك عندما ينحنى شريط الأبراج الدائرى مع ميل سمت الشمس وحيث يكون مثرا متجهاً إلى الشرق أى بعبارة أخرى مواجهاً لبرج العذراء على مستوى خط الاستواء بهذا الشكل يكون الكوتيه Cautés أى مثرا رافع الشعلة على يمين ذابح الثور (فى موقعه المفترض أمام برج الكبش) يرمز إلى صعود وارتفاع الشمس إلى نصف الكرة الأعلى فى القبة السماوية وإذن يكون الكوتوباتيه أى مثرا الذى ينزل الشعلة رمزاً لهبوط الشمس فأنظر كيف يرى فلاسفة الغرب فى هذه الديانة السماوية الشمسية الفارسية وهى بنفس الوضع المصرى الدينى أخذت عنه وسارت على نحوه . إذن فذبح الثور المثروى يمثل الصلة بين مولد الربيع والبعث الجديد للدنيا وتجدد الحياة الجديدة فى فترة الاعتدال الربيعى فيتجدد العالم فى آخر الوقت أى فى آخر الشتاء وفى الفلك يولد العالم و يبعث جديداً عندما تدخل الشمس برج الكبش كما ورد فى الذكر المازدوى . وذلك مطابقاً لنظرة المصريين تمام المطابقة إلى الضحية الكبرى أو أوزريس ممثلاً فى فصول زراعة القمح وأبيس عندما يضحى به فى مواسم معينة وارتباط ذلك كله بدورة الشمس وما تتطور عنها الفصول الزراعية بمراسمها وفى تطورات القمر المحددة بفترة حياة العجل المسموح له أن يعيشها ولا يتعداها حسب أحكام الكهنة . فدور مثرا هو بعث الأرواح لتتناسخ ولتدخل فى دائرة وجود العالم الحيوى المتحرك وهذا هو دور الشمس عند قدماء المصريين فعقيدة المصريين فى وجود الإلٰه الخفى Amoun كما ورد فى بلوتارخوس على لسان الكهنة المصريين جعل من الشمس عندهم إلٰهاً ثانياً أى ديميورجاً كمثرا الإلٰه الثانى أو الشمس فى الفكر اليونانى . ثم أن دور مثرا فى الفلك يتفق مع دوره كذابح الثور مما يدل على أن العالم كان موجودا قبل التضحية بالثور فالعالم خلق ليكون قطعة أو جزءاً من أهريمان (الشر) كما يذكر توركان ولذا فبعث الأرواح للتناسخ فى دائرة وجود العالم كان ضروريًا لتشارك فى المعركة ضد العدو وهذا هو الصراع ضد

الشر والمساهمة فى المحافظة على هارمونية العالم وترابطه فيجب اذن أن نمعن النظر فى انتباه شديد لفهم مرامى العبادات القديمة وأقدمها وأولها العبادة المصرية فيما انطوت عليه من أسرار وفلسفة درسها فلاسفة اليونان فى مصر ومعابدها ودأبوا على دراسة وبحث تلك الفلسفة الدينية الشرقية القديمة التى دخلت فى عقيدتهم مع ما حملته اليهم تيارات الفكر الشرقى وخاصة من مصر فتأثرت أفكارهم بها وضمنوها فلسفتهم الغربية حتى اعترف بعض فلاسفة الغرب بأن الديانات المتأخرة يونانية ورومانية ليست إلا تكملة واستمراراً للديانة المصرية القديمة (١٢) فى فلسفتهم ونظرياتهم البيثاجورية والأفلاطونية القديمة والوسطى والحديثة وكان هذا الدأب على دراسة فلسفة الديانة المصرية خاصة فى أحضان الدراسات الفلسفية المتتالية حتى عصر الديانات السماوية سبباً فى تغلغل هذه الأفكار والنظريات المصرية فيها .




ثـــوركريــــت

أما الثور فى كريت فكان شمسياً أى يتبع الشمس فى دائرتها كما كان فى مصر وقد ظهر على نقود هذه الجزيرة متحلياً بأشعة الشمس بدلاً من قرص الشمس فى مصر على رأسه فهو اذن معبود يرمز للخصوبة وليس إلـهاً للعاصفة المدمرة وأن ظن بعض العلماء أن له صلة بالزلزال الذى تقع فى منطقته جزيرة كريت وكان الحكام فى كريت يلقبون بلقب مينوس Minos كما يحمل الفراعنة فى مصر لقب فرعون وقد كان مينوس أى الحاكم هو عماد عبادة الثور كالفرعون إلـهاً دينياً وحاكماً دنيوياً .

ولشدة تأصل الثور فى كريت نشأت عنه بعض القصص الخرافية الدينية المتعلقة به والتى كان منشئوها اليونان أنفسهم تجاراً أو مسافرين بالنسبة لما رأوه من تغلغل مناسك وطقوس عبادة الثور فى الجزيرة فكانت هذه الخرافات تتعلق مثلاً بقصة يوروبا Europeu الفتاة اليونانية التى أغراها الإلـه زيوس فأخذها عبر البحار وهو فى شكل الثور يحملها على ظهره وفى كريت أولدها مينوس Minos ـ الأول بن زيوس الذى أصبح فيما بعد عجل الجزيرة .

ثم ضمن هذه الخرافات قصة المينوتور أى ثور مينوس الذى ولدته Posiphae زوجة مينوس من عجل فتن الملكة وتدلهت فى حبه كما تقول الخرافة فاختبأت داخل هيكل بقرة من الخشب صنعها رئيس الصناع بالجزيرة (دايدالوس) فأتى اليها العجل وأولدها المينوتوروس وقد وضع مينوس هذا العجل الآدمى الرأس فى اللابيرانت أى المتاهة بمدينة كنوسوس وفى هذا اللابيرانت كان يقدم لهذا العجل أضاحى أو ضحايا آدمية من الاثينيين كل مدة معينة (ربما كل عشرة سنين) . ثم أنه نشأ عن صلة زوجة الحاكم باسيفاى بالعجل وجود طائفة من العاهرات تتصلن بعبادة العجل يسمون Dikiriades لا يرضين أن يقربهن إلا العجل دون الرجال وربما كان العجل هنا هم العابدون فى طقوسهم يتخفون فى هيئة العجول ؟ ولذا فقد

أجمع العلماء على أن عبادة الخصب بطقوسها ورقصاتها أهم العبادات عند الكرتيين ومن الطبيعى أن يكونوا بموقع جز يرتهم وسطاً بين مصر واليونان قد تأثروا بعبادة الثور فى مصر فعلى مر الزمن حتى العصور المتأخرة كان الكر يتيون يهتمون بعبادة از يس وأوز ير يس فى معابد أقيمت بجز يرتهم وفى العصر اليونانى كان معظم المختصين من كهنة رسميين وغير رسميين فى تفسير الأحلام هم الكر يتيون وقد أوردنا فيما سبق رجل كر يتى يعلن عن نفسه أنه مختص بتفسير الأحلام على لوحة وجدها الأستاذ مر يت فى صقارة و يقول النص المكتوب على هذه اللوحة أنه يفسر الأحلام (هبة من الله وأن هذا المفسر من كر يت) أى أنه يستغل نسبته إلى كر يت دليلاً على قدرته الموهوبة له فى تفسير الأحلام وتحت هذا النص عجل أبيس أمامه مذبح .

وقد صمم قصر مينوس كله أو جزء منه فى مدينة كنوسوس على أساس الحركة الشمسية اليومية والسنو ية إذ كان مينوس والشمس يعبدان كثور ين فكان طابع قصر الملك دينياً ولذا كان القصر المعبد هذا تصميماً وهيكلاً معقداً تماماً لمشابهته مسار الشمس فى دورتها فى السماء فكانت له خبايا كبناء مقدس وترتيب خاص فكان هذا القصر الملكى هو ذلك الذى يعرف باللابيرانثوس السيء السمعة فى الخرافات (١١٧/١٣٦) وقد لاحظ العلماء أن تصميم القصر الكامل كان محيراً ومر بكاً بالنسبة للزوار من الأجانب ومن هنا ظهرت نواة فكرة تصور اللا بيرانثوس وبما أنه هذا القصر المقدس كان مركز عبادة الثور الرئيسى فكان الملك أوما ينوب عنه يتخفى فى شكل الثور إلٰه كر يت الأكبر و يقوم بالرقصات الطقسية فى هذا القصر المتاهة (اللابيرانثوس) وفى بعض الاحتفالات الخاصة بالثور يقوم الملك بالاجتماع بالملكة وهما فى شكل ثور و بقرة وكانوا ير بطون فى رقصاتهم بين الشمس والثور إما بالتوقيت الحركى للشمس فى الفصول الأربع تماماً كما يفعل المصر يون فى الاحتفالات بعيد الحقل مع الثور الأبيض أى ثور الإلٰه مين Min الخصب (١١٨/١٣٦) .

وفى هذا الاحتفال يتزاوج الفرعون مع الملكة وقد كان ذلك أيضاً رمزاً لخصوبة الأرض والمخلوقات جميعاً مرتبطاً كل ذلك بموعد فصول تطور الشمس و يظهر ذلك بوضوح أثر مصر على عبادات البحر الأبيض ولا سيا فى كر يت القر يبة من مصر والمتصلة بها فكان الغرض من هذه العبادات والطقوس الشمسية فى كر يت أن تثمر الأرض وتخصب الحيوانات كما بينا فى فلسفة عبادة مثرا الثور وطقوسها المرتبطة بالحركة الشمسية .

ففى كر يت أن تزىّ الرجل إذا تخفى كالثور بجلده وقرونه أصبح فى نظر الآخر ين ثوراً تماماً كما كان أيضاً عند اليونانيين القدامى ولذا فقد كانت الأقنعة جزءاً هاماً لازماً فى الأداء لازماً فى الأداء المسرحى فى التياترو اليونانى القديم وكان ذلك ظاهر أيضاً فى تخفى الكورس الأول المسرحى فى الاركسترا بزى الجدى والحصان لفر يق الانشاد فى تياترو ديونيسوس فى أثينا وفى

غيره فى البلدان الأخرى فى تمثيل هذه الخرافات الدينية القديمة . ولذا فالتزاوج بين مينوس والملكة مرسميا كان فى كريت كما كان فى مصر فى احتفالات الربيع هذه رمزاً لتجدد الحياة فى الجزيرة وأرضها والناس والمخلوقات التى تعيش عليها كثور مثرا .

فأنظر كيف كانت هذه الاحتفالات الطقسية ترتبط بالربيع أو الاخصاب والخصوبة والازدهار والتجدد وقد ذكرنا فيما سبق كيف كان مثرا ذابح الثوريقوم بذبح الثور فى الاعتدال الربيعى فيخصب العالم كله و يدفع الأرواح و يثرها إلى التناسخ والتكوين الخلقى فاذا هو بعث جديد من آخر آيام الشتاء وفى كريت تجد ذلك مجسماً فى رمز الثور، فى مصر وكريت ، وارتباط ذلك فى الديانات الشمسية بفصول تطور الشمس الزراعى ثم تجسيد البعث والتناسخ وتجدد الحياة للمخلوقات كلها انسانا وحيوانا كل هذا يرمز إليه بتزاوج مينوس أى الملك بالملكة كما يفعل الفرعون والملكة فى مصر فى عيد الحقول تزاوجاً طقسياً مرسمياً فى مصر كما يتزوج النيل الأرض أى أوزيريس وايزيس فى موسم الفيضان فتخضر الأرض وتنبت بعد ذلك ثمرات فيها حياة للأنفس و بعث جديد وفى تزاوج مينوس والملكة فى كريت متخفيان بشكل ثور و بقرة فى طقوس عبادة الثور حيث تقوم الاحتفالات بمصارعة الثور فيما يشبه أسلوب مثرا فى مصارعة ثوره بما يتفق وحركة الشمس فى الأبراج فى الربيع باحتفالات مصارعة الثور أى مراسم خصوبة الثور الطقسية التى تقام فى كل ربيع وهذا هو توقيت دخول الشمس برج الكبش فى الطقوس الفارسية التى يذبح فيه مثرا ثوره تماماً .

فبهذه الطقوس الشمسية الشبيهة بالمثروية الموسمية كل ربيع يقيم الكريتيون أيضاً حلبة مصارعة الثور أى Corrida ، كما يفسر ذلك كوتراد (١٣٦ / ١١٩) ، وقد صور الفن الكريتى كل هذه الصور الطقسية من أول اصطياد الثور ومصارعته ثم قتله تماماً كما يحدث فى الطقوس المثروية الفارسية التى يذبح فيها مثرا ثوره إذ يبدأ مثرا بصيد الثور أو سرقته Klopé من حظيرته ثم ركوبه حتى الكهف المثروى ثم مصارعته كما يصور لنا ذلك التمثال البديع المقام فى حديقة التويليرى Tuilirie بباريس البطل ثيسيوس الأثينى بأسلوب يونانى حى رائع عارى مجرداً من ثيابه ولكن بتمثيل حركة ووضع مثرا الفارسى ذابح الثور وهذا يوضح ما كان لعبادة مثرا فى الغرب القديم من أثر ظاهر فى الامتزاج بالفن اليونانى إذ نلاحظ أن الثور هنا فى هذا التمثال يذبحه ثيسيوس بأسلوب مثرا تماما المصور على لوحات مثرا الفارسية الرومانية بالمتحف المصرى .

قيد الفن الكريتى اليونانى أوجه هذا الصراع المقدس فى مصارعة الثور وهذا شاهد على تشابه الفكرة فى عبادة الثور فى مصر وفارس واليونان وكريت وفى روما وأسبانيا أى فى حوض البحر المتوسط طقوس دينية واحدة أساسها قوة الثور وخصوبته وفى كريت وفارس نجد أن هذه المصارعة أو التضحية بالثور يأتى فى الربيع فصل الخصوبة والازدهار وقد سجلت الآثار التى

وجدت فى كريت وسجلت على التحف الآثرية كما نجده على سبيل المثال مصورا على كوبين ذهبيتين من كريت وجدتا فى بلدة فى اليونان تسجلان صيد الثور فى البداية يربط شبكة من الحبال فى شجرتى زيتون ومطاردة المطاردين شبابا مع شابات للثيران نحو هذا الشرك فإذا وقعت الفريسة اقتادوها الى حلبة المصارعة تماماً كما نجده مع الوضع المثروى فى اقتياد الثور إلى مصيره وعلى كوب آخر وجدت فى غرفة العرش فى قصر مينوس بمدينة كنوسوس ثلاثة مناظر تمثل صيد الثور بوسيلة بقرة مستأنسة لاغراء الثور الوحشى فيقترب منها متودداً إليها فإذا اعتلاها ربطوا رجليه الخلفيتين فإذا به أسير كذلك زينت جدران القصر الملكى بهذه المناظر لاصطياد الثور فى فن رائع فائق الجمال تشكيلاً وألواناً مما كشف عنه أكبر الآثريين الأستاذ (Arthur Evans) الذى قام بالكشف عن قصر مينوس فى كنوسوس عاصمة كريت كل ذلك بتفصيل يفوق كل شبيه له فى بلدان عبادة الثور الأخرى يمكن أن ترى من خلاله صورة تمثل الثور الوحشى فى اصطياده ومصارعته فى جميع أنحاء العالم القديم فى كريت وفارس وأسبانيا أما فى مصر فقد كان الثور وديعاً أليفاً عبادته تتوقف على لونه ورموزه وذبحه طقسياً يشترط فيه أن يكون لونه أحمر لا شية فيه إنه عجل مستأنس ذلول تربى على أرض خصبة وكان هو منذ الاستقرار الأول بعد الترحال عاملاً فى الأرض وخادماً لها يخصبها كخصبه الجنسى بقوته وعضلاته ودمه كما هو الآن فى مصر فيما ذكرنا فان شرد واحد من قطعان الأبقار فى الأحراش الواسعة فى شمال الدلتا مثل بلدة كسيوس (بلدة سخا الآن) فلا شك أن ذلك كان نادراً فطبيعة أرض مصر تغاير البلدان الأخرى الجبلية التضاريس القليلة الماء والأرض الزراعية .

كانت تقام أعياد مصارعة الثور فى كريت فى الربيع بجوار القصر الملكى المقدس فى كنوسوس ويحضرها العابدون للثور الإلـه أى الملك تكريماً له وفى نفس الوقت تكريماً لكل الثيران التى يتقمصها الملك وهكذا فهذه الأعياد الطقسية لعبادة الثور عند الكريتيين هى أعياد للربيع وترجمة لما كان يقوم به مثرا فى السماء وعلى الأرض عندما يتمثل وهو يذبح الثور وارتباط ذلك بتطور الشمس ففى كريت الملك ثور كما كان الفرعون فى مصر والمالكة والشخصيات البارزة والأقوياء من الناس ثيراناً أولاد ثيران فكل ذى قوة ثور فى حدود قدرته وكل ذى سلطان كان أو عامل ثور كما كان مثرا ثور وفى كريت كانت الثيران صورة للملك مينوس فى خصاله من شدة وقوة اخصاب وفحولة وانتاج كالشمس فى مراحل تطورها فى السماء وتقليد ذلك فى مراحل صيد الثور وصراعه حتى نهايته المخصبة باعثة الحياة ومحيية الأرض ومجددة الخلق بتناسخ الأرواح فى فصل الربيع .

ولقد كان فى عقيدة البدائيين أن سر قوة الثور وجبروته تتركز فى قرنيه فاتخذوا من قرن العجل رمزاً لقوته وخصوبته ونشأ عن ذلك قرن البركة Evans وقد وجدت هذه القرون المقدسة فى الأماكن المقدسة وفى المقابر ولمفعولها السحرى للقوة والشجاعة كان المحاربون

يلبسون فوق رؤوسهم خوذات عليها قرنى الثور ولأنها رمز للثور فكانت رمزاً أيضاً للوفرة والكثرة وتمثل وقد فاضت منها الفواكه والخيرات الزراعية وكان الاعتقاد أنه إذا وضع أى شىء بين قرنى الثور يشتد و يقوى إلى أقصى حد وفى حلبة المصارعة يقوم المصارعون الكر يتيون بحركات مرسمية على قرون الثور كالأكرو بات القصد منها أن تحل القوة السحر ية الكامنة فى قرون الثور بملامستها لنفع البشر .

وكان لاصرار الكر يتيين على الا تصاف بالفحولة يظهر فى العجول التى تمثل بعضو تناسلها منتصباً كأوز ير يس ـ Ithyphallia وقد كانت أهم الأعمال الموسمية فى كر يت هى ذبح الثور وهذا هو الطر يق الذى يحصل منه العابدون على قوة العجل وحيو يته التى تنطلق بالتضحية به .

و يورد كونراد نقطة هامة مميزة للتفرقة بين الأضحية الدينية الطقسية و بين الألعاب الر ياضية فى حلبة المصارعة فيقول إن قتل الثور بأن يلوى المصارع رقبته فيقتله مباح للمصارع أما إطلاق الروح المقدسة المانا Mana ـ فلا يأتى إلا عن طر يق الطقوس الدينية ففى الألعاب أساس قوة العجل هى قرنيه أما قتل الجسم ففى مصر أقدم بلد قدس العجل وكان فيها سيد الحيوانات المقدسة فهو أعرق وأقدم خادم للأرض منذ عرف الانسان الأول الاستقرار وفى الشرق (الأناضول) وفى سومر وعند الساميين والحيثيين أقطار الشرق الأوسط وفى فارس أيضاً إذا مات الثور عاش الانسان فالأضحية سبيل للحياة الأخرى (الخشاب ١٩٧٢ J.E.A.) وإذا انتهت بالموت كل تجسيدات الثور الإله تنبعث فى الدنيا حياة جديدة فكانت التضحية بالعجل فى كر يت نعمة تعم الناس والأرض فبها تنطلق الروح المقدسة المانا Mana من العجل لحظة قتله فتنفع الناس جميعاً وهذا تصو ير بديع لحلول الشمس فى برج الثور وحلول فصل الر بيع وعلاوة على ذلك فان أكل لحم الثور نعمة وفضل ما بعده فضل لأن هذا هو جسم الإله (١٣٦ / ١٢٤) وقد كان ذلك واضحاً حتى عند يور يبيدس فى رواية (الكر يتيون) يجرى القول على لسان الكورس من عبدة العجل و يصف تحولهم الدينى إلى هذه العبادة و يوجهون هذه الشهادة إلى مينوس قائلين « أنهم قد رفعوا إلى درجة القداسة لما أن شاركوا فى احتفالات ولائم اللحم النيىء » (١٣٢ ص ١٢٤) وهذا يشبه تماماً ما يحدث فى حفلات التعميد المثرو ية كما ذكرنا . يوضح ذلك كله أن الأضاحى والانخاب والولائم كانت تقام لمحاولة أن تندمج جسدياً قوة واخصاب العجل فى العابدين له وفى الأرض وفى الحيوان بأرض كر يت وربما كانت التضحية بالعجل اثراً باقياً من تقليد مرسمى لقتل الفرعون فى مصر قديماً أو الضحية الكبرى ومينوس فى كر يت وربما يكون ذلك محتملاً فالعجل فى مصر وفى فارس وفى كر يت يعتبر الضحية الكبرى كما كان أوز ير يس ضحية كبرى وفدواً عظيماً ينال فيه الناس أمناً غذائياً وقد بقى للعالم من هذا التراث الدينى أثر فنى عظيم رائع كهذين الكأسين الذهبيتين

اللذين وجدا فى Paphio باسبارطه و يعتبران من أرقى الصناعات المعدنية القديمة ثم ما وجد من مناظر محفورة على تابوت من كنوسوس تمثل عجلاً قيدت قدماه وقد وضع على مذبح وذبح والدم يسيل من رقبته في اناء Setula على الأرض فى حضور كاهنات يلعبن بالمزمار و يرقصن وهذه هى طقوس ذبح الثور الضحية المقدسة الكبرى على مذبح فى احتفال دينى تنطلق به روحه وتحيي الأرض وتبعث الروح فى الحياة كما كان فى مصر أيضاً إذ يحمل الثور جثة على ظهره فى طريقها إلى حياة جديدة ثم كأس بديع يحمل منظر الثور كضحية كبرى يطعنه كاهن بخنجر فى رقبته فى مناسبة دينية بعيداً عن حلبة المصارعة ضحية مقدسة ثم رأس عجل على كأس للانخاب من حجر الستياتيت . Stealita من كنوسوس أيضاً وقد طعمت الرأس بحجر الكريستال وأصداف وحجر الدم وعيونها من حجر الكريستال وقد عثر عليها مع كثير من قرابين من البلط ذات الحدين .

وأما فى الفن الحديث فنظرة واحدة على تمثال ثيسيوس قاتل المينوتور القائم فى حديقة التويليرى بباريس تعطينا فكرة عن تأصل التقليد المتروى فى الفن اليونانى والحديث عن مصارعة الثور فهذا التمثال صورة صادقة للوحات المثرايا التى تمثل مثرا ذابح الثور الفارسى واختلاط عبادته فى أوروبا قديماً بالفن اليونانى الممثل فى ثيسيوس Theseus فى صراعه وقتله المينوتور وانعكاس ذلك على الفن الحديث المعاصر .

فان أردنا نموذجاً قديماً ترجمه الحاضر فى أسلوب مصارعة الثيران الحديث فى أسبانيا بطقوسها المديمة من ألعاب ورياضة وكفاءة ملؤها غرور الفتوة وشجاعة الاعتداد بالنفس عند المصارع فى منازلته للثور فى حلبة المصارعة ثم اباحة قتله أى النهاية السعيدة للبشر والحيوانات والأرض قديماً كما كان تقليد مثرا فى فارس وتقاليد اليونان فى كريت ثم السماح بممارسة هذه التقاليد فى أوروبا قديماً مع انتشار الديانة المصرية التى حملت للعالم الغربى القديم فكرة البعث بعد الموت **وأهم معالم عناصر هذه الديانة وأعرقها دينياً بمغزاها السياسى القديم رمز الحق الإلهى أى الثور أبيس وامتزاج كل هذه العبادات على أرض الغرب القديم وتقاربها واندماجها بتجمعها هناك بواسطة هؤلاء التجار البحريون القدامى من عبدة الثور أيضاً وهم الفنيقيون الذين كان لهم فضل انشاء صلة تعارف بين عبدة الثور فى شرق وغرب حوض البحر المتوسط من مصريين وساميين و يونانيين وأسبانيين . ذلك النموذج القديم الذى ظلت ممارسة طقوسه سارية بيننا حتى الآن هو ممارسة عبادة العجل فى كريت .**

والواقع أن الثور لم يكن غريباً على أوروبا ولا أسبانيا خاصة فقد كانت الأبقار هناك دائماً فى مراعيها وجبالها وأراضيها الزراعية بخيراتها ونفعها للناس و بألفتها المعروفة وحب الناس لها وشغفهم بمصارعتها حتى أن هيرمان (١٧٣) يذكر ما كان يوجه من لوم بسبب هواية عائلة آل بورجيا الأسبانية لتربية الثيران و باحتفالات مصارعتها لا لشيء إلا لصلة هذه الثيران بالأصل

الـوثـنـى الـعـر يـق فى عـبـاده ابـيـس حـاصة الثور المصرى وكان المقصود باللوم هو بالذات البابا الاسكندر السادس آل بورجيا من عائلة بورجيا الأسبانية في روما الذى أصر على هوايته هذه وهو الـشـخصية المسيحية الأولى فى منصبه الرفيع فكان اللوم الخوف من أن تشوب تصرفاته المسيحية ولـو من بعيد شائبة وثنية تماماً كما حرص مترجمو التوراة على حذف كلمة الثور التى تمت للوثنية قبل ذلك .

وأيـضـاً فى عصرنا هذا وشبيه بالكور يدا فى أسبانيا نرى هذه المخاطرات والفروسية التى يقوم بهـا رعـاة الـبـقـر فى أمـر يـكـا Cow-Boys . بمـا يشـبه الألعاب التى كان يقوم بها الكر يتيون فى حلبة مصارعة الثور من ركوب الثيران الوحشية التى لم تستأنس بعد والتى يعدونها أيـضـاً للتنمية الحيوانية والغذاء كان هذا كله دلالات عما أخذ به الغرب فى العصر الرومانى من أسـالـيـب الـديـانـات الشرقية واليونانية وقد كان اثر العبادات المصر ية بارزاً وخاصة فيما يتصل بـعـجـل أبـيـس الـمـصـرى الذى كان الأباطرة الرومان يتشبهون به أسوة بالفراعنة و يعتبرونه رمزاً للـحـكـم الإلـٰهى فكان ذلك واضحاً فى عقول الناس وخاصة ذوى الثقافة منهم فأنظر قول الشاعر فى فـتـرة تـنـصـيـب الكسندر السادس آل بورجيا الأسبانى واقامة احتفالات مصارعة الثيران فى أثـنـاء هـذه الـفـتـرة يـقـول الـشـاعر عن هذه الأعياد أنها احتفالات بظهور عجل أبيس جديد لا لـتـنصيب البـاب (١٣٦ / ١٧٤) كما كانت تقام الاحتفالات والأفراح عند ظهور عجيل جديد تـنـطـبـق عـلـيه شروط وعلامات أبيس الأول بعد موته وانهاء مظاهر الحداد عليه وقد انتشرت فى روما أثـنـاء الاحـتـفـالات بتنصيب البابا شارات له تحمل صورة العجل كما كانت تحمل النقود الـرومـانـيـة الـرسمية فى العصر الوثنى صوراً لأبيس ابتهاجاً واحتفالاً بظهور عجل جديد بدلاً من الـثـور الـذى نـفـق وأيضاً للاحتفال بذكرى هذه المناسبة وكان هذا القول الذى نطق به الشاعر تـعـبـيراً عن الشعور العام المسيحى فى القرن الخامس عشر الميلادى امعاناً فى معارضة هواية البابا والـسـمـاح بإقامة مبار يات مصارعة الثيران تكريماً لمناسبة تنصيبه هو بابا فى روما وحتى فى الفن فـقـد سـجـلـوا اعـجـابـهـم وحبهم وتقديسهم بعجل أبيس بأن مثلوا مقصورة أبيس فى فن الركوكو الـعـظيم بهيئة مذبح مما يدل على مصر ية العجل وعبادته قديماً فكانت هذه التقاليد القديمة تشكل عـائـقـاً لمزاولة مصارعة الثيران بعد المسيحية إلا أن الأباطرة والبابوات والشعوب أقبلت على ذلك رغـم مـعـارضة المسيحية ثم أنه فى وقت البابا الكسندر السادس كانت تلك التقاليد قد خلت من أى دلالـة أو سـمـة ديـنـيـة ولكن هذا الشعور رغم ذلك يدل على تأصل عبادة العجل عندهم فى الـوثـنـيـة قديماً فانبعثت تلك الذكر يات المخالفة للدين مع انتشار حلبات مصارعة العجل إلا أنها أصبحت بعد ذلك فى أسبانيا تقاليداً تجرى فى دماء الشعب فصارت احتفالات شعبية لا سلطان لـلـحـكـام عليها دينياً وزاد فى انتشار الكور يدا Corrida de toros أى مصارعة الـشـيـران فى الـمـدرجـات الـغزو القوطى لهذه الأنحاء من الامبراطور ية وهم قوم حر بيون يفاخرون

بألعاب القوى والشجاعة حتى انتشرت وامتدت مصارعة الثيران إلى شمال أفريقيا فى المغرب الاسلامى أيضاً وهكذا تجردت مصارعة الثيران من هذه الوصمة الوثنية وأصبحت ألعاباً شعبية كما حدث للتياترو اليونانى قبل و بعد المسيحية حضارة منتشرة عند الشعوب ملوكاً وأفراداً وقد اتمحت تماماً فكرة الوثنية القديمة ونسى الناس ما كان من أصله وزالت مسحته الوثنية قبل المسيحية والاسلام رغم تشابه المصارعة قديماً وحديثاً وكان تمسك الأسبان بمصارعة الثيران كما يقول كونراد ناتجاً عن نزعتهم إلى رفض كل طغيان حتى إذا خالف الدين فكانت المصارعة بالنسبة لهم كما يقول كونراد (١٣٦ / ١٨٤) دراما رمزية ضد كل من يفرض عليهم أمراً وقد أصبح الميتادور Metador عندهم بطلاً قومياً وهذا رأى صائب فقديماً كما يرى دريوتون أن تمسك المصريين بعبادة الحيوان وأبيس خاصة كان عملاً قومياً ضد الفرس والأجانب وكان هذا ما يراه مؤيدو البابا الكسندر السادس فلا وثنية تتضمنها تلك الاحتفالات التى أحياها فى روما لمناسبة جلوسه على كرسى البابوية فالثور بالنسبة للأسبانيين شىء عظيم كما كان عند الأقدمين رمزاً أعظم للخصوبة فى الأرض والفحولة والمحافظة على النوع والتنمية الحيوانية فهو الأنفع الأول لحياة الانسان ووجوده هو الذى جعل الناس الأول يتجهون بأفكارهم إلى وجود قوة أكبر من الجميع فالفرق واضح فقديماً كان الثور إلـٰهاً يتمسح به الملوك واتخذوا من اسمه لقباً لهم يستمدون منه الحق الإلـٰهى ففرضوا عبادته على الناس وحديثاً كانت قوة الثور كما كان يعبد من أجلها قد زادت من اعجاب الانسان الحديث وتقديره لمن يصارعه و يتغلب عليه من الميتادور واعتباره بطلاً قوياً لا إلـٰهاً وفى هذا لا وثنية ولا مساس بالمسيحية بل فروسية انبهر بها الشعب الأسبانى لا عقيدة رغم مظهرها الدينى الشائع قديماً بل فروسية ضد حيوان مصيره أن يذبح يعد رمزاً لقوة هائلة ما بعدها قوة .

ثم أنه بعد اكتشاف العالم الجديد فى أمريكا انتشرت فيه هذه المصارعة غير منتمية الى دين وثنى أو أسطورة ما بل كانت شعبية خالصة كما انتشرت أيضاً فى العالم الاسلامى بشمال أفريقيا يقيمها الأغنياء فى أفراحهم وفى الموالد والمناسبات العامة الرسمية وتغنوا بالثور فى أشعارهم الغنائية تماماً كما كان فى أسبانيا يتغنون فيها بالثور وقوته وشجاعة المصارع فى أفريقيا وفروسيته كبطل مغوار كما فى الحروب وفى نفس الوقت كان يدلل جميع الناس نساء ورجالا العجل الوديع وتطلق عليه الفتيات أسماء التدليل حتى كن يعتقدن أن روح القديسين قد حلت به (كروح القديس ماركو) لما له من نفع و وداعة و بركة انتاجية فكر بدائى من شدة حبهم له كما كان القدماء يرون فى الثور روح أوزيريس الحية الذى هو النيل المخصب ولكن فرق بين الفكرتين كبير فهناك قديماً عبادة وهنا مجرد تدليل وتشبيه بريئين و يطلق الأسبانيون على مصارعة العجل (عيد العجل Festa Toros) دليل على أنها احتفالات شعبية لا دينية (١٣٢ ص ١٦٦) إلا أن معارضة هذا التقليد وما تركته من تراث كافر فى أفكار

الناس عند الفنيقيين والقرطاجنيين وكلهم كانوا من عبدة الثورة كما كان الكلتيون Celts أيضاً الذين اشتهروا بخوذاتهم التى تحمل قرون العجل وقد وجدت فصائل كثيرة من العجول الوحشية فى أسبانيا القديمة وقد كان ذلك مدعاة لتقديس الأسبانيين للعجل أسوة بمن حولهم أيضاً من عبدته ونتيجة لذلك أيضاً ما يروى عن استعمال الثيران هناك كاستعمال الفيلة عند الهنود أدوات حرب فعالة ففى القرن الثانى ق . م هزم الأسبانيون الموالون للرومان القائد القرطاجى هاملكار بيركا (٢٣٧ ق . م) بأن ساقوا ضده قطعاناً من الثيران الوحشية (١٣٦/١٦٣) ثم بعد ذلك بقليل استعمل ابنه هانيبال نفس الطريقة ضد القائد الرومانى فابيوس إذ أطلقت مؤخرة جيش هانيبال وكانت مؤلفة من قوات أسبانية ثيراناً متوحشة وقد ربطوا بين قرونها مشاعل زادت من توحشها فانهزمت القوات الرومانية وهكذا كانت الثيران بقوتها الخارقة وشجاعتها الغاضبة موضع اعجاب الأسبانيين وتقديسهم فهى حامية لهم من أعدائهم منتصرة لقدرتها على تدمير الأعداد ودفعهم عنهم .

هكذا نجد جذوراً لعبادة العجل وتقديسها لقوتها الحامية ونفعها العميم حتى فى الحرب جذور عبادة تبدو متأصلة عند الأسبان فى العصر الرومانى بطقوس أضاحى الكوريدا أى المصارعة تماماً كما عند الكريتيين فى سالف الوقت وعندما غير الرومان كلية حضارة الأسبان كانت الحضارات التى جلبوها معهم فيها الثور أحد معالم تلك الحضارات وكان تقديسه قائم كما كان عند الأسبانيين على القوة والخصوبة لإلـه الأسبان الأكبر الثور مع طقوس عبادة مثرا وثوره الضحية الكبرى ومع أبيس وسرابيس الذى اندمج فى إلـههم الأكبر جوبيتر وقد أنشأوا له معبداً فى مدينة Oleso على ساحل البحر الأبيض فى قرطاجنة مما يدل على شيوع عبادة أبيس المصرى الرومانى فى أسبانيا وقد كان أهم معبودات الأسبانيين مع معبودات الرومان هو جوبيتر سيد الخلق ومارس إلـه الحرب وربما كان دليل وجود هذين الإلـهين فى أسبانيا أنهما كانا رمزين لإلـههم قبل الرومان وهو الإلـه العجل القديم مما دعى أحد المتحمسين المسيحيين فى وصف مصارعة الثيران هناك أنها « بهجة جوبيتر الجهنمى » .

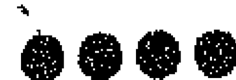
هذا هو الثور منذ ظهوره فى حياتنا فى مصر حتى وجوده بيننا الآن فى مصر والعالم أجمع أنه **أقوى وأشجع من الأسد وأنفع منه للبشر وكان رمزاً للشمس فى مصر ورمز الحق الإلـهى عند الملوك من الفراعنة قبله وظل كذلك حتى العصر المتأخر اليونانى الرومانى فاتخذه الملوك والأباطرة رمزاً لهم على حليهم من خواتم ملكية كما يفصل ذلك حفر للعجل غائر على فص خاتم مستطيل من العقيق ثمين فيما ذكره فيرماسيرن** Vermasseren **(١٧٥) ضمن مجموعة تماثيل أبيس اليونانية الرومانية إذ يقف أبيس معتداً بنفسه بادى القوة والجبروت وقرناه يشبهان شكل القيثارة (المارب) طويلان مثبتان على كرة صغيرة فوق رأسه تعلوها كرة كبيرة بين قرنيه تبدو أنها كرة شمسية وفوقها كرة ثالثة صغيرة ربما كانت تشير إلى القمر الذى ينتسب إليه العجل فى ولادته**

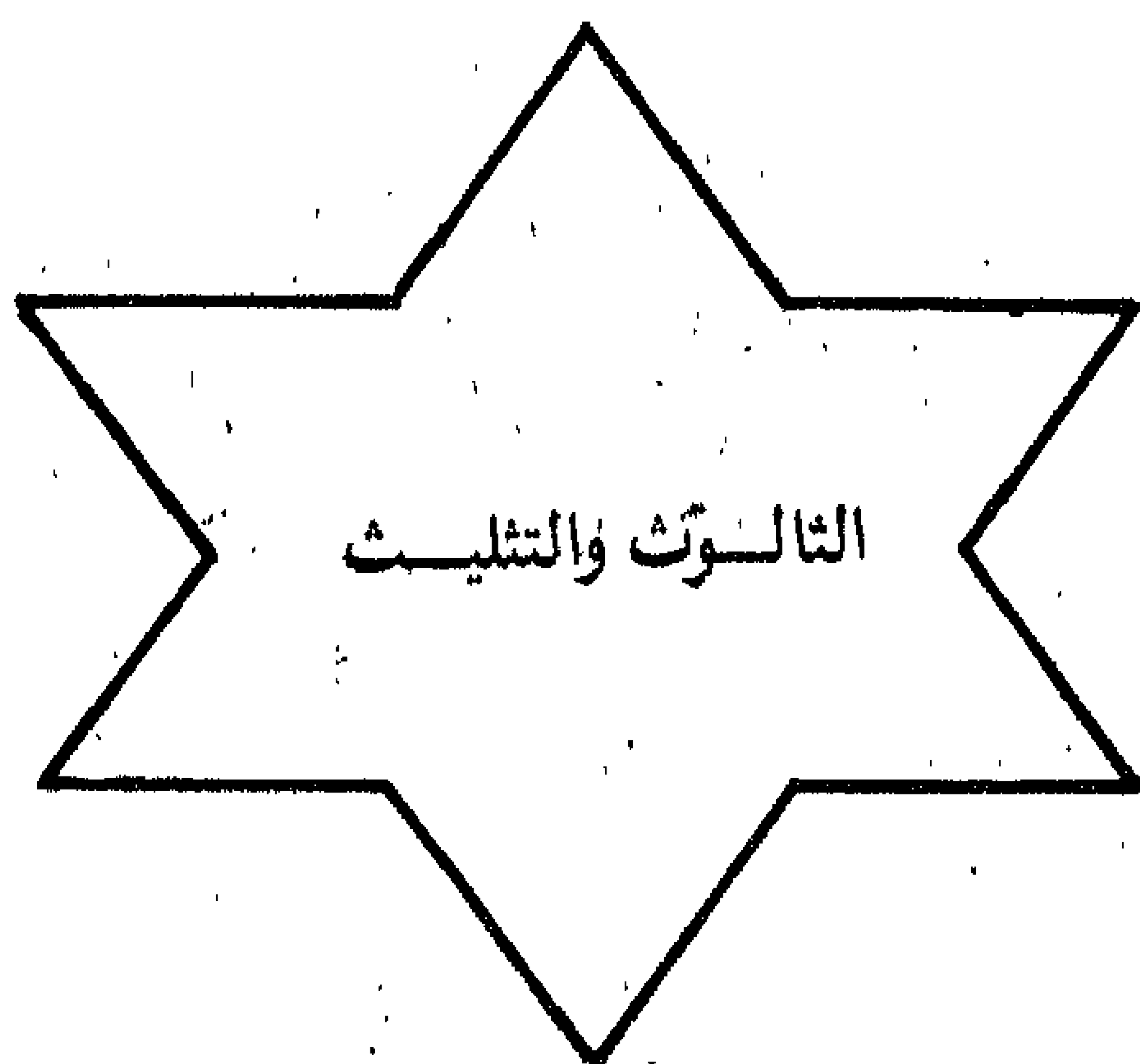
فالقمر هو الخصب الخصب حتى أطلقوا عليه (أم العالم) فيما يخبرنا بلوتارخوس فهو إذن ينتمي إلى الكوكبين النيرين أهم الكواكب فى السماء ويحمل على كل قرن حية واحدة للشمس والأخرى للقمر وأما الكرة الأولى تحت القرنين على رأس الثور فتشير إلى الكرة الأرضية وذلك كله يشير إلى مجال الحكم العالمي بالحق الإلٰهى ، أى الكوزموكراطى أو الحاكم العالمى بأمر الله فحكمه ثيوقراطى يشمل الكون أى الكوزموس كله ولذا نجده يحمل رمزى فرعون الحاكم على كتفه الأيسر أى الملب والمذبة رمزى عصا الراعى وسيادة القانون وهذا يشير إلى واجب الفرعون وأساس حكمه لشعبه كما يحملهما كل فرعون يمسكهما بيديه مستمسكاً بهما حريصاً عليهما رافعاً اياهما شعاراً لحكمه على كتفيه وصدره أنهما رمزا عدل الحكم الإلٰهى سيادة القانون والانسانية وعلى ظهر أبيس قرص الشمس المجنح رمز الهيمنة والانتماء إلى الكوزموجونى وتحت القرص المجنح على ظهره يظهر حورس الشمس المتجددة دليل السماء والحاكم على عرش أبيه أوزيريس من بعده . تشكيل لأبيس يونانى رومانى يمثل الحق الامبراطور الإلٰهى وهيمنته على الكوزموس بأكمله وظل الشمس على الأرض كما كان الفراعنة أى عدالة الشمس وشمس العدالة .

وإذا ما رأى انسان أسداً حاول الهرب منه أو قتله فخطره دائم وقائم مهما أحسنت اليه وفرصة النجاة منه غير محققة فإذا ما لاقاه فرد واستطاعت ساقاه حمله بما هو عليه من هلع فإلى أين المفر؟ فلقاؤه مرعب مخوف وخطره داهم حتى أن المصريين مثلوه ضمن الحيوانات الضارة بالانسان على لوحاتهم الوقائية من شره مع العقرب والثعبان والتمساح والغزال أما الثور فمثلوه على لوحات شفائية يلوذ به الناس طلباً للشفاء والحماية حتى إذا ما رأى الانسان ثوراً استبشر به خيراً كذلك الفص التميمة الذى يحمل الثور وفوقه دعاء (احمنا) باليونانية فيما ذكرنا لا يتوقع منه شراً ولا يستشعر منه خوفاً بل يرى فيه خيراً ويحس منه معروفاً وألفة وحناناً بالبشر بادى البشر باطمئنانه واستسلامه وهدوئه حتى اذا كان وحشيا استؤنس ، لا أنه أنبل من الأسد وأسلم وأطيب ، حياته نفع وخير للناس وبركة وموته رزق لهم وخصوبة لأرضهم ، التضحية به خير للفقير والغنى وكل ما يتخلف عنه فوائد للناس ومنافع مادية كحياته أما الأسد فان قتلته فلا تفوز منه إلا بدفع شر واقع وتظفر من ذلك بلقب شجاعة يستمد من اسمه ليس لك فضل بتحديك اياه فبالسهم أو البندقية تستطيع أن تقتله من بعيد أو من كمين النساء كما يفعل الرجال سواء بسواء فلا منازلة ولا مواجهة إلا من خيال الشعراء أما الثور فمنازلته شجاعة والتفوق عليه فروسية وبطولة فان قتل فذاك مصيره لنفع العباد فلن يبقى ثور دون أن يذبح بيد انسان وتلك سنة الحياة فأين من الثور الأسد؟ أو أى وحش ضار غيره ؟ إنه حيوان ذو قيمة وفضل فمن كثرت مواشيه قديماً أو حديثاً فهو ذو مال وكان الثور أداة تبادل كالذهب بيننا الآن ومن أقوال اليونان السائرة « مشى الثور على لسانه » إشارة إلى نقود الرشوة التى تسكت الخطيب عن الافصاح برأيه . وفى عصر التبادل بالنقود أطلق على خزائن الذهب « رأس المال » نسبة إلى الثور

الذى كان أغلى من الذهب قيمة عند البدائيين قبل أن يعرف الناس من المعادن فضة أو ذهباً إنه « رأس المال الغذائى العتيد » .

فما جدوى زيادة مليون أسد لنا ؟ إذن لانتشر الخوف وامتلأنا ذعراً من مهاجمة هذه الكواسر للأرواح من بشر وحيوان ولهرب الناس فراراً من خطر جوعها وجف الزرع بعد أن هجروا الأرض . أما إذا زيد هذا العدد عندنا ثيراناً إذن لاسعدتنا هذه الثروة ولنعمنا بهذا الرخاء واستمتعنا بالوفرة واليسر وعشنا رغداً وذلت أعناق القصابين .




الثالـوث والتثليـث

الثالوث الأزلي معتبرين مائة فى المائة نشأ أصلاً فى مصر من تأثير فلسفة البيئة المصرية الدينية التى طورها فلاسفة اليونان وكملت تكوينا كما فعلوا مع الديانة المصرية القديمة كلها فأصبحت ديانتهم تكملة للديانة المصرية كما استمرت فى الفلسفة المسيحية فمصر الفلاحين أقدم بلد زراعى تعيش على الأرض فى العالم كانت عناصر وجودها ثلاثة الماء أى النيل أى أوزيريس الإله المخصب ثم الأرض السوداء أى ازيس ثم الشىء الذى لا غنى عنه والأمل المرتقب والأمنية المرتجاة الذى يتحقق من هذين العنصرين الماء والأرض . وتتعلق بها حياة الناس أو موتهم إلا وهو الثمار أى النتاج النباتى أو حورس هذا هو الثالوث الطبيعى الذى يكون وحده وحدة متكاملة لا تنفصل ولا يغنى أى عنصر من عناصره الثلاثة عن الآخر فوحدانيته سرمدية لا تنحل ولا تتفرق ولا تتجزأ وهى حياة أو موت بالنسبة للمصريين تتمثل مجتمعة هى الحياة الأبدية وهى البعث والتجدد وفيها سر الوجود فانفراطها هلاك للناس وذلك الثالوث Tries أو Triade قد تطور عند الفلاسفة البيتاجوريين والأفالطة اليونانيين فى اليونان والاسكندرية . وقد عرفه اليونانيون بأن أروع أشكال الطبيعة الإلهية ما كان مكوناً من ثلاث من العقل ومن المادة وما ينشأ عنها أى الخلق أو العالم (كوزموس) كما يسميه اليونانيون (١٧٦) ومن هنا نشأت فكرة مثلث الخلق عند البيتاجوريين المحدثين أى عنصر التذكير وعنصر التأنيث ثم الخلق أو الكوزموس وهو المثلث القائم الزاوية العمود طوله ٣ (أوزيريس) والقاعدة طولها ٤ (ازيس) والوتر طوله ٥ (حورس) .

وكأنما أراد بلوتارخوس أيضاً أن يستخلص أصل هذه النظرية الخاصة بالثالوث المقدس عن العقيدة المصرية إذ يقول « يبدو أنهم أى المصريين قد شبهوا الطبيعة الكونية الخاصة بهذا المثلث الذى هو أروع المثلثات وأكثرها تقديساً عندهم » (١٧٧) والواقع أن ما افترضه بلوتارخوس

كان مصرياً ضميماً ورد فى أسانيد المصريين الأسطورية فيذكر بروجش (١٠٤) أن التقاليد فى مدينة أبيس كانت فيها عبادة أوزيريس فى ثالوث أو مثلث مكون من :

(١) أوزيريس يشكل عجل أبيس .

(٢) ازيس البقرة المقدسة مغذية ابنها حورس (Horsecha حورسخا) .

(٣) الطفل حورس أو أبيس الصغير أى العجيل .

هذا هو المثلث الإلهى الأزلى سر وجود مصر الذى بنى عليه المثلث اليونانى . وقد ورد أيضاً فى نصوص الواحات أن المفهوم فى تصور الناس جميعاً أن ازيس لم تكن وحدها بل أن زواجها من النيل فكرة مجازية متضمنة فى مفهوم الجميع وكما ورد فى كشوف المديريات فى مصر السفلى فى مدينة أموت Amut حاضرة المديرية الثالثة (الليبية) أن ازيس كانت تسمى حتحور الذهبية (أى نوبيت) وحورس الطفل كان هو العجيل الذى ولدته ازيس كما كان يمثل فى تصورات العصر اليونانى الرومانى وقبل ذلك على لوحات العصر الفرعونى بالمتحف المصرى ففى تصويره على لوحات ونصوص خواتم العصر الرومانى يذكر فيرماسيرين Vermaseren (ملاحظة ١٧١) الجزء الثانى ضمن مجموعته من تماثيل أبيس (فى خاتم) من الأونيكس نقش عليه العجيل واقفاً وقرص الشمس بين قرنيه وأمامه ازيس جالسة على عرش ترضعه أى العجيل (حورس) من ثديها (لوة ٢٠٨ رقم ٥٧٨) وهو (حورس) الذى ولدته أمه ازيس للعالم كما ورد فى نصوص حورس Horus Texten ولكن بصورة أخرى غير صورة ازيس الآدمية التى ترضع العجيل فى العصر المتأخر اليونانى الرومانى .

فحسب هذه النصوص يصف بروجش صورة العجيل الذى يقف بين أرجل أمه المضيئة من فوقه ويعقب على ذلك فيقول « أى بعبارة أخرى شمس الصباح اليومية وفى سير الشمس فى دورتها السنوية التى تشرق من الشرق يكون هو الشمس المبكرة » أى شمس باكورة الصباح (ملاحظة ١٠٣) وكما أوردنا يكون هذا أساس التصور الدنيوى الحسى (الأب والأم والابن) الثالوث الدنيوى وعلى غراره أى انعكاساً للثالوث أو المثلث الإلهى الذى وجد فى طيبه أيضاً مكوناً من آمون (زيوس اليونانى) الأب ثم من موت Mut (هيرا اليونانية) الأم ثم الابن خنسو (هرقل اليونانى) كقول بروجش ولكنه يعقب قائلاً « أنه يجب ألا يخامرنا سوء فهم من وجهة نظر فكرة عدم تجزء أو انفصال الوحدة الالهية من هؤلاء الأعضاء الذين تتكون منهم هذا المثلث فقد استبعدت كل فكرة أو تصور فيما يتصل بتكوين هذا الثالوث الإلهى كالبشر نهائياً الذى فيه تتمثل قوة الوحدانية الإلهية واضحة، ففى الخرافة يظهر رع بأنه رع موتيف Ra-mutu أى زوج أمه موت وموت هى أم أبيها وأخت ابنها » تماماً كما كان بالنسبة للآلهة حتحور فى دندرة فهى أحياناً تكون « أم أبيها إله النور رع » وان الابن خنسو

« والد أبيه » فالفصل فى التصور بين الثالوث الإلهى السماوى و بين المثلث البشرى الموازى له والذى هو انعكاس منه على الأرض ـ وهو ما نبه إليه بروجش أى هذا الثالوث الإلهى كما قدسه وحده المصريون فى عبادتهم هو ما يشهد به بلوتارخوس أنه المثلث المصرى السماوى . والأكثر تقديساً عند المصريين فيما أراد قوله من أن أفلاطون قد اقتبسه لشخصيات الزواج Gamelion Paragramma عنده إذ أن المصريين حسب قول بروجش قد فصلوا بين المثلثين تماماً فى التصور وكان استنباط أفلاطون له فى سياسته (ملاحظة ١٧٧) فى أمر التزاوج على غير ما تصوره المصريون بالنسبة لفصلهم مثلثهم الذى كانوا يقدسونه عن الثالوث الدنيوى كما قلنا .

الواقع أن ما افترضه بلوتارخوس كان صحيحاً فهذا المثلث الذى ليس له مثيل فى أهميته والرائع التكوين والتناسب إنما كان أساس حياة المصريين منذ الأزل وهو أيضاً من وجهة نظر رمزيته أساس الكون ودعامة استقراره فإذا نظرنا إلى هذا المثلث من وجهة نظر الكوزموجونية أى الكونية تجده يتكون من الأربعة عناصر الهامة المكونة للكون وهى الماء والأرض والشمس (النار) ممثلة فى حورس وكذلك الهواء الذى يمثله جورس أيضاً فى رمزه كصقر .

والعناصر المكونة لهذا المثلث لها عند أفلاطون مسميات خاصة فازيس عنده هى عنصر التأنيث فى طبيعة هذا العالم و يسميها المادة والأم والمرضع ومكان الخلق قاعدة الانتاج (١٧٨) .

كما أن أوزيريس عنده هو العقل و يسميه العقل والنموذج وهو الأب (١٧٩) .

أما ما ينتج عن كليها أى ازيس وأوزيريس فيسميه الخلق أى حورس (١٨٠) ثم أن المثلث الرائع أو كما يسميه البيتاجوريون المحدثون مثلث الخلق يتمثلونه بشكل مثلث قائم الزاوية طول العمود فيه ثلاث وحدات طولية ثم طول القاعدة أربع وحدات طولية وطول الوتر خمس وحدات ثم أن هذا الوتر إذا ربع يكون مربعه مساوياً لمربعى الضلعين الآخرين العمودى والقاعدة ومن الضرورى أن يمثل الضلع العمودى العنصر المذكر والقاعدة العنصر المؤنث والوتر يمثل انتاجهما معاً .

وعلى هذا طبعاً يكون أوزيريس بمثابة الأصل أى أنه هو الأب وأن ازيس بمثابة العنصر المستقبل (الأم) وحورس الانتاج المنجز .

ثم أن العدد (٣) هو العدد الفردى الأول (١٧٨) الكامل Teleios والعدد (٤) هو مربع العدد (٢) أول عدد زوجى مؤنث وأن العدد (٥) جزء منه يمثل الأب أى (٣) والآخر الأم أى العدد (٢) إذ أنه مجموع هذين العددين (٣) و (٢) . (١٨٣) .

ثم يفسر بلوتارخوس معنى العدد (٥) فيقول أن العدد (٥) معناه فى الأصل مشتق من فعل يعدّ باليونانية وذلك بالنسبة لعدد أصابع اليد الخمسة الوسيلة الأولى للعد عند البدائيين وأن هذا المربع أيضاً البالغ مساحته ٢٥ وحدة هو قدر سنين حياة عجل أبيس كما ذكرنا أى المدة التى حددها الكهنة ليعيشها العجل ولا يتخطاها وفى اعتقادى أن القول بأن عدد (٢٥) أى (٥ × ٥) أى ما يساوى حجم مربع وتر مثلث الخلق من المحتمل جداً أن يكون مرتبطاً بفترة حياة عجل أبيس وهو الذى تربطه بالقمر صلة قوية كما ذكرنا فيما سبق ويمكن أن يكون هذا الأجل بخمس وعشرين سنة فترة تعاور قمرى كما يرى الأستاذان هيرمان وكونراد فى تفسير العدد ٢٥ كمساحة لمربع الوتر فى هذا المثلث .

ثم يقول بلوتارخوس أن وتر المثلث إذا ربع كانت مساحته بقدر عدد حروف الهجاء المصرى ويعارض الأستاذ هوبفنر Hopfner ومعه أيضاً Otto أتو بسبب أن عدد حروف الكلام كما ذكرها الأستاذ جاردنر أربعة وعشرين حرفاً وأحسب أن مربع الوتر هذا أى الكون (كوزموس) ربما كان مساوياً لعدد حروف الهجاء فى عصر بلوتارخوس كما أخبره الكهنة المصريون بذلك أو ربما قصد بلوتارخوس أن المربع يسع حروف الهجاء الذى تتكون منه لغة الخلق فى مربع الخلق هذا بإضافة علامة أخرى كعنخ مثلاً تشير للحياة إن صح هذا الرأى فتكون دلالة على الخلق الكونى كله كما نجد مثلاً لذلك فى تأويل لنظرية الخلق فى أسرار القابلا (القابال) أى التعاليم اليهودية وفيها تعتبر حروف الكلام وعددها اثنين وعشرين حرفاً مع العشرة أعداد(١ــ ١٠) أى السفروت بمجموعها معاً تبلغ ٣٢ حرفاً وعدداً التى فسر بها معنى الاثنى وثلاثين طريقاً خفياً التى ذكرت فى كتاب Yetzirah فيما ذكرت من أن « الله الخالد رب الشعوب إله اسرائيل الأعظم .. قد خط اسمه وخلق عالمه عن طريق اثنين وثلاثين طريقاً خفياً » إذ يعتبر اليهود أن شريعتهم وتاريخهم كانوا من كلمات الله باعتبار أن هذا الذكر لا يعدو حروف الهجاء والسفروت العشرة أى (٣٢) ففسرت هذه الشعاب الخفية الاثنتان وثلاثون شعبة أنها حروف للهجاء مع الأعداد (١٨٤) .

كما ذكر فى كتاب الصهيونية العالمية أن اليهود كتبوا تاريخهم بيدهم ويكادوا أن يكونوا الوحيدين فى ذلك ووضعوه فى اطاره الانسانى حسب هواهم بل وضعوه فى اطار المقدسات والغيبيات وجعلوه كله وحياً من السماء نازلاً بإرادة الله وبألفاظ فمه بحيث يعلو فوق الجدل والنقاش » وسنرى أن ذلك كان على غرار ما كان يجرى فى مصر فيما ورد فى الكتابة المقدسة المصرية وهى التى كان المصريون يعتبرونها لغة الحق أى اللغة المقدسة .

ثم يذكر ايبشتين أن هذه الشعاب فى علم الكونيات قد فسرت ٤. وفى الكلام الاثنى وعشرين مع العشرة السفروت أى الكائنات غير المادية أى الشكل الذى بشكل المادة ويجسدها

و يذكر أن مصادر هذا قد وجدت فى مراجع من زرادشت وعن الكلدانيين (١٨٤/٢٨٨) وأن نواة تعليم كتاب Yetzirah قامت على أساس قول ورد فى كتاب ملحمات الآباء Epics of the Falhers أن الخلق قد تم بعشرة من النطق الإلهى وهذه المنطوقات العشرة قد فهمت فى سفر اليتز يراه بأنها تتضمن حروف الهجاء العبرية التى فى تكوينها قد أوجدت اللغة العبرية المقدسة لغة الخلق وأن الأعداد أى السفروت قد أمدت كل التكوينات بالعدد إلى ما لا نهاية .

هكذا يفسر بوضوح بلوتارخوس معنى الأعداد فى مثلث الخلق وأهميتها بالنسبة للفلسفات اليونانية التى عالجت نظرية الثالوث مما قد يكون لما ذكر من عدد حروف الكلام له مثيل عند اليهود فى معنى عدد حروف الهجاء أو لغتهم ومع الأعداد مرتبطة ببعضها كانت الأدوات التى خلق الله بها العالم بمظاهره و بكل تكوينات وجوده المختلفة التى لا حصر لها وهذا ما أحسبه قول الكهنة لبلوتارخوس من أن مربع الكون فى مثلث الخلق يسع كل حروف الهجاء الهيروغليفى وذلك يعنى خلق العالم فإذا كان ذلك هو ما قصد إلى قوله الكهنة فأولى أن تكون اللغة المقدسة (الهيروغليفية) هى اللغة التى توصف بأنها لغة الخلق فهى اللغة المقدسة والأصل السامى الذى نطق به آمون فى ثامونه أو تاسوعة فتكون من تكوين حروفها لغة مقدسة أجمع العالم كله قديماً وحديثاً على اعتبارها وتسميتها باللغة المقدسة أو النحت المقدس (جليفى Glyphé) أ نحت (وهيرو Heiro) أى مقدس أى الكتابة المقدسة ومنها الهيراتيكية (المقدسة) وفرع منها يسمى الديموتيقية أى لغة العامة أو الدارجة فهذه هى اللغة المقدسة لغة المعابد والطقوس والدين وليست اللغة العبرية أو غيرها من لغات العالم فاللغة المصرية هى أقدم لغة وهى المقدسة باعتراف الجميع فإن نظر اليهود نظرة تقديس للغتهم فذلك لأنهم يقدسون كتابهم المكتوب باللغة العبرية التى كانت أمها وأصلها اللغة المصرية القديمة فمشوا على نفس الدرب المصرى فى وصف لغتهم بالتقديس وأيضاً دينهم العنصرى فوصفوا لغتهم بلغة الخلق بغير حق وهى اللغة الفرع لا الأصل وليست هى لغة الخلق بل هى لغة التوراة كما كانت العربية لغة القرآن وهما دينيان سماو يان نعترف بهما وليسا قاصرين على شعب واحد بل للناس أجمعين فكانت تسمية اليهود تقليداً ساذجاً للغة المصرية القديمة المقدسة (الهيروغليفية) التى أرادوا وهم الأقزام أن يتطاولوا و ينافسوا لغة كانت لهم قمة وسيدة للغات السامية كلها استغفر الله فليس للخلق لغة يعلمها انسان فعلمها عند الله أما لغة الكتب المقدسة فهى اليهودية للتوراة وللانجيل والعربية للقرآن . وهما لغتان مقدستان باعتبارهما ترجمة للغة الوحى الذى أنزل بها الله هذين الكتابين السماو يين التوراة والقرآن أما الوحى نفسه فقد نزل بلغة لا يعلمها إلا الله ورسله إنها لغة إلهية ترجمت إلينا بالعبرية والعربية الدنيو يتين كما يقول الأستاذ جينون Glyphé أنظر (ملاحظة ١٨٥) .

فمنذ الوجود ومصر تؤمن بهذا الثالوث الأول الأقدس الماء والأرض الخصبة والانتاج أو النبات وقد أحبه المصريون بأعضائه الآلهة أوزيريس وازيس وحورس وآمنوا بهم فى وحدتهم ووحدانيتهم فيه وعبدوهم فيه ثالوثاً أرضياً مادياً معهم ثم رفعوه إلى السماء بتصورهم الأرضى مصداقاً لما وصفته النصوص الهيروغليفية الخاصة بالمادة الأزلية فيما ذكرنا من قبل على لسان بروجش عن هذه المادة الأزلية أقدم كل الآلهة وتعتبر الأم الأزلية فى شكل البقرة حتحور إذ يقول عنها « زوجة وبنت إله النور ـ رع ـ ثم هى أم أبيها وأخت ابنها الذى هو زوج أمه » فهذا إذن ثالوث تصورى قائم على فكرة تصور الفلاح المصرى لثالوثه الأرضى لا يمكن أن تنفصل عناصره المكونة من رع ثور السماء وشمسها وحتحور إلٰهة السماء ممثلة المادة الأزلية وحورس العجيل وشمس الصباح فالكل واحد والواحد يشمل الكل فلا انفصال بين أفراده حلقة لا يعرف أولها من منتهاها من ثلاثة هم الواحد والكل دائمو الحياة والتجدد كثالوث الأرض بمواعيد النيل المرتبطة بحركة الشمس فى السماء وحدانيتها هى الحياة السرمدية والتجدد الأبدى لا أول لها ولا نهاية فى الفلك هذا هو الثالوث المقدس عند بلوتارخوس والذى أخذ عنه الفلاسفة اليونان نظريتهم ثم أليس هذا التزاوج الفلكى السماوى الذى يصور المحافظة على الوحدة المجسمة للوحدانية الإلٰهية الخلاقة للعالم لهذه الآلهة العلية فى سمائها والمرتبطة برع ثور السماء أى الشمس الإلٰه القرين الوسيط عقل العالم المدبر والعقل الأبوى للإلٰه الخفى الذى لا يرى ولا يسمع وهو وراء كل الآلهة فهذا ثالوث يمثل الوحدانية والوحدة التى كان لها صدى دنيوياً فى عائلات الحكام على الأرض وكيف كان الزواج بالأخت والبنت صدى فيه أثر من هذه الصورة الشمسية السماوية للمحافظة على وحدة العائلة الفرعونية فى الأرض صورة الملك ممثل الإله على الأرض واندماج الأسرة الفرعونية فيه للمحافظة على الدم الملكى الإلهى تصور دنيوى كما هو حادث دينياً بين الآلهة فى هذا الثالوث المكون من الأب والأم والابن امتد (١٧٢) صداه إلى سياسة الحكم الدنيوى كما ذكرنا على أساس وحدة الدم الملكى فى الأسرة الحاكمة ونظرية الحكم فى مصر.

ثم كان له صدى فلسفى يكمل ما كان قائماً فى الثالوث الأزلى المصرى إذ يذكر بلوتارخوس أن أفلاطون قد استنبط هذا الثالوث فى تكوين الزواج عنده وكان ذلك على غير ما فرضه التقليد المصرى بالفصل بين التصور الدنيوى والتصور الإلٰهى لهذا الثالوث ففى مصر كان أيضاً تصوراً فلكياً قائماً على فكرة تصور الفلاح المصرى لثالوثه الأزلى ذى الوحدانية التى لا يمكن فصل أعضائها عن بعضهم البعض وإلا هلكت الأرض ومن عليها فوحدانيتها هى سر حياته وبقائه كما لا يمكن فصل عناصر الثالوث السماوى الشمسى فى توقيته اليومى والسنوى وانضباط سير الحياة الزراعية.

إنها حلقة فكرية مصرية متصلة بين الفلسفات القديمة والحديثة فى الفكر الانسانى كله روحياً ودنوياً سارية معنا فى دنيانا حتى الآن .

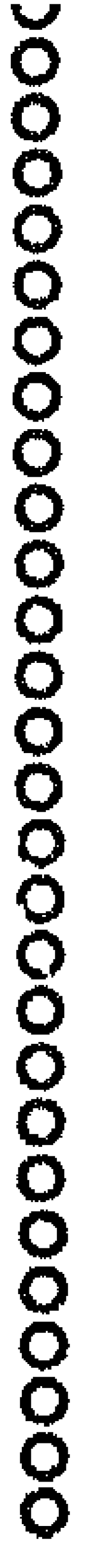
وفى هذا الثالوث الأرضى أيضاً يدخل كل مخصب يدور فى فلك أعضائه أو ينتسب إليهم بخدمة الزراعة والتنمية فى الحيوان والمحصول ورفعوهم جميعاً نجوماً وكواكب فى السماء تدور فى دائرة المخصب المهيمن الأعظم وهو الشمس فكل مخصب يعين على الانتاج والوفرة قد اتخذ رمزاً للثالوث وأعضائه وأصبح الملك وهو الثور الكبير رأساً للثالوث ولكل بانثيون ومجمع إلـهى ثامونا أو تاسوعاً فى أى مكان فى مصر فهو أوزيريس ميتاً وحورس حياً تجمعت فيه كل فضائلهم وقدراتهم فأصبح الإله الملك والملك الإله .

وقد كفر المصريون بكل من يعارض هذا الثالوث ويحول دون قطوفهم خيراته فهذا الثالوث منبع حياتهم وأمنهم الغذائى وخيرهم ورخائهم و يسرهم فمن تدخل بشر فى عمله أو حال دون اتمامه كان يريد لهم الهلاك فلا ماء مخصب ولا أرض تخصب فلا زراعة ولا محصول وهو عدوهم وعدو آلهتهم وقد كان وعاظهم وحكماؤهم أحرص على تحذيرهم فى وصيتهم للناس بالتقوى وإقامة شعائر العبادة والولاء لهؤلاء الآلهة الخيرين حتى لا يتخلوا عنهم و يرضون عليهم و يفيضون عليهم بالحياة والرغد والخير العميم والرزق الواسع .

ثم يأتى الملك فيوحد الناس والأرض فى حكمه و يتخذ من الثالوث إلـهاً و ينتسب اليه بفضائله وعدله وانسانيته و يعبد رموزه و يندمج فيها فيصير ثوراً كبيراً أى أبيس وزوج أوزيريس الحية وزوجته ازيس و يتخذ من الثالوث آباء وأبناء فيعبدهم الناس فى شخصه و يصبح ممثلاً للآلهة على عرش مصر كحورس العظيم .




ثالوث الخلق عند الفرس



وفيما سبق ذكرنا ثالوثاً فارسياً على غرار الثالوث المصرى الأزلى مكوناً من أهورامزادا ومثرا وأناهيتا كقاعدة انتاج وهى العنصر المؤنث فى العنصر النارى الثنائى الفارسى المضىء فى السماء أى القمر وقد مثلت أناهيتا قاعدة الانتاج فى هذا المثلث الفارسى بثلا ثة أوجه كالإلـٰهة اليونانية المثلثة الوجه Triformi vultus هيكات Hecaté التى تعرف بأم الأرواح كذلك مثلت أناهيتا الإلـٰهة الفارسية فى المثلث الفارسى وقد فسر ذلك الفلاسفة الأفالطة كما فسر أفلاطون الثلاثة أوجه فى الإلـٰهة اليونانية هيكات بأنها أوجه الروح وهى الأوجه التى تمثلها الآلهات اليونانيات الثلاث أثينا للعقل فى الرأس ثم الرغبة والطموح فى القلب تمثلها ارتميس إلـٰهة الغابات والوحوش والصيد ثم أفروديت إلـٰهة الشهوة ولذة الاخصاب الجنسي وموضعها من جسم الانسان الكبد كما ذكرنا .

فإذا ما قارنا أناهيتا الفارسية بقاعدة الانتاج فى المثلث الأزلى المصرى وجدناها مطابقة إلى حد بعيد لاز يس فى ثالوثها المصرى الأزلى مع أوز ير يس وهورس أى مثرا الفارسى وقد حملت النقود الفارسية تمثيلاً لهذا الثالوث الذى كان ملوك فارس يستمدون منه الحق الإلـٰهى إذ مثل أهورامزدا وهو يتوج الملك Vorod (القرن الأول ق . م) وهو جالس على العرش بحضور أناهيتا ومثرا فى هذه الصورة كما ذكرنا من قبل (١٣٤/١٠٠) كما أن نجمة أناهيتا فى السماء هى أفروديت أو Venus أى الزهراء كما كانت نجمة از يس فى السماء هى سير يوس أى صوثيس (الشعرى اليمانية) وكما كانت أناهيتا هى القمر كما ذكرنا فإن از يس فى مصر كانت القمر المنتج المخصب أيضاً .

أما هذه الآلهات الثلاث اليونانيات التى تمثل عند الفلاسفة الأفالطة أوجه الروح فتدخل

جميعها ضمن قدرات الإلٰهة از يس المصر ية ذات الأسماء التى لا تعد وهى تتضمن فى قدراتها كل قوى الآلهات اليونانيات والرومانيات فى كل العصور التى مرت بمصر وتمثل جميعاً الآلهة المصر ية از يس الأم المرضع كقاعدة الخلق فى الثالوث المصرى وقد سار على الدرب هذا ثالوث أهورامازدا ومثرا وأناهيتا فى العصر البارثى ومثل على النقود الفارسية كما مثل ثالوث الاسكندر ية الرومانى من سرابيس (أوز ير يس) واز يس وهار بوكرانس على النقود الرومانية التى تسمى نقود الاسكندر ية التى كانت تضرب ما بين القرن الأول والثالث الميلادى فى الاسكندر ية كعملة خاصة بمصر دون بقية أقاليم الامبراطور ية .

ونحن لا نعرف مدى تأثير هذا الثالوث المصرى الأول على مثلثات الخلق فى العالم القديم كله ولكن تغلب النظر ية الفلسفية اليونانية على كل الديانات القديمة قبلها فى المشرق جعل هذه الديانات فى العصور المتأخرة شبه موحدة عن طر يق هذه الفلسفة أى الاكليكتسموس التى قر بت بين الديانات ورموزها أى السينكر يتزم Syncretism الذى نشأ عن نظر ية الفلاسفة الإكليكتيكيين أى Eklektikoi الذين يوحدون أو يوافقون أو يقار بون بين الديانات والرموز المختلفة وكما ثبت فقد كان هذا التقارب على أساس مثلث الخلق المصرى الأول .

ثم أنظر كيف بقى هذا الثالوث بفكرته المصر ية الأزلية الوحدانية التى لا انفصام لها بكل ما أضفته عليه الفلسفة اليونانية من تأثيرات الفكر الغر بى وتوحيده بالتقارب Syncmetism مع الثالوث الفارسى وما أعدته له فى شروحها لصفات أعضاء هذا الثالوث من تأو يلات حتى نصل إلى القرن الرابع الميلادى حين يصل تصور التشليث عند جامبليكوس الفيلسوف الأفلاطونى المحدث فى الاسكندر ية فيطبق هذا المثلث على ثالوث آلهة العقل والفكر أى الثالوث الروحى إذ يتخذ فيه كرونوس أو خرونوس chronos، ساتورن الذى يتمثل فى الايون Aion برأس الأسد والذى يتوحد مع ز يرفان أكارانا Akarana Zervon الفارسى وقد رأيه فيه Chr. Loconbrade (ملاحظة ١٣٠/١١٧ــ٨٧) لاكومبرد وصاحب أحدث ترجمة لخطب جوليان المرتد كرونوس ساتورن Kronos Saturn أى الوقت الأزلى اللانهائى ــ اتخذ جامبليكوس من كرونوس هذا إلهاً أول أى الأب Pater فى الثالوث (أو الأبدية) فهولوجوس Loges أى السبب ثم شخصية الثالوث الثانية Phea الأم وهى القوة Dijnamis الروحية المرشدة ثم الإله ز يوس الابن ! ثالث هذا الثالوث الفكرى وهو الذى يمثل العقل الأبوى . Palrikos Nous المدبر للكون .

هكذا نصل إلى ظهور مبدأ روحانى فكرى فى التثليث كان له آثره فى الحياة الدينية بعد ذلك حتى الآن (ملاحظة ١٣٤ / ١١٧ ثم ١١٨ ملحوظة ٩٠) .


التجمع الثالث لليهود
أو
العودة بعد الخروج
بقيادة الكاهن الأعظم
هونيا Honya أو Onias باليونانية

يقول أشعيـــا :

« أشعـيـا ١٩/١٨ــ١٩ » فى ذلك اليوم يكون فى أرض مصر خمس مدن تتكلم بلغة كنعان وتحـلـف لرب الجنود ، يقال لاحداها مدينة الشمس فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب وسط أرض مصر وعمود للرب عند تخمها » .

وقـد ذكـر جـوز يفوس المؤرخ اليهودى هذه النبوءة و يؤكد اسنادها للنبى اشعيا فيقول « لأن هـذا حـقـاً ما تنبأ به النبى أشعيا » (١٣٩) وربما يكون قوله هذا ناشئاً عن قول اليهود المعارضين ومـن كـان ضـد اليهـود من الرومان بمصر ممن كانوا جميعاً يقاومون و يعارضون انشاء معبد مقدس جـديـد فى مصر كما أراد أونـيـاس الـرابـع رئـيـس الكهنة من أن هذه النبوءة دست تأييداً لطلب ورغبة أونياس نفسه لاقامة معبده الجديد بمصر .

أمـا هـذا الـتـجـمع اليهودى الثالث بعد ابراهيم وموسى فكان فى عهد الكاهن الأعظم سليل عـائـلـة رؤسـاء الـكـهـنـة فى بيـت المقدس من بيت آل أونياس Oniad والواقع أن Bevan بيـفـان(١٤٠) فى كـلامـه عن اليهود فى مصر فى عـهـد بـطـلـيـمـوس الـسـادس (محب أمه Philopator) والمـلـكـة كـلـيـو بـاتـرا الأولـى كان اليهود فى عهد هذين الإلهين محبى أمهما Philomatores يتمتعون بعطف البلاط المصرى وهذه سياسة للدولة قامت على مناهضة ملوك مقدونيا فى سور يا بعد وقوع فلسطين تحت سيطرة سور يا وضياعها من مصر .

فـعندما خرج ملك سور يا أنتيوخوس ابيفانوس على نظام توارث عائلة أونياس لمنصب رئاسة الـكـهـنـة فى الـقدس وحرمهم من تولى هذا المنصب عين فيه من اليهود من كان على ولاء له من طـائـفـة اليهود الهـيـلانسيين فبعد موت أونياس الثانى (هونيا بالعبر ية) عين الملك أخاه أونياس

الثالث رئيساً للكهنة بعده إذ أن إبن أونياس الثانى آنذاك كان طفلاً كما يقول جوز يفوس المؤرخ اليونانى اليهودى ثم يقتل أنتيوخوس عمه أونياس الثالث الذى كان رئيساً للكهنة بعد عشر سنوات من شغله هذا المنصب وقد كان لاونياس الثالث هذا اسم آخر يونانى مينيلاوس Menelaus كما كانت العادة بالنسبة لليهود الموالين للمقدونيين فى سور يا من اتخاذهم مع أسمائهم اليهودية أسماء يونانية فبعد أن قتله أنتيوخوس ملك سور يا أسند منصب رئيس الكهنة إلى الكيموس Alkimos رغم أن هذا اليهودى من غير عائلة أونياس صاحبة الحق الأول فى منصب رئيس الكهنة .

هرب أونياس الرابع الصغير إلى مصر والتجأ إلى بطليموس السادس وكليو باترا الثانية وأصبح قائداً لجيوش الملك ثم بعد ذلك بسنين عدة قائداً لجيوش الملكة كليو باترا الثانية زوجة الملك الراحل . وقد طلب أونياس الرابع هذا من بطليموس السادس (محب أمه) أن يخصص له ولمن معه جزءاً من أرض مصر شرق فرع دمياط أى فى اقليم جوشن القديم مستوطن اليهود القديم فى عهد الهكسوس وقد سمى هذا الجزء فيما بعد بأرض أونياس أو الأونيون Oneion وقد سمح بطليموس السادس لأونياس الرابع ببناء معبد لليهود فى مدينة كان بها معبد مهجور متهدم . للإلهة (بوباستيس إلهة الحقول) Boubastis Agrias وكانت هذه المدينة تسمى ليونتوبوليس Leontopoles أى «تل اليهودية» الآن .

بنى أدنياس فى ليونتوبوليس معبداً مماثلاً تماماً لمعبد سليمان بالقدس وكان غرضه من ذلك كما سنرى أن يوحد ويجمع يهود مصر حول هذا المعبد المقدس الجديد فى مدينة بيت مقدس جديدة أيضاً وقد كان للطوائف اليهودية فى مصر معابد متعددة يتعصبون لها وقد خالف يهود الاسكندر ية أونياس على بناء معبد جديد وكان منهم من يعتقد أن معبد بيت المقدس معبد مقدس لا يجوز أن يكون له مثيل وكان معهم فى ذلك طائفة أخرى من السامر ين الذين بنوا معبداً فوق جبل جار يزاين وقد اعترفوا بأن أجدادهم بنوا ذلك المعبد بسبب الجفاف الذى أصابهم مضافاً إلى ذلك أنهم كانوا يعتقدون فى بعض الخرافات القديمة فاعتادوا أن ينتظروا اليوم الذى يسميه اليهود السبت ثم أقاموا معبداً ولكن دون أن يسموه فوق جبل جار يزاين Garizeim أو جار يريم وكانوا يقدمون فيه القرابين المناسبة وتعصبوا لمعبدهم هذا ضد الآخر ين المستمسكين بمعبد بيت المقدس ولكن يهود الاسكندر ية لم يوافقوهم على ذلك واحتجوا بأن « بيت المقدس هو أقدم وأشهر معبد فى المعمورة كلها » (١٤١) وعند السكندر يين من اليهود كان من أسباب خوفهم أن يقوم أحد بتهديم هذا المعبد الفلسطينى أما عن رأيهم فى معبد جار يزاين فإن أحداً من اليهود لا يشعر بوجوده كل يغنى على ليلاه إذ يختلف سكان الاسكندر ية فيما بينهم فالسامر يون منهم يتعصبون لمعبدهم على جبل جار يزاين والسكندر يون اليهود تعصبوا لمعبد بيت المقدس ولكنهم يجتمعون مختلفين كل عند رأيه فى مواجهة مطمع أونياس بناء معبد بدلاً من معبد القدس

السامريون تعصباً لمعبدهم والآخرون يصرون على ألا يكون لمعبد المقدس بديلاً ولا قرينا وقد كان ذلك حال كل الجاليات اليهودية فى مصر من اختلافات طائفية وتعصب كل طائفة لمعبدها الذى أقاموه كما سنرى .

استغل أونياس الرابع المنافسة والعداء السياسى بين المقدونيين فى مصر وفى سوريا فبنى معبده على غرار معبد القدس بدقة بالغة إلا أن هذا الذى أقيم فى مصر كان أصغر وأقل مساحة من المعبد الأصلى فى فلسطين وقد سمح محب أمه بذلك بعد اشتراطات وتوجيهات لمراعاة الدقة فى تطبيق الشريعة اليهودية وتحميل كل المسئولية لأونياس فى عدم اتباع حدودها أو الخروج عليها .

والواقع أن اليهود لم يتفقوا فيما بينهم فأراد أونياس بطموحه أن يؤلف بينهم و يقوم فيهم كموسى فى أول الأمر بأن ينشىء معبداً لهم يلتقون حوله و يتحدون و يتماسكون ضد الانتهاكات التى ارتكبها المقدونيون من حكام سوريا فى بيت المقدس القديم من محاولاتهم صبغ اليهود بالصبغة الهيلانية وتحويلهم عن ديانتهم ولذا فقد أنشأ أونياس معبده فى ليونتوبوليس على أن يكون مطابقاً تمام المطابقة لمعبد بيت المقدس ومعترفاً به من يهود مصر جميعاً وقد شجعته نبوءة النبى أشعيا الذى عاش قبله بستمائة سنة كما ذكرنا فى مطلع هذا الفصل و يعلق جوزيفوس تعصباً لعنصريته على هذه النبوءة بقوله أنه من المؤكد أن سينشأ معبد فى مصر للرب الأعظم على يدى رجل يهودى مؤيداً بذلك رغبة أونياس فى افامته المعبد غطاء شرعى لاقامة معبده فأنظر تكملة هذه النبوءة فى أشعيا الآية (٢١) الاصحاح ١٩ « وفى ذلك اليوم يعرف الرب فى مصر و يعرف المصريون الرب » ليقنع كل اليهود بذلك ثم ليقنع أيضاً بطليموس ليوافق وهو غير يهودى على طلبه وكما سنذكر فإن اثبات بترى Petrie, وجود آثر هذا المعبد الذى كشف عنه فى تل اليهودية فى ١٩٠٦ دليل صادق على صدق هذه النبوءة ونجاح أونياس فى مسعاه لاقامة المعبد .

ولكن أونياس لم يسلم من معارضة مخالفيه من يهود الاسكندرية وسخريتهم منه وعلى وجه الخصوص معارضة أبيون Apion الرومانى أبرز ممثلى الغالبية المضادة والمناهضة للسامية فى الاسكندرية فعلى عادة السكندريين على طول العصور كانوا يسخرون من الحكام والعظماء بالنكات اللاذعة فاتخذوا من مشابهة اسم أونياس فى اليونانية وقربه من لفظ Ònos (أونوس) أى الحمار واتخذوا من هذه التسمية مادة للسخرية منه وأسموه بالحمار (أنظر جوزيفوس الثانى الفقرة الخامسة) وكانت تلك عادة أهل الاسكندرية التى جرت عليهم غضب الحكام الرومان من الأباطرة القساة مثل كراكللا وأمثاله وقد عانوا من جراء ذلك آلاماً ومذابح وقسوة شديدة اليمة .

وأما Bevan فيقول بأن اليونانيين قد حرفوا اسم Onias أونياس على أساس صلة غامضة بالحمار . Onos أونوس الذى حسب ظن سائد أو عقيدة عامة أن اليهود قد عبدوه أى عبدوا الحمار وربما يكون لقول بيفان صلة بانتماء اليهود أصلاً إلى الإلـه ست إلـه الشر عند المصريين والذى ربط المصريون اليهود به كأبناء له عندما أراد اليهود أن تكون لهم صلة بالتقاليد المصرية كما أسلفنا القول واعتبرنا أن هذا الربط بين اليهود وست كان بمثابة « قرار باعلان مقاومة العنصرية » وكان الحمار حيوان ينتمى إلى ست ولذا كان أونياس فى نظر السكندريين يهودا ومعادين للسامية حماراً .

نجح أونياس فى أن يقيم معبده فى قدس جديدة مصرية فى بلدة ليونتوبوليس بمنطقة عين شمس وكان بها معبد مهدم للإلهة (يوباستيس إلهة الحقول) وقد ورد اسمها فى نبوءة أشعيا ضمن الخمس مدن التى ستتكلم لغة كنعان من مدن يسكنها اليهود فى هذه المنطقة جوشن سابقاً وقد كانت مدينة يوباستيس الحقول أو ليونتوبوليس مليئة بالأشجار والحيوانات المقدسة بجانب معبدها المتهدم الذى أزاله أونياس بأمر الملك و بنى مكانه معبداً كما يقول جوز يفوس ـــ فكان تصميمه صورة طبق الأصل من معبد القدس ولكن أقل منه مساحة وأصغر منه (١٤٢) ثم عين له أيضاً لاويين أو كهنة من جنسيته أى من اليهود .

أى أن أونياس قد أنشأ معبداً انشاء جديداً لمعبد أورشليم لأنه أولاً رأى فلسطين وقد أذاها ودمرها ملوك سوريا من المقدونيين وقد ذاق هو نفسه مرارة ذلك سابقاً وقد كان طموحاً كبير الاطماع فأشبع طموحه وكسب لنفسه شهرة واسعة وعزاً دائماً شامخاً كما يشهد بذلك جوزيفوس (١٤٣) .

كان ذلك الاضطهاد المقدونى فى فلسطين لمحاولة أن يصبغوا اليهود بالمسحة الهيلانية مع الدين اليهودى والقدس أيضاً وتحويلهم عن ديانتهم . وقد كانت هذه السياسة سبباً فى نشأة حزب من بين اليهود هيلانى فكان لهؤلاء الرؤساء من كهنة أورشليم من هذا الحزب أسماء أخرى يونانية بجانب أسمائهم السامية أسوة بالهيلانيين كما ورد فى جوزيفوس فيما سبق و يزيد على ذلك قوله أن بعضاً من هؤلاء الرؤساء كان يغرى القوم بالتخلى عن اليهودية ومن بين هؤلاء رئيس الكهنة السابق أونياس الثالث الذى كان يسمى أيضاً بالاسم اليونانى Menelaus وكان من أجل احتفاظه بالسلطة لنفسه يرغم قومه على معصية شريعتهم (١٤٤) .

استأذن هونيا بطليموس محب أمه وكليوباترا بعد أن أتى إلى مصر ومعه ناس كثيرون من اليهود من فلسطين الذين يصفهم جوزيفوس بالأرثوذكس استأذنها أن يبنى معبده فأذن له الملك ولكن بعد أن احتاط فى اذنه له أن يكون المعبد حسب الشريعة الموسوية وحمل هونيا مسئولية أى خطأ أو مخالفة دينية من جراء عمله ثم يسدى إليه النصح ويحذره من أن مدينة ليونتوبوليس مدينة

وثنية مليئة بالحيوانات المقدسة بالنسبة للمصريين حتى لا يتعرض هونيا لما تعرض له فيما سبق بعض اليهود وغيرهم من مضايقات عنيفة قاتلة من المصريين وهكذا كانت محافظة بطليموس فى مصر على اليهودية وتشدده فى مراعاة شريعة موسى فى بناء المعبد على خط مستقيم ضد ما يقوم به ملوك سوريا المقدونيين فى فلسطين من تحويل اليهود إلى الهيلانية فأراد البلاط المصرى اغتنام هذه الفرصة لأن يحافظ على اليهودية سليمة دون أن يحيد أى انسان قيد أنملة عن شريعة موسى أو أن تشوبها شائبة من بدع حتى من اليهود أنفسهم ، ينافسون بذلك المقدونيين فى فلسطين اظهاراً لما يقترفون من أخطاء وكسباً لليهود موحدين ضدهم .

ثم أذن الملك هونيا بإزالة المعبد القديم هناك ثم نبه هونيا بأن هذه المدينة مكان وثنى أى أنه لا يناسب اقامة معبد فيه ولكنه سمح له بعد ذلك بإقامة المعبد وكان ذلك خاصة استناداً إلى نبوءة أشعيا مشترطاً أن يكون هذا المعبد وفق شريعة موسى (١٤٥) .

وقد كان الملك وهو الوثنى وليس يهودياً فى رده على طلب هونيا حريصاً على ألا يغضب رب اليهود محافظة منه على عدم اغضاب بقية القوم فى مصر وحرصاً منه على اتحادهم جميعاً لصالح مصر ضمن سياسة البلاط المناهضة لملوك الشام أصحاب السلطة فى فلسطين التى فقدها الملك فيقول لهونيا فى رده : حتى « لا نظهر كمن يغضب الإلـه » (١٤٦) .

فكان حرص البلاط السكندرى فى اخلاء مسئوليته من أى خطأ يقع من هونيا حتى لا يسمح لأى حساسية تغضب اليهود الموالين للملك ويحرج سياسة البلاط الذى يريدهم متحدين ويخاف أن ينفرط تجمعهم فيتفرقوا متنافرين فيمكن اغراء بعضهم بالانحياز إلى بيت المقدس الفلسطينى فالملك وحاشيته والمصريون يعرفون سهولة تلونهم وعدم تجانسهم واختلاف مذاهبهم الشديد إذ أنهم قد أتوا إلى مصر من جهات عديدة كما حدث فى فلسطين الحديثة فى عصرنا وما نراه فيهم من خلاف بينهم فى العقائد الخاصة والشئون الاجتماعية ورغم كل ذلك فقد سخر السكندريون (من أونياس) يهود و يونانيون ورومانيون معادون للسامية وعلى رأسهم Apion - أقوى أبرز ممثلى جماعة مناهضة السامية وقد خصه بالذكر جوزيفوس أنه سخر من هونيا فى حين أنه يجب أن يشكره ثم أطلق كل السكندريين على هونيا اسم الحمار وقد كره المصريون العبرانيين قبل اليهودية فكانوا يسخرون منهم ويهزءون بهم وكانوا يطلقون عليهم أيضاً فيما مضى لقب الحمار بعد أن نسبوهم فى تقاليدهم وأساطيرهم الأولى إلى ست إلـه الشر والحمار من حيوانات إلـه الشر هذا وكان ذلك منهم اعلاناً بمعاداتهم للعنصرية ومقاومتها قديماً ولكن رغم ذلك أقام هونيا معبده ومذبحه فى مصر اللذين يشبهان معبد بيت المقدس تماماً إلا فى الحجم والمساحة فقد كان أصغر وأقل مساحة من معبد القدس فى فلسطين (١٤٧) ولم يكن ذلك قول جوزيفوس فقط بل أثبت ذلك وصدق عليه الأستاذ - Petrie فى اكتشافاته فى

ليونتو بوليس كما سيأتى بدقة تامة فى مطابقة هذه الأوصاف وهذا أصدق دليل على صحة رواية جوز يفوس .

إن هذا لدليل واضح على ما كان يتمتع به اليهود فى مصر من مكانة وتسامح وكانوا هم أيضاً متعاطفين مع الهيلانيين وكان للهيلانية فيهم آثر كبير فكانوا مرنين فى معاملتهم مع المصريين واسعى الأفق فى معايشتهم لهم حتى لنجد يهود أسوان وكانوا جالية يهودية كبيرة مصرية Juivrie égyptienne حارة يهود مصرية فى الصعيد لهم فيها معبدهم وشريعتهم نافذة فيا بينهم فكانوا يحلفون بيهوا Jahua إلٰههم ولكن فى معاملاتهم مع المصريين يحلفون بالإلٰـهة ساتى Sati احتراماً لإلٰهة الشلالات المصرية ودليل على هذا التعاطف أيضاً ما قام به الكاتب اليهودى فيلو Philo من محاولة الربط بين الفكر اليهودى والفكر اليونانى كما يذكر Petrie. وعلى العكس من ذلك يستمر اضطهاد اليهود الذى بدأه انتيوخوس الأكبر خليفة الاسكندر فى فلسطين فى محاولاته أن يجعلهم يتجهون إلى الحضارة الهيلانية وأن يصطبغوا بها وما قام به من اغراء عنيف لتغييرهم فكان ذلك سبباً فى سخطهم عليه ولعنوا الاسكندر الأكبر معه ووصفوه بابليس فهو الذى أتى بانتيوخوس من بعده ! ؟ أما فى مصر فبعد أن أقام هونيا المعبد وعين اللاويين من اليهود طلب من الملك أن يعينه رئيساً أعظم للكهنة كما ذكر جوز يفوس فاكتمل معبد القدس المصرى وبإذن الملك بدأت ممارسة العبادة فيه وتم اجتماع الجالية الجديدة بأرض جوش مرة أخرى بعد عودة اليهود إليها بشكل يخالف تجمعهم الأول ويخالف أيضاً انعزالهم الثانى بقيادة موسى فى هذه المنطقة فكانت الصحراء الشرقية دائماً بالنسبة لهم نقطة تجمع دينى ففى هذه المرة كان التجمع بقيادة هونيا لقاء دينياً متنبأ به فى التوراة على لسان أشعيا النبى ومحددة مدته بخمس مدن « ستتكلم لغة كنعان واحداها يقال لها مدينة الشمس » وقد اسماها اليهود مدينة « معسكر اليهود » أى قلعة لهم جديدة فى مصر ولكنها لم تكن أرض ميعاد ، وبنى فيها هونيا المعبد والمذبح ثم قلعة أو حصناً للإلٰه الأكبر كما ورد فى نبوءة أشعيا وثبت فعلاً وجوده فى ليونتوبوليس عن طريق كشف بنزى عنه فى (تل اليهودية) وقد ظل المعبد قائماً يعمل حتى عهد الامبراطور تيتوس Tithus الرومانى فى القرن الأول الميلادى فتوقف بعد أن أغلقه .

أثار تشجيع نبوءة أشعيا الكاهن الأعظم هونيا لبناء المعبد شكوك المؤرخين فى أن هذه النبوءة مدسوسة لصالح هونيا ولكن ذلك اغراق فى الشك فى كلام جوز يفوس الذى كان هو بدوره يحس هذه الشكوك فى مجتمع عصره فأكدها كما ذكرنا فى مطلع هذا الكلام مع أن الآثار التى اكتشفت فى تل اليهودية تؤيد صدق هذا المؤرخ فى هذا الصدد ولكن نبوءة أشعيا قد شجعت أيضاً البلاط السكندرى فى نفس الوقت فقد وجد فيها مبرراً خاصة بالنسبة لجميع طوائف اليهود بمصر الذين يصدقون هذه النبوءة فقد وجد فيها البلاط الملكى مبرراً للموافقة على

طلب هونيا وكان ذلك اقتناعاً من البلاط باجماع اليهود على الرغبة فى تنفيذ هذه النبوءة التى وردت فى كتابهم المقدس وكانت أيضاً أهم ما ساقه هونيا من حجج لتجميع اليهود حول هذا المعبد خاصة الذى يعبدون فيه ربهم على طريقة وعادة آبائهم كما يقول جوز يفوس ثم يقول هونيا حاثا الملك على الموافقة على طلبه أن اليهود بذلك سيزدادون تشدداً ضد انتيوخوس (١٤٨) الذى نهب ودنس معبد بيت المقدس وانهم سيكونون أقرب إليك بصداقتهم وسيجتمع منهم نفر كبير جداً عندك فى مصر حول المعبد لتسامحك الدينى (١٤٩).

وقد كانت موافقة البلاط السكندرى لهونيا مبنية على أساس هذه السياسة التى شرحها لنا هونيا فى كلامه للملك بهدف انضمام أكبر عدد ممكن من يهود فلسطين لمصر بل هو بسماحه لهونيا باقامة المعبد انما أراد أن يجتذب اليهود من فلسطين إلى مصر لمناهضة ملوك سوريا المسيطرين على فلسطين ثم كانت موافقة الملك على تعيين هونيا كطلبه رئيساً للكهنة فى معبد القدس المصرى متمشية مع سياسة مصر أن تكسب زعيماً دينياً يهودياً ذا نفوذ سياسى كبير.

وفعلاً كان لهذا الاقتراح أثره الايجابى خاصة فيما تصوره هونيا فقد تجمع اليهود واحتشدوا فى هذه المنطقة وانتشروا فى منطقة جوشن شرق فرع دمياط بمدنها التى تكلمت لغة كنعان وأولها مدينة ليونتوبوليس بيت المقدس المصرى والمدن الأخرى التى تنبأ بها أشعيا الذى عاش قبل ستمائة عام قبل هونيا أو تزيد كما ذكرنا وكانت مدينة الشمس التى من المحتمل أن تكون قد سميت باسم المنطقة كلها أى منطقة الشمس كلها كانت هذه المدينة لمناسبة وجود معبد المقدس الجديد والقلعة والمذبح هى التى أطلق عليها اليهود الأرثوذوكس مدينة المعسكر. هذه المدينة وما جاورها فى منطقة جوشن كانت أكبر « حارة يهود » فى التاريخ أسست فى مصر.

لقد كان لهذا المعبد الجديد فى مدينة القدس الجديدة بمصر ميزتان أرادهما له رئيس الكهنة أونياس أولاهما مطابقته التامة لمعبد القدس فى فلسطين الذى بناه سليمان ولكن المعبد المصرى كان أقل من الفلسطينى حجماً ومساحة كما قال جوز يفوس ثم أنه لذلك يكون هو المعبد الذى أقيم على شريعة موسى وهذا كان شرط بطليموس الأساسى لبنائه وكما أثبتت ذلك حفائر بترى فى تل اليهودية كما سنرى.

ثانياً: بناء هذا المعبد الجديد بتصريح خاص من بطليموس يتضمن توجيهاته المتشددة وتحذيره من مغبة ما قد يترتب على بنائه على غير الشريعة من آثار خلافات اليهود فيما بينهم فكان ذلك شبه اعتراف من الملك بهم و يعطى لهونيا الشرعية السياسية فى وجود معترف به وكذلك كان تعيين الملك هونيا رئيساً للكهنة فى ذلك المعبد.

كذلك وجد البلاط فى نبوءة أشعيا مقنعاً لليهود بضرورة تنفيذها والالتفاف حول المعبد الذى تنبأت به ولهذا كان شرط الملك بوجوب أن يكون المعبد على شريعة موسى فأنظر أى شرعية وأية حماية اكتسبها هذا الكاهن الأعظم بدهائه وتدبيره! ثم هو لا يفوته أن ينوه للملك

بالناحية السياسية المترتبة على اقامة المعبد فيستحثه على الموافقة على طلبه هذا مشيراً إلى أن اليهود المقيمين فى مصر إذا ما تآلفوا فى وفاق حول هذا المعبد يخدمون مصالح الملك (١٥٠) .

وقد كان هونيا بطموحه يصبو إلى ذلك فيجمع اليهود جميعاً فى أنحاء مصر تحت ر ياسته وقد كانوا كثير ين غير من صحبوه فى رحلته من فلسطين إلى مصر فى أحياء مدنها الكبيرة أى حاراتهم اليهودية وكانوا يتوافدون على مصر كما يقول الأستاذ الكبير جوجيه من أقدم العصور وقد كان انتشارهم فيها ابتداء من العصر الصائى كما ذكر فى كتاب تثنية الاشتراع Deuteronome وقد هاجر منهم عدد كبير بعد أن استولى بختنصر Nabuchodnoser على القدس فى ٥٩٦ ق . م . وكما تذكر البرديات الارامية من فيلاى Philae كانت هناك جالية حربية يهودية وكان لها معبد ليهوا Jahiva وكان يحترمه قمبيز وكذلك كانت فى الأقصر جالية من جنود يهود كانوا تابعين لأحد حكام الاسكندر فى طيبة ثم فى الفيوم أيضاً وكذلك اكتشفت فى مدافن الابراهيمية القديمة فى الاسكندر ية مقابر يهودية من عهد البطالمة الأول و يقول هونيا فى طلبه الذى قدمه للملك لبناء معبده كما يخبرنا جوز يفوس ، أن جميع هذه الجاليات لم تكن معظم معابدها مقامة وفق الشر يعة اليهودية كما يجب أن تكون عليه ولذا فهم متنافرون غير متفقين (١٥١) .

وقد صدق هونيا فى مقارنته انشقاق اليهود على بعضهم بسبب تعدد معابدهم غير الشرعية بما قد لاحظه بين المصر يين كذلك فكثرة المعابد للمصر يين واختلاف آرائهم حول العبادة وأشكالها قد جعلهم غير متفقين (١٥٢) أصاب هونيا فى خطته هذه إذ قد أجمع كل المؤرخين اليونانيين الذين زاروا مصر من قبله ومن بعده من هيرودوت إلى ديودوروس على ذلك فكما يقول بلوتارخوس فيما ذكرناه أن كل مدير ية فى مصر كانت تقدس حيواناً وتتعصب له وقد وصل الأمر فيما بينهم بسبب ذلك إلى حد التورط فى الاقتتال وأنزل بعضهم ببعض أضراراً كبيرة (١٥٣) ثم يذكر ذلك أيضاً سترابون ثم يأتى ديودوروس و يفسر ذلك الاختلاف فى العبادات فيقول أن أحد الملوك اشتهر بالذكاء فقسم البلاد إلى أقسام وأمر كل جزء أن يقدسوا حيواناً خاصاً بهم وأن يمسكوا عن بعض الأطعمة المعينة وكان القصد من ذلك أن كل مجموعة تعبد ما عندها ... الخ و بذلك « لا يمكن لسكان مصر جميعهم أن يجتمعوا على رأى » (١٥٤) ظاهر مهما كان هذا الرأى أن أجمع كل المؤرخين على اختلاف المصر يين فيما بينهم بسبب العبادات .

لذلك كان ير يد هونيا اعتبار معبده صورة طبق الأصل من معبد القدس الفلسطينية قاصداً بذلك أن يترك اليهود معابدهم الخاصة لكل جالية منهم فى مصر ويحجون إلى معبد يلتقون و يلتفون و يأتلفون حوله فى مدينة ليونتو بوليس فى مدير ية الشمس (١٥٥) فاعتبار معبده هو الأصل على الشرعية دعوة لتجمع اليهود فى مصر حوله فى قدسه الجديدة حتى لا ينظرون إلى قدس فلسطين الذى دنسته الهيلانية وكان ذلك رداً على سياسة المقدونيين من حكام سور يا إزاء بيت المقدس

ورؤساء الكهنة فيه من حزب اليهود الهيلانيين وقد كانت هذه السياسة موافقة لسياسة البلاط السكندرى مما جعل رد الملك على طلب هونيا يوصيه فيه أن يكون معبده وفق الشريعة اليهودية **كما ذكرنا ثم يذكر جوز يفوس أن الملك فى رده على هونيا قد حمله مسئولية أى خطأ أو مخالفة لقانون الشريعة و يعلن أن كل خطأ يقع على رأس هونيا (١٥٢) .**

والواقع فعلاً أن بطليموس كان شديد الاهتمام بأن يكون تجمع اليهود على حدود مصر الشرقية بمثابة وجود فلسطين كلها فى قبضته ، فلسطين أورثوذكسية لا فلسطين الهيلانية الثائرة المنشقة أحزابها على بعضها البعض ، فالواقع أن التنازع على فلسطين بين ملوك مقدونيا فى مصر جنوباً وسور يا شمالاً قد خلق موقف اليهود الجديد فى جوشن أى أرض هونيا وهو الذى أوحى إلى مصر بسياسة تشجيع تجمع اليهود والمضطهدين فى فلسطين على يدى انتيوخوس ابيفانيس Epiphanes . فقد قبل البلاط السكندرى العمل بسياسة جميع العناصر المناهضة الثائرة الغاضبة من اليهود الأرثوذوكس من محاولة ملوك سور يا فرض الهيلانية عليهم وتحويلهم عن دينهم ومطاردة المتشددين من الأرثوذوكس المستمسكين بشريعتهم والرافضين الخروج عليها وقد أدت سياسة هؤلاء الملوك السور يين إلى قيام حزب من اليهود الهيلانيين وآخر من اليهود الأرثوذوكس وقد تهافت حزب الهيلانيين منهم على السلطة فى القدس وقد انضم اليه رؤساء الكهنة الهيلانيين أيضاً وفى ١٧٥ ق . م قدم Jeshua يشوا اخوهونيا الثالث وكان اسمه الهيلانى Monelaus (أنظر جوز يفوس ١٢ ، ٢٣٧ ولو يب ملاحظة (١٤٤) كما ذكرنا للحصول على منصب رئيس الكهنة رشوة بلغت ثلثمائة تالنت من الفضة ومعها ثمانين تالنت أخرى جز ية وتبرع بمبلغ مائة وخمسين تالنت لانشاء جمناز يوم للشباب اليهود وقد أهمل بشكل واضح المعبد محتقراً اياه ولم يقدم أضاحى وانصرف الكهنة إلى كل مايهتم به الهيلانيون من أعياد وألعاب هيلانية وأرسلت القرابين فى أعياد العاب هرقل الخمسية فى مدينة صور فيا ذكره بترى (أنظر ٣١ ص ٩٧) ولكن مينلاوس يخدع أخاه يشوا الذى بعثه بالجز ية إلى انتيوخوس فأزاد عليها ٣٠٠ تالنت وحصل على منصب رئيس الكهنة ثم استولى على أوانى المعبد الذهبية وكنوزه وقدم جزءاً منها رشوة ثم باع الجزء الآخر ثم ذبح أخاً له كان صاحب الحق فى ولاية رياسة الكهنة قبل أخيه يشوا فقامت على أثر ذلك حرب أهلية مروعة بين الأخو ين اليهوديين يشوا ومينلاوس تمكن انتيوخوس من اخمادها بعد مذبحة رهيبة فى القدس وأوقف استباحة المدينة وأخذ منها ١٨٠٠ تالنت كما يقول بترى (٣١ ص ٩٨) .

بعد ذلك تحول المقدس إلى معبد لزيوس أوليمبيوس واحتفل اليهود الهيلانيون المتوجون بأكاليل الغار بأعياد الديونيسيا وأصبحوا يأكلون اللحم على غير قواعد الدين وكان كل من يتمسك من اليهود بعادات السبت Sabbath وعادة الطهارة جزاؤه الاعدام .

تلك كانت رزايا الهيلانية فيهم ومعاناتهم منها فى فلسطين انشقاق حتى بين حزب الهيلانيين

اليهودى الواحد بسبب السلطة وشقاق بين هذا الحزب المنشق على نفسه و بين حزب اليهود الأرثوذكسى وزاد فى فرقة هؤلاء الفرقاء وفى تدهور الموقف كله فى القدس الأطماع السياسية الخارجية ، بينما كان فى مصر تشجيع لتجمعات اليهود الأرثوذكس بقيادة هونيا الرابع وتسامح وعطف دينى لم يعرفه اليهود وحرص على وحدتهم ومراعاة وحفاظ على اليهودية الحقة وحرص البلاط السكندرى عليهم من التنازع حتى أدى كل ذلك إلى قيام هونيا فى جوشن إن جاز أن تسمى هذا التجمع حول القدس الجديد فى ليونتو بوليس بمنطقة عين شمس فكان هونيا كما أراد أن يكون ذلك اليهودى الذى سخرته الأقدار كموسى لتجمع دينى يهودى جديد كما ورد فى نبوءة أشعيا وكما يوردها جوز يفوس تلك النبوءة التى شجعت هونيا على تصميمه على اقامة معبد فى مدينة مقدس مصرية جديدة ومذبحاً جديداً وقلعة أى فى مدينة ليونتو بوليس والكل مماثل تماماً و بدقة لبيت المقدس الأولى فى فلسطين و يكون هونيا كما يقدمه لنا جوز يفوس تعصباً وز يادة فى تحيزه (الرجل اليهودى الذى على يديه بنى معبد تل اليهودية) حسب نبوءة أشعيا كما ذكرنا .

هذا هو اليهودى الذى خلف موسى فى جمع اليهود من جديد فى مصر على أرض غير القدس الفلسطينية وعلى البقعة من الأرض المصرية التى جمع عليها موسى اليهود برسالته قبل الخروج من مصر و يشير جوز يفوس إلى تلك الاختلافات الدينية بين اليهود فى الاسكندرية التى حدثت بين فرقهم المتنابذة ممن يعتقدون أن بيت المقدس هو الوحيد الذى بنى على شريعة موسى ولا يجوز استبداله بغيره و بين السامريين الذين يتمسكون بمعبدهم المقام على جبل جار يز ين Garirein والذى باعترافهم أن آباءهم بسبب الجفاف الذى كان يصيبهم ولاعتقادهم فى بعض الخرافات القديمة اعتادوا أن يحافظوا على اليوم الذى يسمى عند اليهود السبت Sabbath ثم أقاموا معبداً فوق جبل جار يز ين دون أن يسموه ــ وكان ذلك فى عهد الاسكندر ــ و يقدمون فيه الأضاحى المناسبة (١٥٧) .

فعلى ذلك يكون معبد هونيا بمطابقته التامة لمعبد أورشليم هو الوحيد الذى بنى على شريعة موسى كما يؤكد بعض اليهود فى قول جوز يفوس (١٥٨) رغم أن بعض الحاخامات يعتبرون معبد هونيا هذا غير كامل الشرعية (ملاحظة ١٣٦ ص ٢٩٩) .

وكما يقول الأستاذ بترى الذى قام بالكشف عن هذا المعبد فى حفائره بتل اليهودية أن آثار هذا المعبد وجدت فوق تل صناعى مرتفع حوالى ٦٠ قدماً كما ذكرت النصوص وأن رجوع اليهود لاجئين إلى مصر مرة أخرى بسبب اضطهاد انتيوخوس ايبيفانيس لهم فى فلسطين ظاهرة آثاره فى تل اليهودية أى مدينة ليونتو بوليس القديمة التى تبعد عن القاهرة بنحو عشرين ميلاً إلى الشمال وأن وجود هذا التل فى تل اليهودية يتفق اثر يا فى كل التفاصيل مع موقع معبد بيت المقدس وأن بلدة تل اليهودية هى حقيقة مدينة ليونتو بوليس (١٥٩) .

أما مطابقة الأبحاث الأثرية والحفائر التى قام بها فى القدس فلندرس يترى Flinders Petrie مع أورشليم فتثبت صحة ما ورد فى جوز يفوس عن مطابقة معبد هونيا بالقدس الجديدة لمعبد سليمان فى بيت المقدس بفلسطين كما ذكرنا فكان أول ما ظهر فى حفائر بترى بتل اليهودية هو التل الذى قام عليه المعبد تماماً كما هو الوضع فى قدس فلسطين والتل الصخرى الطبيعى الذى أقيم فوقه المعبد ولكن مع فارق واحد أن المعبد فى القدس تله من الصخر كما ذكر ذلك سترابون فيما سبق ذكره فى حين أن التل الذى وجد فى مدينة أونياس أو القدس الجديدة كان تلاً اصطناعياً من الرمال و يقول بترى أنه لذلك كان من اللازم أن تكسى جوانب هذا التل الاصطناعى الرملى بجدران من الأحجار الضخمة حتى يمكن بناء المعبد الجديد عليه ليكون مطابقاً تماماً للوضع فى أورشليم فيكون صورة طبق الأصل منه كما فعل موسى كقول سترابون وقد وجد بترى هذه الجدران الحجرية على جوانب التل الرملى فى تل اليهودية وكانت بنفس الارتفاع الذى ذكره جوز يفوس أى ٦٠ قدماً وقد تراءى له عند زيارته للموقع فى زمانه بشكل برج وكان الوضع كله مخالفاً لشكل معبد القدس (١٦٠) .

كان هذا هو الوضع الذى وجد عليه المعبد فى مدينة أونياس فالتل ليس برجاً وإنما اقتضت طبيعة أرض التلين المختلفة فى القدس على أرض فلسطين الصخرية وفى ليونتو بوليس على رمال الصحراء الشرقية فى مصر فكما يرى الأستاذ بترى أنه يجب أن تحاط جوانب التل فى مصر بهذه الجدران ذات الأحجار الضخمة البيضاء فيتماسك التل ولا تنهار رماله عند اقامة المعبد عليه فبدا التل للناظر وكأنه برجا مرتفعاً كما خيل لجوز يفوس وهذا رأى شيخ الاثريين كما ظهر له فى الحفائر بتل اليهودية لا كما بدا لجوز يفوس ولا كما ظن لو يب أن هذا الجزء من كتاب تاريخ جوز يفوس إنما هو تذييل صحح فيه المؤرخ وصفه لمعبد أونياس فالواقع أنه لم يدرك حقيقة الوضع الذى كان عليه معبد أونياس فقد قام على أرض ليونتوبوليس الصحراوية باقليم الأونيون أو أرض أونياس أو جوشن القديمة منطقة تجمع اليهود المتزمتين المتشددين أى الأرثوذكس وكان هو البديل لمعبد القدس بعد أن صار معبداً لز يوس أوليمبيوس .

ولكن قيام هذا المعبد كان مدعاة للأسف عند بعض اليهود المخلصين لمعبد سليمان فى فلسطين وخاصة فى نجاح منافسة معبد أونياس لمعبد سليمان وطبعاً كان هذا دليل واضح على أن اليهود وجدوا فيه حصناً حمى اليهودية من المارقين عليها فى فلسطين . وقد أراد الملك وهو ليس يهودياً بالطبع ارضاء اليهود الأرثوذكس فى مصر المخاصمين للحزب اليهودى الهيلانى فى فلسطين من أنصار البيت المالك فى سوريا فكانت احتياطات البلاط السكندرى وتشدده ونصائحه وحرصه على أن يلقى على عاتق أونياس نفسه مغبة كل خطأ أو مخالفة للشريعة كما ذكرنا عن جوز يفوس وأن يقيم أونياس معبده على شريعة موسى وكان ذلك من البلاط المصرى براعة سياسة لجذب كل المنشقين من اليهود على سوريا وسياستها إلى جانب مصر وكان أونياس من

جهته بعدما آل معبد المقدس إليه من سوء حال مصمماً على أن يجدده فى مصر بإقامته معبده متشجعاً بنبوءة أشعيا مما يعطيه تعضيداً دينياً فى نظر اليهود وكان الملك أيضاً حريصاً على هذا فكان لكليهما ما أراد والتف حول هذا المعبد الذى وصفه Bauché, بوشيه لوكليرك Lealerq (١٦١) بأنه معبد منشق - Schismatique التفت حوله تلك الجالية اليهودية الأرثوذكسية الكبيرة فى جوشن القديمة أى أرض أونياس الحديثة الموالية لمصر تحت رياسة الكاهن الأكبر أونياس الرابع وكما ذكرنا كانت هذه الجالية أكبر حارة يهود حتى أنهم لكثرتهم أمكنهم أن يوقفوا باحتشادهم على حدود مصر الشرقية أمكنهم ايقاف القوات التى أتت لمساعدة قيصر فيما بعد فى زحفها إليه فى الاسكندرية وقد كان ولاء هونيا لبطليموس محب أمه شديداً وخدماته كبيرة للملك والملكة بعده حتى أن الملك أسند إلى هؤلاء اليهود مناصب خطيرة فى الدولة ولهونيا بالذات أسند إليه قيادة الجيوش البطلمية مما يدل على تأكد بطليموس من اخلاصه له وما اكتسبه أونياس من ثقة الملك والملكة معاً وكان من هذه السياسة أن ضمن الملك وقوف جانب كبير من يهود فلسطين إلى جانبه ضد انتيوخوس رغم اغتصابه فلسطين من مصر فكانت سياسة البلاط المصرى ذات أثر فعال فأصبحت مسيطرة على فلسطين وجعلتها شوكة فى جانب خصومهم فى سوريا وأصبح يهود الأونيون حامية على حدود مصر الشرقية ضد سوريا .

ليت الملك قد تركهم جميعاً فدخلوا فى الهيلانية وحال بينهم وبين أن ينعزلوا بأنفسهم مرة أخرى إذن لكانوا قد استؤنسوا وتحضروا وزال عنهم انطواؤهم وما غرس فى نفوسهم من عقد ولما توجسوا الشر من غيرهم ولما تحفزوا دائماً ضد الآخرين ولما تعصبوا لأنفسهم ضد سائر البشر والأديان حتى أصبح شعارهم الآن أينما حلوا أنهم « يهود قبل كل شيء » فتوحشوا ونفروا من الناس أجمعين فسخر منهم العالم وأصبحوا أينما وجدوا منعزلين كما عزلوا أنفسهم فى أرض أونياس أكبر حارة لليهود فى التاريخ .

هكذا أثيرت المسألة اليهودية مرة ثانية فى مصر وتجددت مشاكلها بشكل آخر بعد موسى بطل الخروج فى الأول ولكن كان للسامية فى المرتين الأولى والثانية وجهان ففى عهد موسى بطل الخروج كان يطلب النجاة لقومه ودينه من نير فرعون الذى تمسك بمنعهم من الخروج من أرض مصر ولكن موسى حاول ونجح فى الخروج بل بالهرب بقومه ودينه طالباً النجاة والأمان خارج مصر بعيداً عنها .

وفى المرة الثانية كان بطلها هونيا أو أونياس الرابع فهو بطل العودة إلى مصر والتجمع اليهودى الثانى فيها بلجوئه إليها مستغيثاً ببطليموس فيلوميتور مستنجداً ومستجيراً ليحميه وقومه ويهوديته ، أن يغيثه من عبث العابثين بدينه وذل عسفهم واغراء المارقين من اليهودية بالتحول عن شر يعتهم فتغيثه مصر متسامحة كريمة وتحميه ودينه وشعبه وتيسر له المكان لاستقرارهم باستيطانهم فى جزء

من أرضها وإقامة معبد جديد وانشاء قدس جديدة فى مدينة من مدنها وتوفر لهم عبادة آمنة مطمئنة وحرية اقامة شعائرهم وطقوسهم على طريقة آبائهم الأولين وقد اعترف بذلك مؤرخوهم بما يؤكده كتابهم المقدس كما ورد فى نبوءة أشعيا (١٩ / ٢١) « فيعرف الرب فى مصر و يعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم و يقدمون ذبيحة وتقدمة و ينذرون للرب نذراً و يوفون به » فلا خوف ولا اضطهاد ولا قهر بل بعث جديد لهم ومحافظة على يهوديتهم وما يعتقدون .

ولكن لما حان وقت اختبار ولائهم واستمساكهم بالوفاء للعائلة التى آوتهم وآمنتهم مما يخافون تبين أن الوفاء والولاء أوهى وأضعف ماعندهم ففيما بعد عندما كان قيصر يحارب فى الاسكندرية بعد مطاردته خصمه يومپى وكانت قوات له مساعدة من اليهود فى طريقها إلى الاسكندرية لشد أزره تمكنت هذه الجالية فى أرض أونياس كما كانت تسمى تمكن هؤلاء المقيمين بأرض أونياس أو هونيا أن يقفوا فى وجهها ويمنعوها (١٦٢) فإلى هذا الحد يمكن أن نتصور مقدار هذا الحشد من السكان اليهود فى هذه المنطقة أو الدويلة اليهودية من حيث القوة العددية ولكن انتيباتيروس القائد اليهودى الذى كان على رأس جنود النجدة لقيصر فى هذه اللحظة أمكنه أن يغرى هؤلاء اليهود الأونيين على حدود مصر الشرقية لينضموا اليه بما ذكرهم به من صلة القرابة والدم بين كل اليهود عامة (١٦٣) أى أن انتيباتيروس قد أثار فيهم عنصريتهم التى نشأوا عليها واتخذوا اليهودية لها سلاحاً عنصرياً فهى فيهم موضع الخطر والتقلب والتلون والخيانة القاتلة .

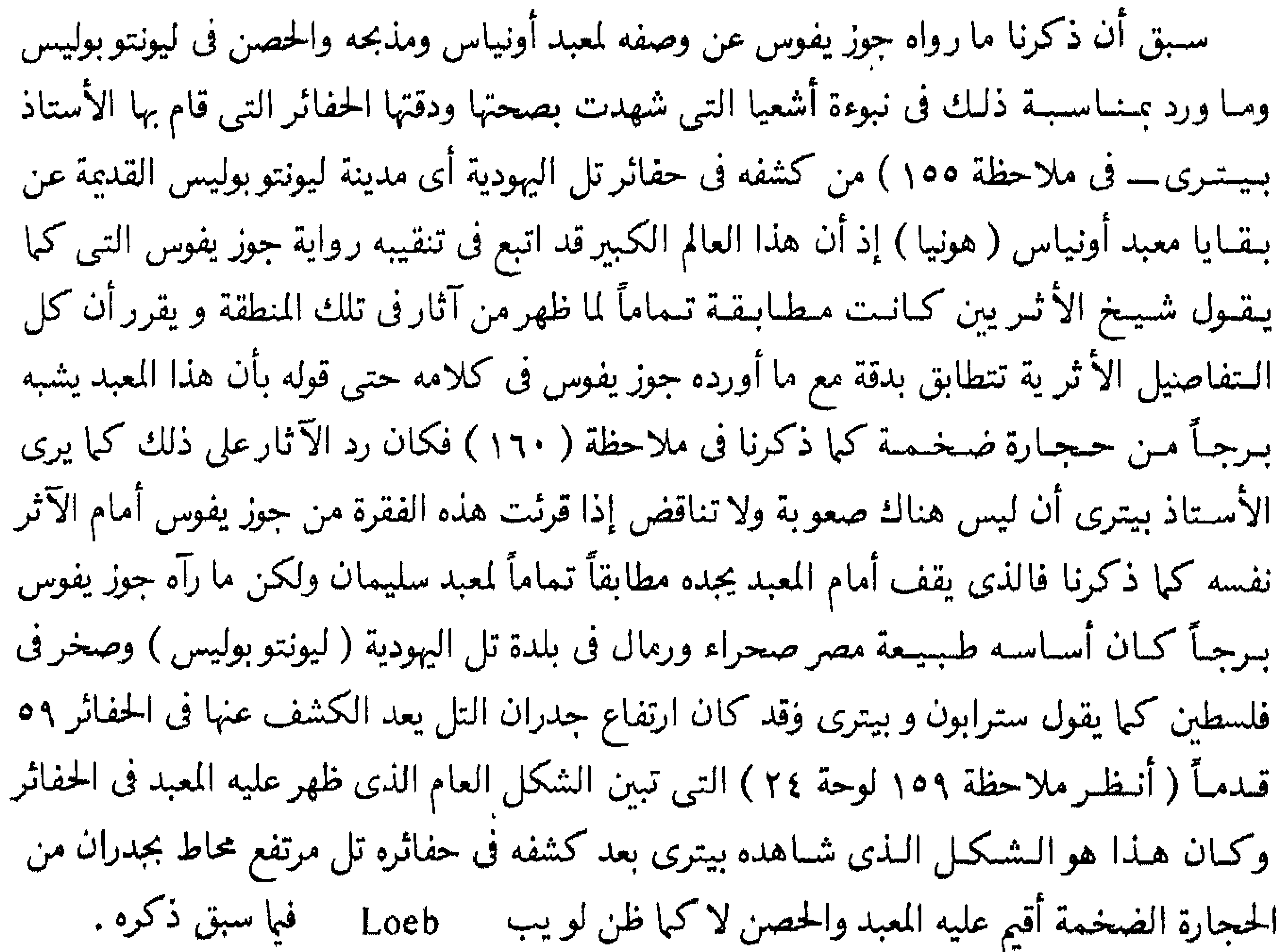
انقلب الأونيون اليهود إلى جانب القوات العسكرية اليهودية التى أتت لنجدة قيصر لا سيما عندما أراهم انتيباتيروس خطاب رئيس الكهنة فى المقدس الفلسطينى Hyrkannos هيركانوس وفيه يحث اليهود مخاطباً العنصرية فيهم أن يكونوا جميعاً على صداقة لقيصر وأن يستقبلوا قواته بالكرم ويمدونها بكل احتياجاتها (١٦٤) .

هكذا أضاعت فيهم العنصرية والسياسة قيم الصداقة والاعتراف بالجميل لعائلة البطالمة وما كان لها من فضل عليهم واستجابوا لمن كانوا يخشون على دينهم منهم المارقين من اليهودية من اليهود الهيلانيين فى فلسطين الذين عانوا من ملوك مقدونيا السوريين على عكس الأونيين الذين حظوا بصداقة وكرم البطالمة فى مصر وهم الأقوياء الذين يمكن أن يكونوا محايدين ولكنهم بتلك العنصرية القبلية القائمة على قرابة الدم واليهودية مهما كان اختلافهم لم تؤثر فيهما أية صداقة أو فضل عليهم يأتى من غير يهودى فأخضعتهم السياسة وأذعنوا لعنصريتهم فأطاعوا رغبات انتيباتيروس ورئيس الكهنة (١٦٥) كذلك إنضم أسوة بهم جاليات يهودية قرب منفيس إلى القائد اليهودى الآخر ميثر يداتس إذ أنهم لما أن سمعوا أن الأونيين قد انضموا إلى قيصر دعوا بدورهم ميثر يداتس فأتاهم وضمهم إليه (١٦٦) .

هكذا كان الأونيون أسبق المستعدين على مصر بجحودهم أفضالها عليهم وخانوا العائلة التى آوتهم وجمعتهم وحمتهم بدينهم من أعدائهم وأعدائه بدلاً من أن يكون غيرهم من اليهود الذين لم يحظوا بمثل ما ناله الأونيون من كرم ومودة وعطف وامتياز ورغم ما غمرتهم به مصر من خيراتها بوجودهم بأرضها وحمايتها كان فريق أونياس أو هونيا البادئين بل وسار على حذوهم فى النكران والتنكر اليهود الآخرون فخانوا بلداً أكلوا عيشه واستظلوا بحمايته ودانوا له بحياتهم فقابل كل يهود مصر من أونيين وغير أونيين السماحة والكرم بالكفر والعدوان فسرعان ما انقلبوا إلى عدو فى أرض يعيشون بين أهلها و يد لعدوان العادين عليها فكان طبعهم غلاب وتعصبهم لعنصر يتهم أقوى وأنانيتهم ومصلحتهم أشد وأكبر من أن يثبتوا على عهد أو أن يعترفوا بجميل فإنضم الجميع إلى القائد اليهودى وعسكره من اليهود وسعوا معه لنصرة المعتدين من أبناء روما البلدة الهيلانية الصغيرة الناشئة الطموحة الحاقدة على الاسكندرية أم الدنيا وأكبر مدن العالم إذ ذاك وحاملة مشعل الحضارة بعد أثينا الخالدة أم القرى وقد كان فضلها على اليهود عظيماً لا ينكره إلا اليهود أنفسهم .



رأى بيتــرى



سبق أن ذكرنا ما رواه جوز يفوس عن وصفه لمعبد أونياس ومذبحه والحصن فى ليونتو بوليس وما ورد بمناسبة ذلك فى نبوءة أشعيا التى شهدت بصحتها ودقتها الحفائر التى قام بها الأستاذ بيترى ــ فى ملاحظة ١٥٥) من كشفه فى حفائر تل اليهودية أى مدينة ليونتو بوليس القديمة عن بقايا معبد أونياس (هونيا) إذ أن هذا العالم الكبير قد اتبع فى تنقيبه رواية جوز يفوس التى كما يقول شيخ الأثريين كانت مطابقة تماماً لما ظهر من آثار فى تلك المنطقة و يقرر أن كل التفاصيل الأثرية تتطابق بدقة مع ما أورده جوز يفوس فى كلامه حتى قوله بأن هذا المعبد يشبه برجاً من حجارة ضخمة كما ذكرنا فى ملاحظة (١٦٠) فكان رد الآثار على ذلك كما يرى الأستاذ بيترى أن ليس هناك صعوبة ولا تناقض إذا قرئت هذه الفقرة من جوز يفوس أمام الآثر نفسه كما ذكرنا فالذى يقف أمام المعبد يجده مطابقاً تماماً لمعبد سليمان ولكن ما رآه جوز يفوس برجاً كان أساسه طبيعة مصر صحراء ورمال فى بلدة تل اليهودية (ليونتو بوليس) وصخر فى فلسطين كما يقول سترابون و بيترى وقد كان ارتفاع جدران التل بعد الكشف عنها فى الحفائر ٥٩ قدماً (أنظر ملاحظة ١٥٩ لوحة ٢٤) التى تبين الشكل العام الذى ظهر عليه المعبد فى الحفائر وكان هذا هو الشكل الذى شاهده بيترى بعد كشفه فى حفائره تل مرتفع محاط بجدران من الحجارة الضخمة أقيم عليه المعبد والحصن لا كما ظن لو يب Loeb فيما سبق ذكره .

وقد تضيف المكتشفات دليلاً آخر على وجود اليهود بهذه المنطقة فى ليونتو بوليس إذ قد عثر بيترى على شقفة من الحجر هامة سجلت عليها بعض حسابات تسليم الطوب للبنائين وسجل عليها اسمان يهوديان هما شابانای وابراهام بالعبرية كانا يعملان فى تسليم الطوب (أنظر ملاحظة ١٥٩ لوحة ٢١ وصفحة ٢٠) ثم يخبرنا بيترى بظاهرة فريدة فى هذه الحفائر فعندما نعمق فى الحفر فى هذا التل الرملى المغطى بالأحجار الكبيرة وجد فى عمقه على مستوى الأرض

التى أقيم عليها التل عدداً كبيراً من أفران عيد الفصح صففت فى خطوط ومجموعات ومبنية من الطوب الأحمر سعة الواحد منها قدمان وارتفاعه قدمان ونصف القدم و يضيق الفرن كلما ارتفعت نحو الفوهة وكأنه خلية نحل مفتوحة من أعلا (٣١ ص ١٠٥) و وجد بهذه الأفران رماد وقود الخشب وقد أوقدت هذه الأفران كلها حتى إحمر الجزء الذى يحيط بها على سطح الأرض تحت الأفران وحولها وقد وجدت فوق الرماد بداخل الأفران بعض عظام أرجل الخراف وقد طابق هذه كله مراسم احتفال عيد الفصح تماماً ففوق هذه الأفران يشوون الخراف (١٢ / ٣ سفر الخروج) ثم أن هذه الأفران تدل على أنها قد استعملت جميعها لفترة معينة ولم تكن للاستعمال العادى للطبخ فقد وجدت كلها على مستوى سفح التل الرملى تدفن جميعاً فى وقت واحد عند تكديس رمال التل عليها . و يفسر بترى ذلك بأنه عندما تأسس هذا المقدس الجديد دعى أونياس إلى اجتماع ضخم من رؤساء القبائل والعائلات اليهودية فى مصر فحضروا إلى هذا المكان من كل أنحاء مصر التى انتشروا فيها (ملاحظة ١٥٥ ص ٢٢) وعلى أرض مدينة الشمس أى القدس الجديدة تراصت الأفران مجموعات لكل قبيلة فى خطوط تماماً كما يجرى فى عيد الفصح (الخروج ١٢ / ٣ وما بعده) و بعد غروب الشمس مباشرة توقد الأفران و يعلو اللهب من آلاف الأفران هذه وتذبح الخراف أيضاً بعد الغروب مباشرة وتشوى على نيران الأفران فى هذا الاحتفال المهيب و بعد الانتهاء من الأكل يقوم الجميع فيهيلون الرمال على الأفران الموقدة فتخمد اللهب وهكذا كانوا يبدأون تأسيس المدينة الجديدة بأن يميتوا نيران الأضاحى (١٥٩ ص ١٠١) وفى هذا معنى عميق كما يقول بيترى ومغزى بالغ الأهمية رغم أن هذا العمل ليس صواباً تاماً ولا حلالاً صرفاً إذ كانت العادة عند الكنعانيين أن يضحوا بولد (أنظر فؤاد حسانين ملاحظة ٢٠) يضعونه تحت أساس ما يبنون أما فى العصر اليهودى فقد تغير هذا الأمر فقد استعيض عن التضحية بآدمى بالتضحية بالنار فقد عثر فى فلسطين فى أساس أحد المبانى على مصباح كان مضاء وغطى بإناء وهكذا تطور الأمر « فإخماد النار وإماتتها أصبح عوضاً عن قتل وإخماد أنفاس آدمى » فالروح نار ية .

والواقع أن الأستاذ مونتيه P.Montet قد كشف عن مثل هذه الضحايا الآدمية فى حفائره بتانيس أو صان الحجر (أنظر ملاحظة ٢٩ ص ٩٨ ـــ ٩٩) إذ وجد قدر ين من الفخار كتابوتين يحتو يان كل على هيكل عظمى واحد منها تحت الأبنية والآخر داخلها وفى خارج تانيس أيضاً وجدت الضحايا الآدمية فى وادى التوميلات Toumilat . وهو مكان لخط القوافل من فلسطين إلى مصر وكذلك يقرر الا ثر يون أن مثل هذه الضحايا الآدمية وجدت فى كنعان وفى مجدو وفى جزر جيزر ـ Gezer ثم يقول مونتيه أنه رغم احتجاج الأنبياء اليهود من أهل هذه البلدان فإن الاسرائيليين المرابطون فى فلسطين كانوا يذبحون الأطفال و يضعون رفاتهم فى أساسات المبانى وعن تانيس يقول أن هذه الضحايا الآدمية قد أخذها

المصريون عن الاسرائيليين بعد حرب الكفرة وانتصار آمون عندما أقام بسوسينس Psousenes المعبد الذى وجدت كل طوبة منه مختوم باسمه (أنظر ملاحظة ٢٩ ص ٩٨ــ ١٠١) وهذه العادة كانت قاصرة على الأماكن التى يتردد عليها الساميون الاسرائيليون فقط دون أى أثر لها فى أماكن أخرى بمصر ثم أنظر أيضاً (فؤاد حسنين فيما سبق ملاحظة ٢٠) .

فوجود هذه الأفران تحت التل الرملى فى تل اليهودية بهذا العدد الهائل وعلى أوسع نطاق أى بمدينة ليونتوبوليس تحت رمال التل الاصطناعى لاقامة المعبد عليه كان مصداقاً أيضاً لنبوءة أشعيا « يعرف الرب فى مصر و يعرف المصريون الرب فى ذلك اليوم و يقدمون ذبيحة وتقدمة و ينذرون للرب نذراً و يوفون به » (١٩ / ٣) .

ثم يكتشف بترى أيضاً ركاماً ضخماً من عظام الأضاحى اليومية بالمعبد ملقى خارج المدينة إلى الشمال ثم قبل ذلك وجد Naville شواهد مقابر يهودية على الطريق من مدينة أونياس إلى أحد الأماكن فى الصحراء .

فكثرة هذه الأفران يثبت تماماً و بوضوح ما قصده أونياس حسب ما ذكرناه سالفاً عن جوز يفوس إلى ما كان يريده من تجميع اليهود حول هذا المعبد فجعل من رؤساء القبائل والعائلات اليهودية المستوطنين فى مصر كما ذكر بيترى شركاء فى إقامة المقدس المصرى الجديد فكانوا كلهم مجتمعين ومجمعين على هذا أى اقامة قدس ومعبد ومذبح مع قلعة لله الأكبر منفذين بذلك نبوءة أشعيا .

فكل الدلائل الاثرية من وجود المعبد فوق التل الرملى المصطنع بأحجار جدرانه الشاهقة بما وجد تحته من آلاف الأفران للأضاحى تشير إلى حشد يهودى ضخم فى يوم تأسيس قدس جديدة كان يعتبر عيد فصح للعودة إلى مصر والرجوع إليها بعد الخروج من أورشليم هرباً من نير انتيوخوس بعد أن كان عيد الفصح للخروج من مصر .

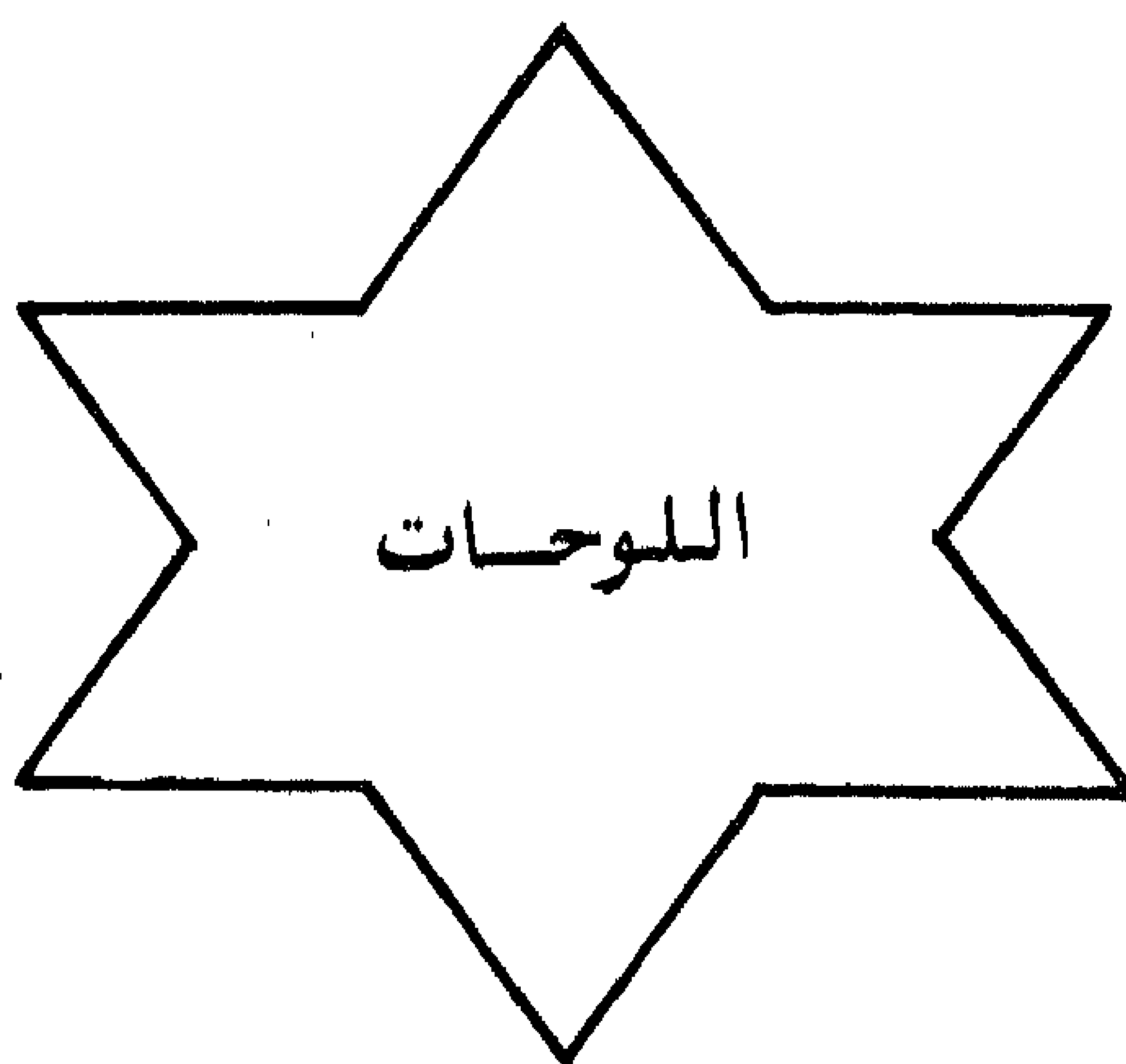
ثم أن الكشف عن تحصين قوى لهذه البلدة يخالف كل تحصين وجد فى مصر ووجود مدينة كاملة على مستوى هضبة مرتفعة صمم مكان المقدس فيه بنفس نسب معبد سليمان فى القدس الفلسطينية أمامه صالة داخلية وخارجها صالة خارجية وكان اليهود يشتركون فى بنائه بتقديم الطوب مهمتهم القديمة فى عهد الفراعنة التى كانوا يجيدونها وكانت هى سبب شقائهم كما ثبت من العثور على شقفة الحجر كما ذكرنا والتى تحمل اسمين يهوديين لشخصين يعملان فى ذلك مع وجود آلاف من أفران الأضاحى فى أساس التل لانشاء المعبد فوقه ثم ركام العظام المحروقة للأضاحى اليومية خارج مدينة ليونتوبوليس ثم وجود شواهد المقابر اليهودية ثم ما وجد خارج المدينة من آثار تشير فى دلالة ثابتة إلى وجود القدس الجديدة وانشائها فى مدينة الشمس أو

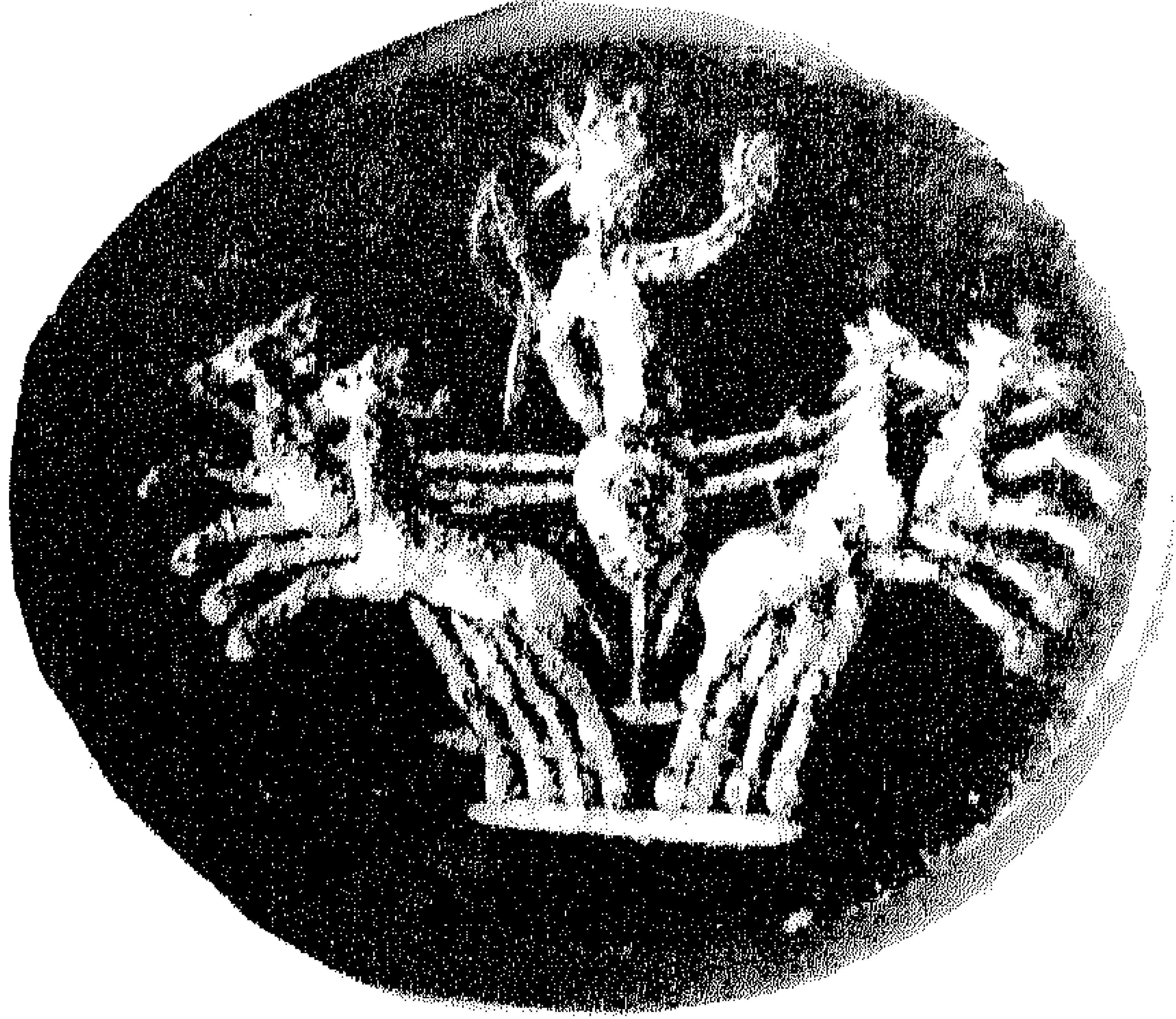
ليونتو بوليس المصرية يشير كل هذا إلى أنها كانت مدينة مقدسة صورة صادقة شكلاً وسمة لمدينة القدس فى فلسطين .

هكذا كانت العودة إلى مصر بقيادة أونياس رئيس الكهنة الصالح الأرثوذكسى بعد موسى الذى قاده الخروج من مصر قبله وكان كلا الخروج والرجوع من مصر وإليها والمقدس الجديد المصرى حماية لليهود واليهودية !!

* * *

●●●●


اللوحـــات



لوحــة (١)

(أ)

هـذا مثل ظاهر الدلالة على تأمل المصريين فى وقت فراغهم وتفرغهم وقد مثل على فص خـاتم مـن عـقـيـق بيضاوى (٧-٩مم).جيدوا فيه الـحكم المطلق فجعلوا رمزه إله الشمس [صـول Sol] المهيمن أى الكوموكراتور واقفاً فى عربة كونية تجرها جياد أربعة وعلى رأسه تاج الـشمس المشع ورافعاً يده وبالأخرى يمسك بمقود الـخيول الأربعة التى تمثل العناصر الأربعة المكـونـة للـكون وهى أشهر الأضداد ومن هيمن عليها جعلها تتسق مع بعضها البعض فيسود الـعـالـم الأمان والاعـتـدال والـتـوازن والهـارمـونية الكونية ومن هنا نشأت نظرية حكم الفرد الصالح .



لوحــة (١)

(ب)

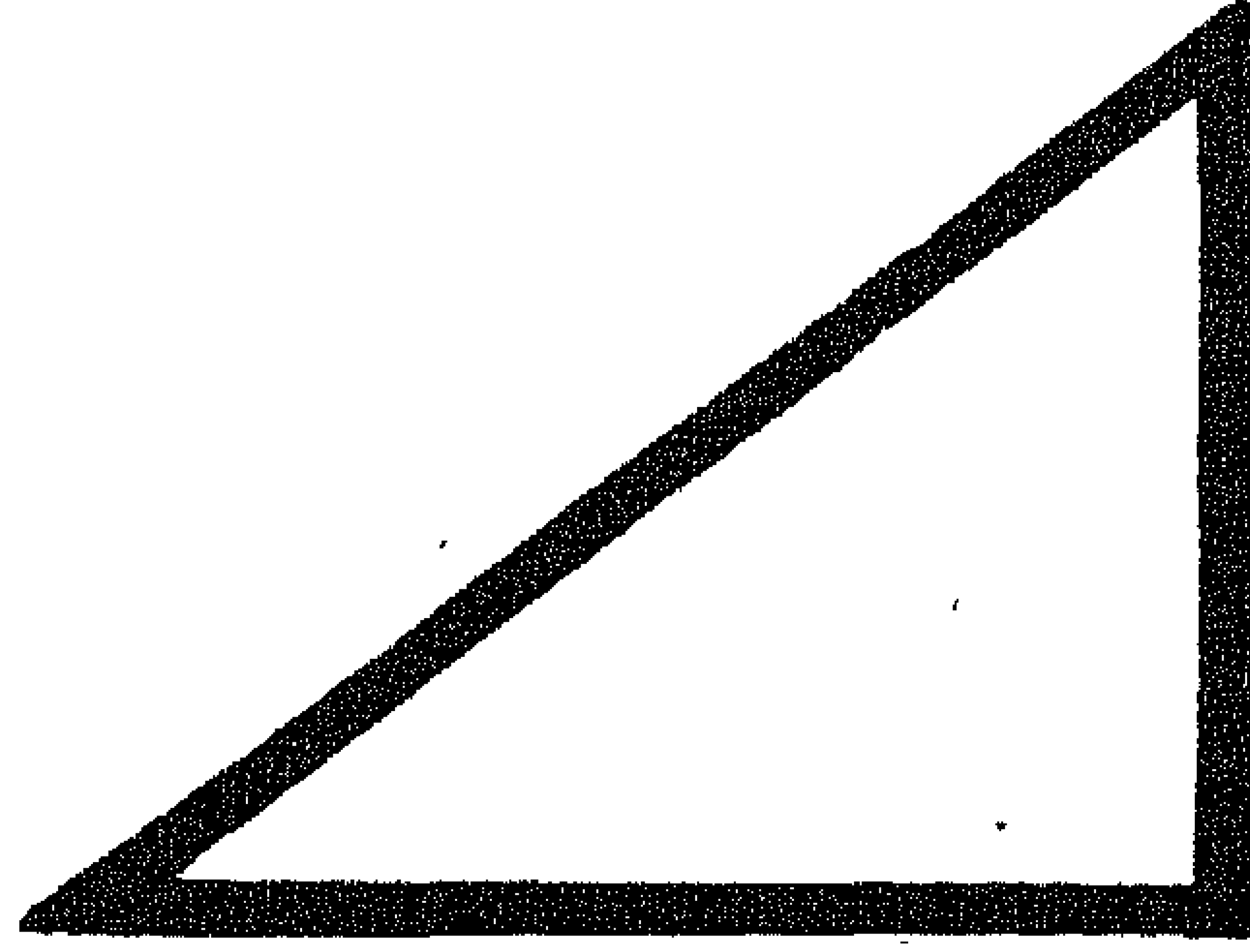
انتشرت عبادة التمساح مرتبطة بعبادة أوزيريس وحورس فى أراضى المستنقعات فى الدلتا كما كانت فى مدينة الفيوم على بحيرة موريس (قارون) وقد اختلط التمساح فى البانثيون المصرى بشخصيات الآلهة اليونانية الرومانية فمثل على نقود مديرية مينيلايتوبوليس Menelaitopolis فى الدلتا التى ضربها الامبراطور تراجانوس (القرن الثانى م.) وقد اندمج فى الشكل النقدى على الظهر التمساح فى حورس كانوبوس عاصمة الاقليم فكان نصفه الأعلى بشكل حورس الآدمى وسبابته فى فمه وحاملاً قرن البركة على كتفه والنصف الأسفل بشكل تمساح ـ وكان كنه عبادة التمساح مشابهته للإله الأول فى مميزاته وخصائصه كما ورد فى بلوتارخوس قوله أن « عبادة التمساح لا تخلو من سبب معقول » ـ أنظر ملاحظة (٣٤).



قطعة نقود من البللون (فضة غير نقية) من مجموعة النقود الرومانية المسماة نقود الاسكندرية (مكان ضربها) وهى النقود الخاصة بمصر دون بقية الاقاليم الرومانية واستمر ضرب هذه النقود طوال الثلاثة قرون الأولى الميلادية.

على ظهرها: مثل الإله سرابيس الأحد (Heis) وقد توحدت فيه كل الآلهة الاخرى وجمعت الصورة كل رموز هذه الآلهة ـ فعلى رأسه الموديوس (Modius) مكيال للقمح رمز خصوبة الارض كاوزيريس ثم على رأسه ايضا قرن الكبش رمز الإله آمون والتاج المشع لزيوس إله الشمس اى هيليوس Helios وخلف ظهره آثار لقرن البركة Cornucopial رمز النيل وامامه الحربة ذات الثلاث شعب Trident كإله البحر Poseidon بوسيدون اليونانى أو Neptune نبتون الرومانى وعلى ساق الحربة التف ثعبان رمز الإله اسكلبيوس Asklepios إله الشفاء ـ وتاريخ هذه القطعة من عهد الامبراطور هادريان فى القرن الثالث م.

وهذا تمثيل ايضا كالوحدانية التى ذكرها سترابون على لسان موسى ان الله يشملنا جميعا و يشمل السماء الذى نسميه الكون و يشمل الارض والبحار.



لوحه (٤)
مثلث الخلق

مثلث قائم الزاوية:
العمود - طوله ٣ سم وهو أول عدد فردى فى الاعداد بعد العدد (١) وقد وصفه بلوتارخوس (بالكامل) وهو المذكر وهنا يرمز الى اوزيريس اى الاصل.
القاعدة - طولها ٤ سم العدد الذى يساوى مربع العدد (٢) اول عدد زوجى فى الاعداد وهو المؤنث ويرمز هنا الى إزيس قاعدة الانتاج أو المادة المستقبلة.
الوتر - طوله ٥ سم أى حورس أوهاربوكراتس ابن اوزيريس وازيس وطوله مكون من (٣) اى الاب اوزيريس ثم (٢) المؤنث اى الام ازيس.

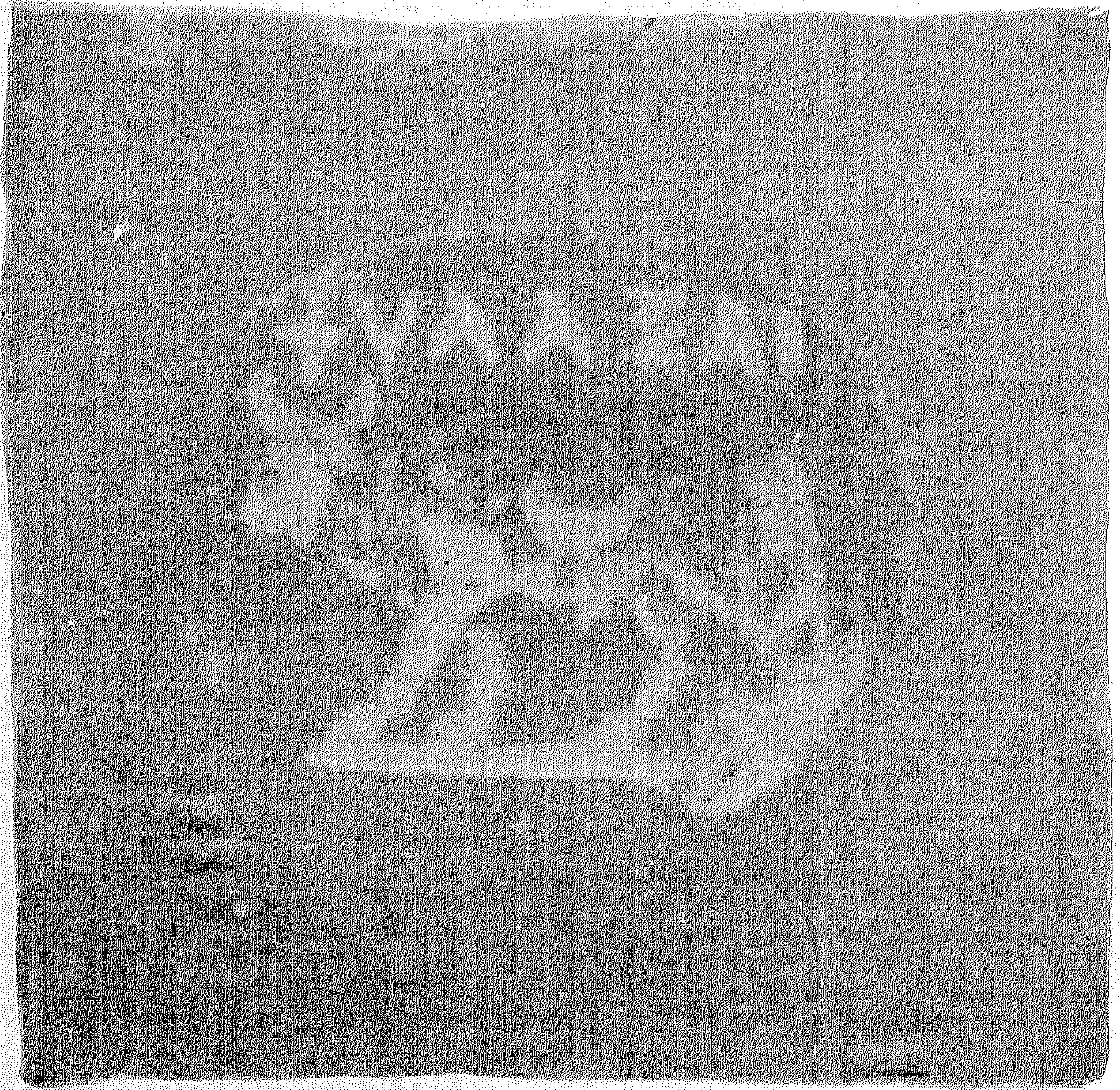
وحسب نظرية بيتاجوزاس (فيثاغورث) فالمربع القائم على وتر المثلث القائم الزاوية يساوى المربعين القائمين على الضلعين الأخرين وهذا يعنى أن الكل فى واحد والواحد يشمل الكل (إنظر بلوتارخوس ازيس وازيريس 56,344).

أى الثالوث الذى لا يمكن فصل اعضائه عن بغضها فوحدتهم لا تنفصم.



لوحة (٥)

قطعة نقود من مجموعة نقود الاسكندرية من عهد الامبراطور هادريان (القرن الثالث م)؛ على ظهرها: شكل يمثل ثالوث الاسكندرية السماوى، ازيس وسرابيس (اوزيريس) وبينهما الأبن هورس أو هاربوكراتيس والكل على ظهر نسر طائر يمثل السماء (برونز).

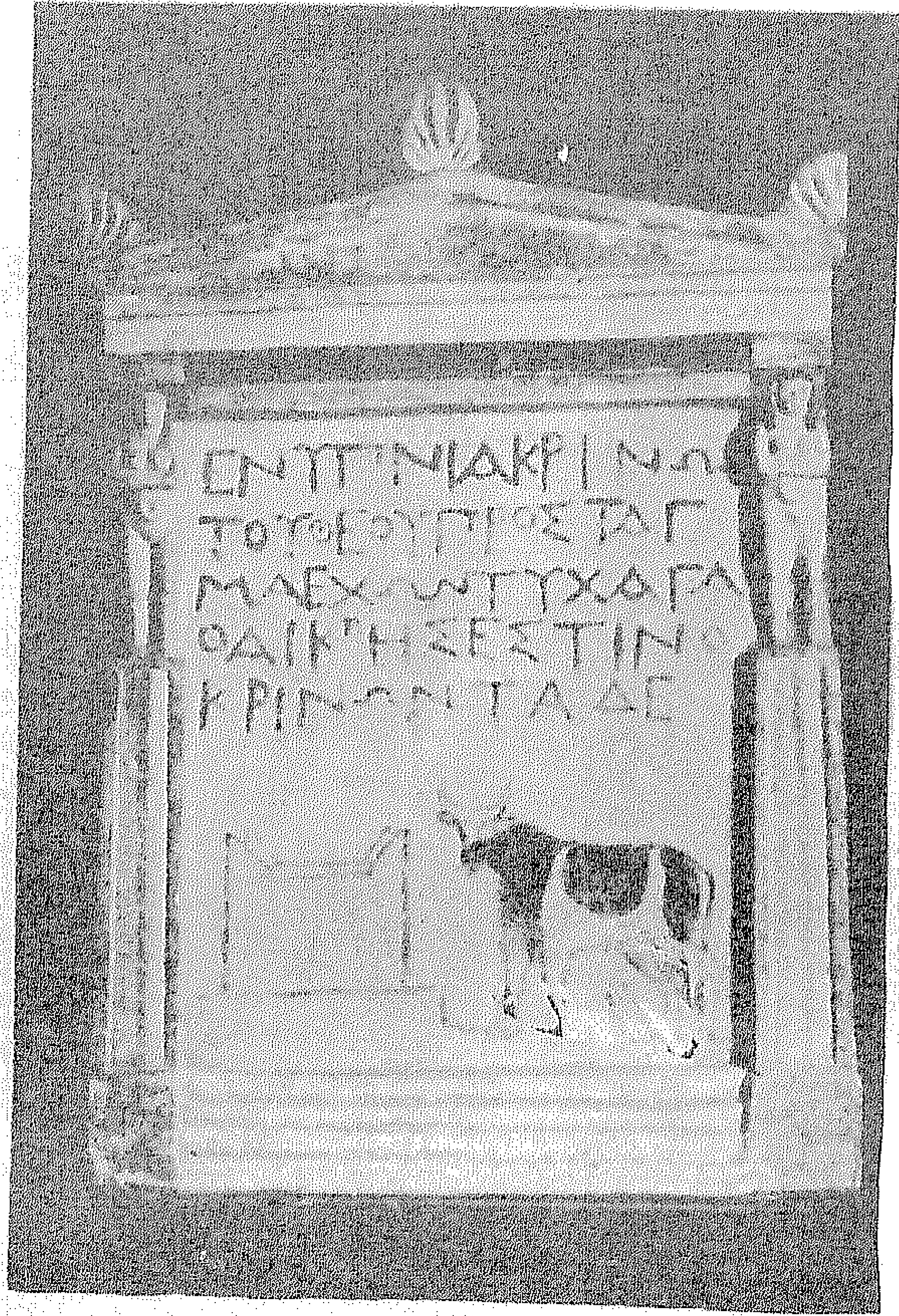


لوحة (٦)

-١-

(١) فص خاتم من حجر الشيست Schiste مستطيل (١٠×٨ مم) منقوش عليه بالحفر الغائر عجل ابيس الإله وعلى جانبيه الهلال علامة انتسابه للقمر وفوق رأسه نقشت كلمة يونانية Phylaxai ومعناها احفظنا أو احمنا.

العصر اليوناني الروماني - المتحف المصري.



لوحة (٦)

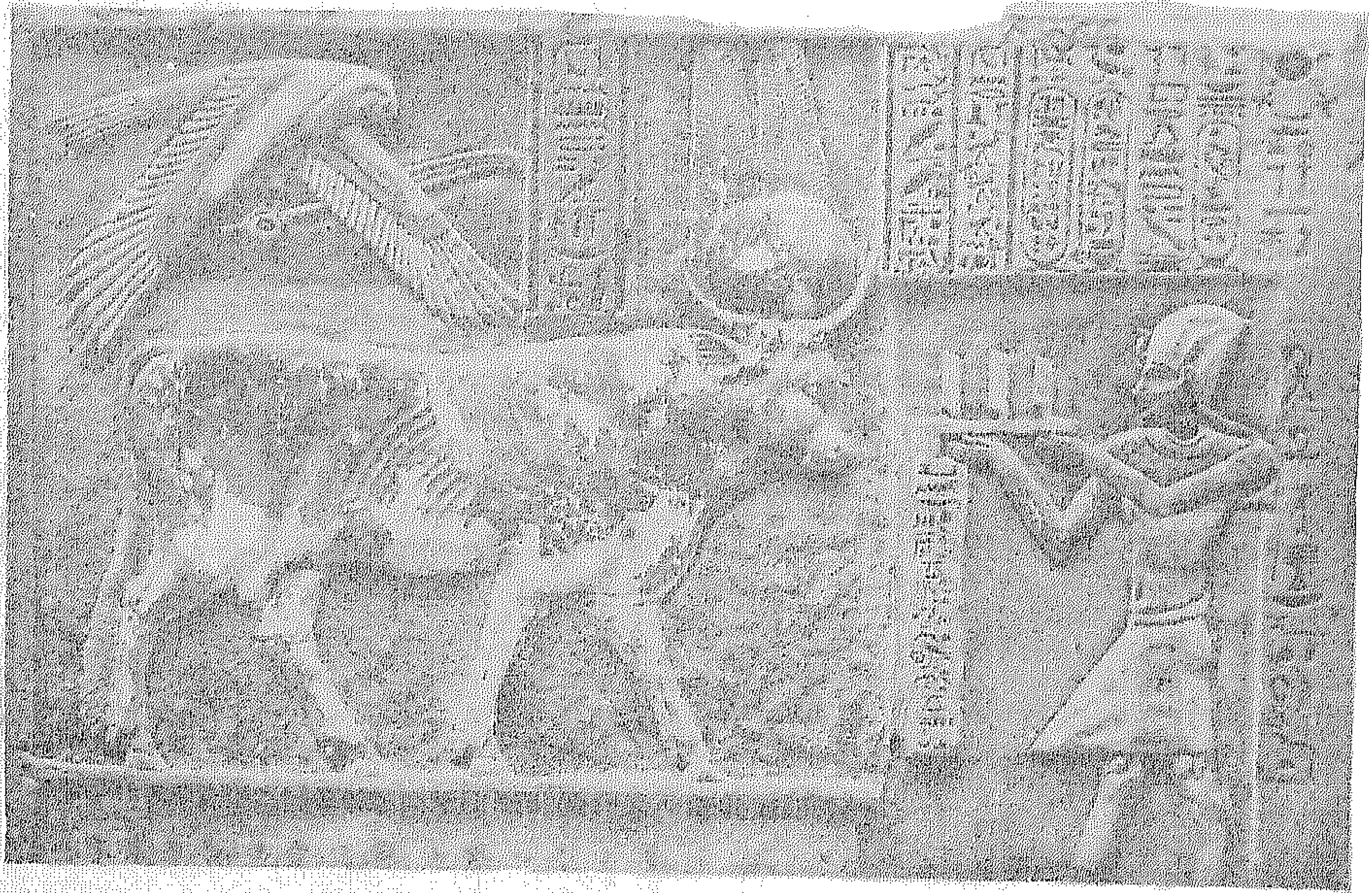
-٢-

لوحة جنائزية من الحجر الجيرى اكتشفها الاستاذ مريت **Mariette** فى الباستوفوريون **Pastophorion** بسقارة لأحد الكهنة من مفسرى الاحلام من غير سلك الكهنوت الرسمى بالمعبد، رسم عليها عجل ابيس الإله بالوانه التقليدية الاسود والابيض واقف وامامه مذبح وفوقه نص يونانى:

«افسر الاحلام هبة من الله حظا سعيدا، ومفسر الاحلام هذا رجل من كريت».

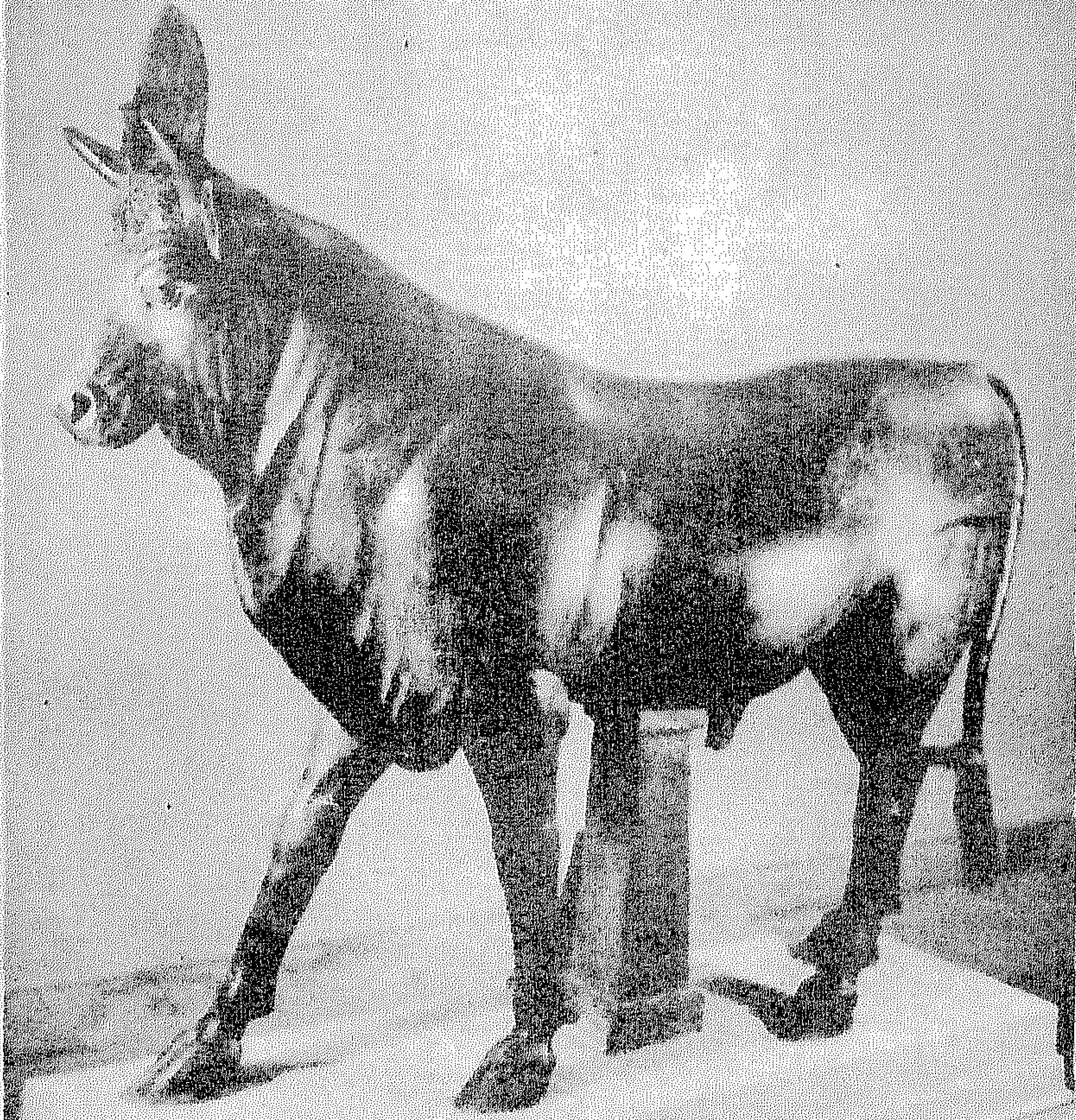
وكل عناصر هذه اللوحة مصرية فعلى تاجى العمودين الإلهتان المصريتان ازس ونفتيس وقد أرخ الأستاذ مريت هذه اللوحة فى العصر البطلمى (القرن الثانى ق. م).

المتحف المصرى



لوحة (٧)

هذا الثور أحد العجول المقدسة كابيس وقد تقمصته روح الإله مونثيس Monthis الذى كان حاميا للملوك الأسرة الحادية عشرة واتحد بعد ذلك بآمون اله الشمس وقد تقمص الإله مونثيس هذا العجل المقدس الذى سمى فى العصر المتأخر بوكيس Buckis فى مدينة هيرمونثيس Hermonthis (أرمنت) وقد حفر على لوحة من الحجر الجيرى حفرا بارزا وغطى جسمه كله بالذهب وخلفيته زرقاء بلون السماء وفوقه الصقر (هورس) رمز السماء و يقدم له الحاكم فى معبده لوحة عليها ثلاث ريش (معت) رمز العدل والحقيقة فهو الاله الحق العادل الذى يهب الحاكم نعمة العدل والحق يعيش بها حياته. برج الثور (الشمس فى برج الثور).



لوحة (٨)

عجل ابيس الإله بالمتحف اليونانى الرومانى بالاسكندرية وتدل صورته بوضوح على أنه ملك الحيوانات كما كان يعتبره المصريون وغيرهم من الرعاة والفلاحين وبين قرنيه قرص الشمس وعليه الحية.

من عهد الامبراطور هادريان (القرن الثالث) متحف الاسكندرية.



لوحة (٩)

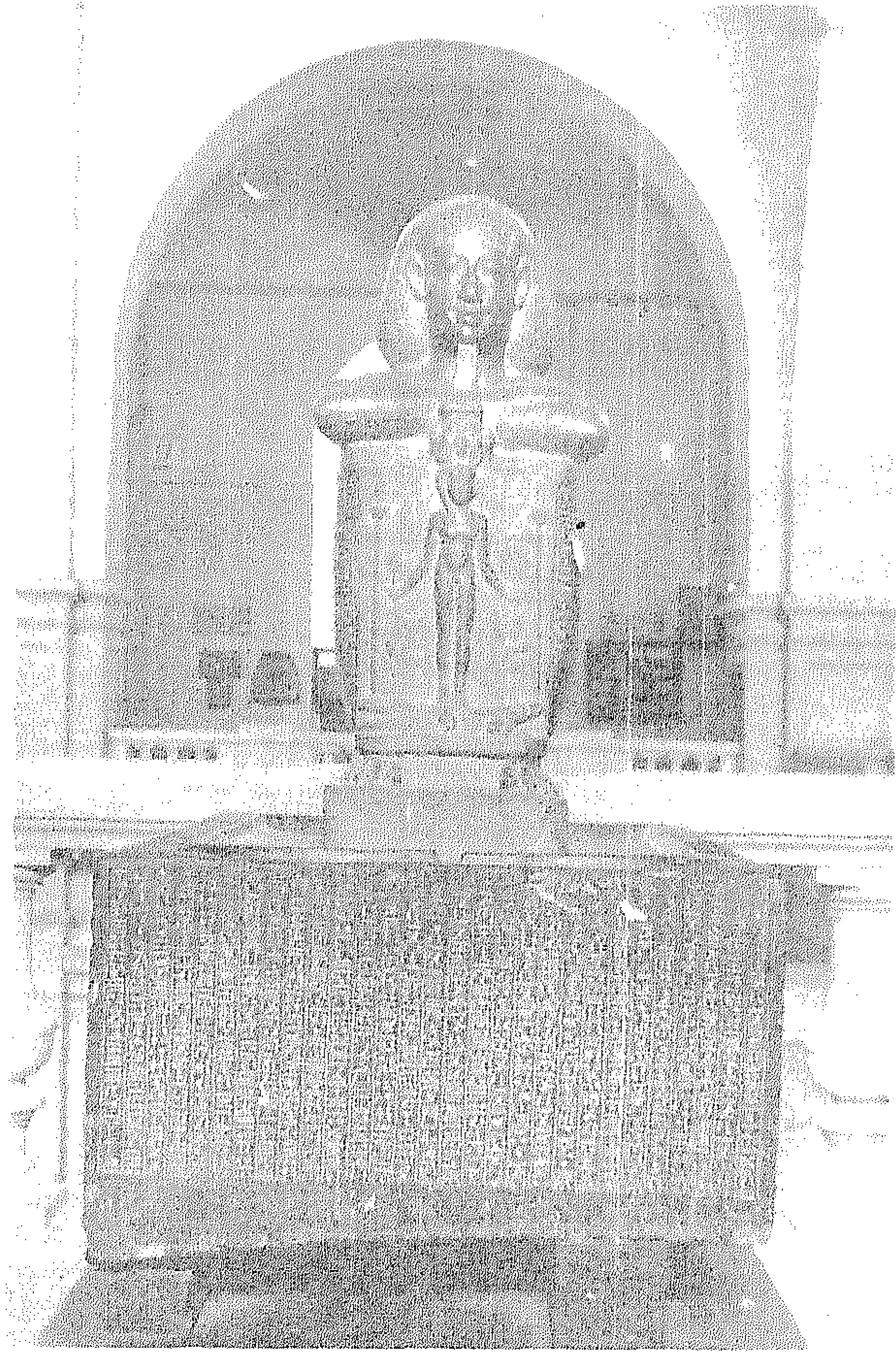
الإله مثرا الفارسى يصرع الثور و يذبحه بسكين فى يده و يتعلق برقبة الثور كلب مثرا إله الرعاة ثم تحت العجل ثعبان يمثل الارض التى ترتوى من دم الثور فتخصب وتخضر.

ومثرا على رأسه الكاب ينظر الى السماء يستلهم الأمر بذبح الثور من إله الشمس - تمثيل فلكى يرمز إلى الربيع حسب الابراج الشمسية فتخضر الارض وتزدهر الدنيا وتدب الحياة فيها بتضحية العجل - المتحف المصرى.



لوحة (١٠)

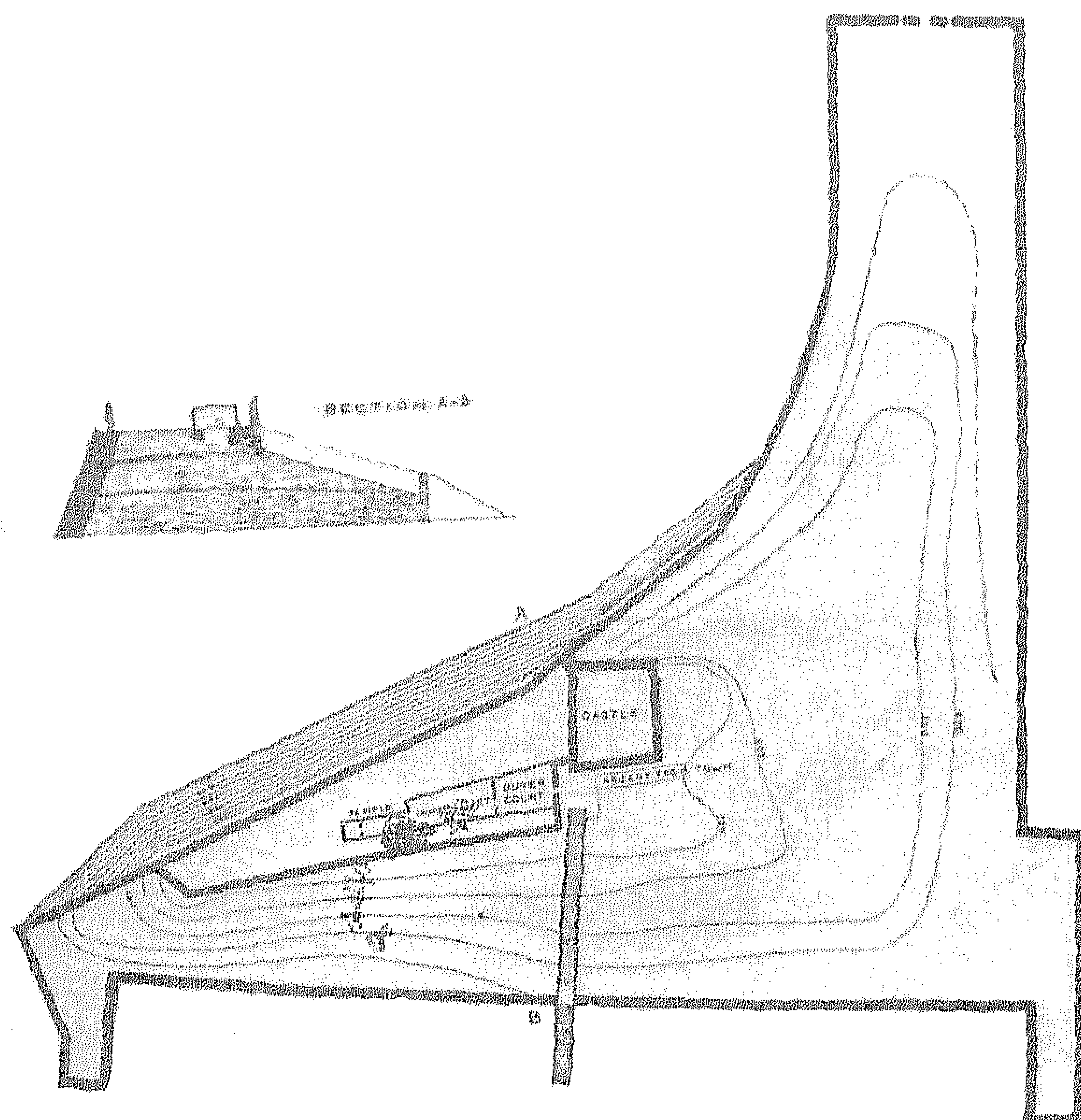
الإله مثرا الفارسي بنفس التكوين فى صورة (٩ المقابلة) ولكن رأس مثرا مهشمة إلا أنه واضح تماما كيف يصرع الإله الثور وكيف يمسك بفمه ليذبحه وركبته فوق ظهر الثور وهو يقاوم الإله والكلب متعلق برقبة العجل والثعبان واضحان تماما ـ المتحف المصرى.

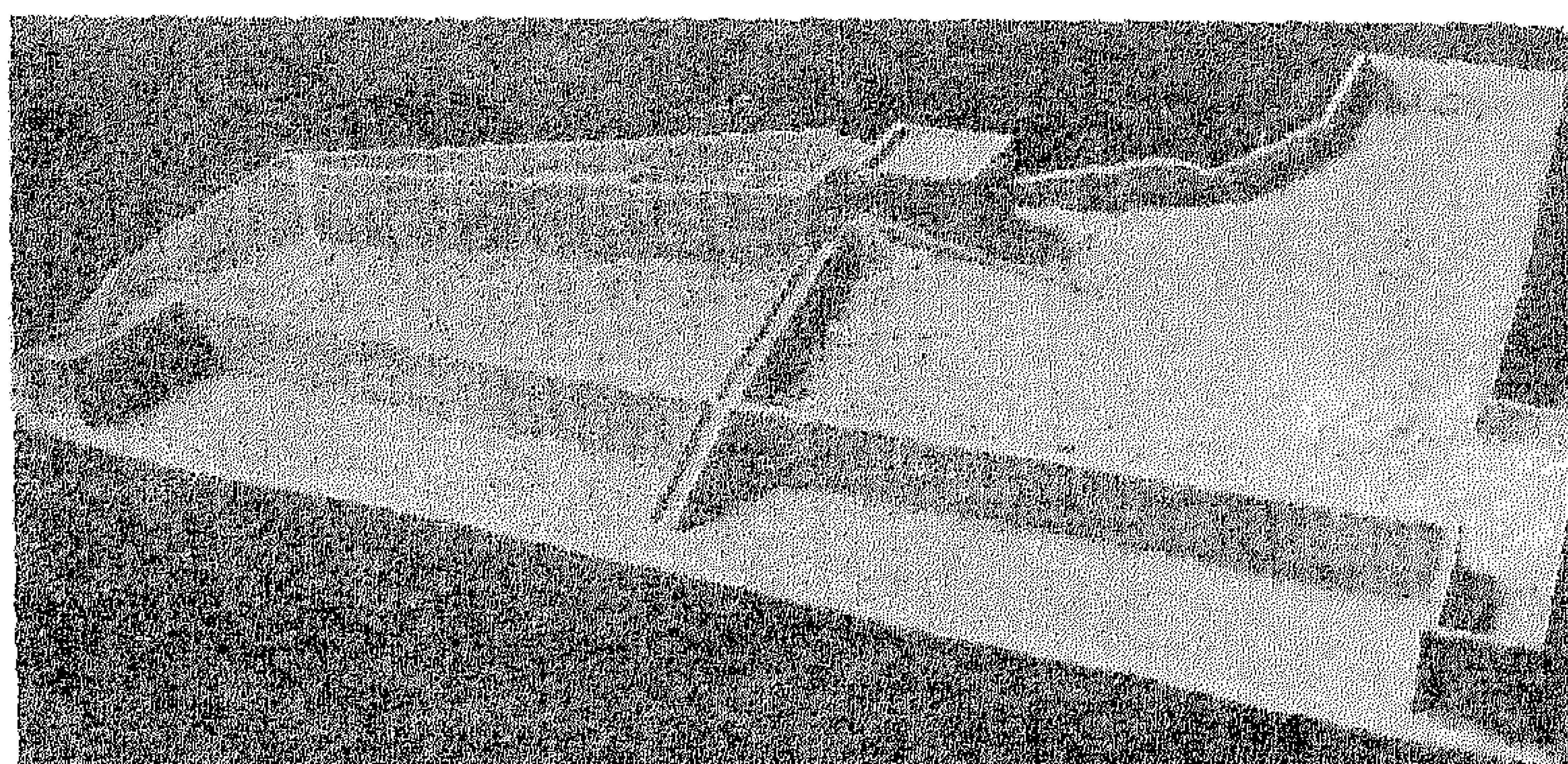


لوحة (١١)

لوحة شفائية تمثل الكاهن جدحر Zed Her جالسا القرفصاء وبين رجليه لوحة عليها حفر بارز للإله حورس الطبيب ممسكا بيديه ثعابين وعقارب واسد وغزال وواقف على تمساحين وفوق رأسه صورة للإله بس (Bes) والتمثال كله يحمل كتابات هيروغليفية سحرية من تعاويذ وبعض الرسوم الرمزية وفى الأسفل على القاعدة حوض صغير تتجمع فيه المياه التى ترش على التمثال فتكتسب قوة سحرية شفائية من الكتابات والتعاويذ والرسوم التى سكبت عليها مع الحيوانات المؤذية المنقوشة كلها على التمثال، يشرب منها كل من لدغه عقرب اوثعبان او عضه تمساح أوفزع من اسد قابله أو غزال جرحه فيشفى و يقف مفعول السم فى جسلده وهذا هوأصل طاسة الخضة الآن عندنا.

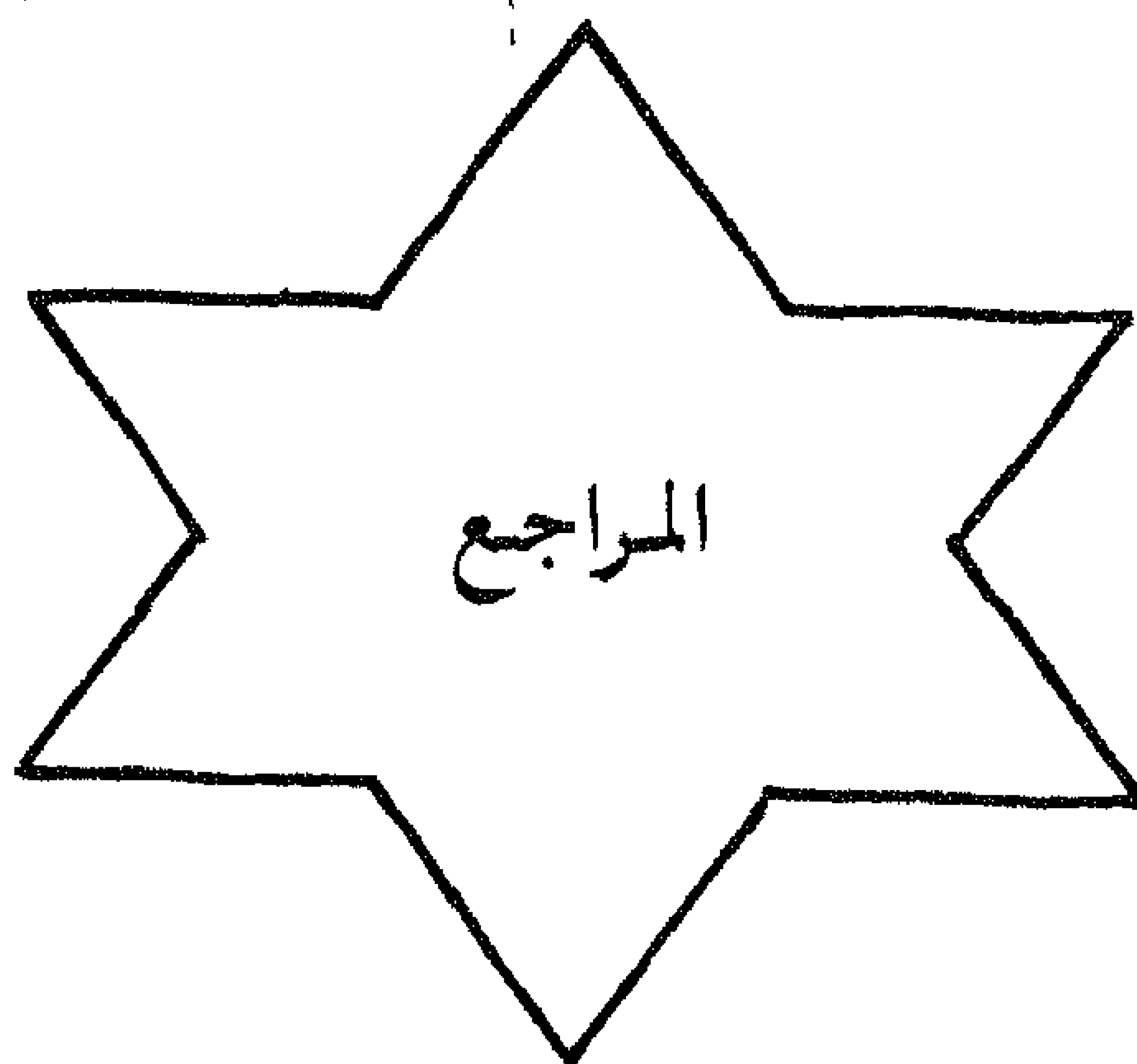
عهد الاسكندر الاكبر وقد وجدت فى أتريبس (بنها) ـ المتحف المصرى.





لوحة (١٢)

تصميم ورسم نشرهما الأستاذ فلندرز بترى F. Petrie يبينان شكل المعبد اليهودى الذى بناه الكاهن الأعظم هونيا اليهودى فى مدينة الشمس بالصحراء الشرقية أو بيت المقدس الجديد فى عهد بطليموس السادس - القرن الثانى ق.م.


المراجع

المراجع

(١) سترابون — Strabon XVI, 2, 37.

(٢) سترابون — Strabon XVI, 2, 37.

ἐκ τῶν τυραννίδων, τὰ ληστήρια.

(٣) تشيرنى — Cerny (Jaroslav): The Greek Etymology of the name Moses- Annales du Service des Antiquites de l'Egypte, t XLI p.349-354.

(٤) فيلو — Philo, De Vita Moyses. I, 17.

(٥) جوزيفوس — Josephus, Jewish Antiquities,II,228.

ثم يرد معنى المقطع الثانى من اسم موسى بمعنى (الذى انقذ من الماء كما يقول المصريون) فى قاموس اللغة اليونانية لاستفانون Stephanon P. Lexikon:

Uses – هم المنقذون من الماء كما يسمونهم المصريون

(٦) جوزيفوس : Jos., Contra Apionem, 1,286.

(٧) كلمنت السكندرى Clement of Alexandria, Strom I, 23

(٨) سترابون Str. 16, 2, 35.:

Μωσῆς γάρ τις Τῶν Αἰγυπτίων ἱερέων ἔχων τι μέρος τῆ κάτω καλοῦμενης χώρας.

كان موسى, احد كهنة المصريين على جزء فى الارض السفلى (مصر السفلى) كما يسميها المصريون.

(٩) سترابون Strabon, 16, 2, 35.

(١٠) سترابون Str. 16, 2, 35.

(١١) سترابون Str. 16, 2, 35.

Τιμάν ἔδους χωρίς.

أن يعبدوا الله بدون صورة

(١٢) د. عبد المحسن الخشاب Dr. El-Khachab, Τὰ Σαραπεῖα. à Sakha et au Fayum - ou les bains therapeutiques- Supplet. des A.S.A.E. No.25.

(١٣) دكتور عبد المحسن الخشاب- الثياترو القديم.

(١٤) سترابون Str. 16, 2, 35:

ἐγκοιμᾶσθαι δέ καὶ αὐτοὺς ὑπεῤ ἑαυτῶν καὶ ὑπὲρ τῶν ἄλλων ἄλλους τούς εὐονείρους.

(١٥) سترابون Str. 16, 2, 36.

(١٦) سترابون Str. 16, 2, 36.

(١٧) سترابون Str 16, 2, —37

(١٨) نفس المرجع Str. (idid)

-(١٩) Mac Dormet Violet, The Cult of Seer in the Middle East A Contribution to Current Research on the Hallucinations drawn from Coptic and other Texts (1971) p. 11, f.

(٢٠) الدكتور فؤاد حسنين على : اسرائيل عبر التاريخ-فى البدء.

(٢١) جوزيفوس Jos Jewish Antiquities, II, 236:

وكان اليهود يعلقون عليه آمالا كبيرة بالنسبة للمستقبل

Ἑβραίοις ἐπὶ αὐτῷ παρῆν ἐλπὶς περὶ ὅλων.

بينما كان المصريون ينظرون الى نشأته نظرة شك : ὑποψίας δ' εἶχον Αἰγύπτιοι.

فهذا تصوير يمثل الواقع الذى يشعر به المسئولون فى مصر من تبنى العائلة المالكة لموسى العبرانى.

(٢٢) امياه Mayam, sur l'origine de Goschen - Rev d'Hist. et de Philosophie Relig (1955) p. 58.

(٢٣) جوزيفوس Jos. Jewish Ant. II, 241.

(٢٤) دريوتون Drioton, Aperiou - Rev d'Hist. et Philosophie Relig. (1955) p. 47

(٢٥) فيلو Philo; Moses I, 40.

(٢٦) فيلو — كان موسى معتبرا ابنا لبنت الملك و يأملون ان يكون على الاغلب خليفة لجده فى الحكم فكانوا ينادونه بالملك الجديد.

Philo, Moses I, 32

Philo: Moses I, 41.

(٢٧) فيلو Philo: Mos

καὶ ἦν εὐαγὲς τὸν ἐπ' ὀλέθρῳ ζῶντα ἀνθρώπων ἀπολλύσθαι.

وكان عدلا أن يحطم من عاش على تحطيم ارواح الناس.

(٢٨) فيلو Philo Moses I, 38.

(٢٩) بلوتارخوس Plut 31 — 363 C.

بعد نجاته من المعركة اصبح أبا هيروسوليموس و يودايوس :

γεννῆσαι παῖδας Ἱεροσόλυμον καὶ Ἰουδαῖον.

ومن هنا فالقائلون بأن ست نجى من المعركة وخلف ولديه هيروسوليموس و يودايوس ارادوا بوضوح أن يدخلوا المسألة اليهودية الى الخرافة المصرية .

κατάδηλοι τά Ἰουδαΐκα παρέλκοντες εἰς τόν μῦθον.

(٣٠) بلوتارخوس Plut. ibid.

(٣١) بلوتارخوس Plut, 50,3;

(٣٢) فيلو Philp. Moses i, 175

(٣٣) P. Montet, L'Egypte et la Bible - Cahier d' Archeologie Biblique No. 11 - Ptah Hotep, vers 48 - 50 , p 114 Amonemope (XXXIV, 9 - 14) p. 116.

ثم انظر ايضا : P.Montet: Le Fruit defendu, (Kemi, XI, pp 109 et 856).

كما ذكر فانسنت فى كتابه (Vincent (Al.); La Religion Judeo arameens d'Elephantine)

حسب ما ورد فى بردى ستراسبورج (٢٧) (Pap. de Strasbourg (27 الذى يذكر هدم المعبد اليهودى فى ٤١٠ ق.م. وقد اعتمد عليه مونتيه فى كتابه (ملاحظة ٣٣ ص ١٠١) إذ يقول أن سكان الشلالات قد هدموا معبد ياهو Yaho بسبب الثورة التى اعتملت فى نفوس المصريين ضد الفرس ولسبب أقوى من ذلك هو ذبح خروف عيد الفصح فى مناطق كان فيها الإله خنوم هو المعبود المسيطر عليها و يذكر ما ورد فى الخروج (٨/٢٢-٢٣) أن موسى كان على علم بكل المتناقضات الموجودة بين الديانة اليهودية والدِيانة المصرية . و يقول فانسنت Vincent أن تدخل يَهْوا فى خروج اليهود من مصر ونجاتهم من المصريين كان سبباً فى احتفال اليهود بعيد خروجهم (الفصح Paque) ففى بنود بردى ستراسبورج (٢٧) من سنة ٤١٠-٤١١ ق.م. يعدد هذا البردى الحوادث كما وقعت فى بنوده ففى بند (٦) يروى أن معبد الإله ياهو Yaho الموجود فى المدينة الحصينة جب (Jeb) قد أزيل و بعد ذلك يقول أن فيدرناج Widernag حاكم المدينة أرسل خطاباً إلى ابنه قائد حامية أسوان يخبره بذلك وفى المادة (٥) يقول البردى أن كهنة خنوم اتفقوا مع و يدرناج على ذلك وفى بند (٨) يقول ثم بعد ذلك قاد ابنه نيفيان Nephian المصريين الذين كانوا فى مدينة جب مع بعض الجنود أتوا إلى جب بأسلحتهم وفى رقم (٩) يقول البردى أنهم صعدوا إلى المعبد وأزالوه من أساسه وفى رقم (١٣) يقول أن «إخواننا» بنوا هذا المعبد فى قلعة جب ولما أن أتى قمبيز الى مصر و يكمل البردى القول فى (١٤) أن بعد وصول قمبيز ظل المعبد قائماً وكل المعابد فى مصر هدمت إلا هذا المعبد فلم تمتد إليه يد أى شخص بسوء .

ثم يقول فانسنت ص ٣٧٢ أن يهوا كان إله السماء ورب الجنود ولكن المعبد كان مقر يهوا **الإله القومى** **Le dieu national** وقد كان هدم هذا المعبد سبباً فى حزن الطائفة . فحتى لاعادة بنائه لم يكن عندهم من المال ما يقيمه وفى ص ٣٧١ يقول أن معبدهم هذا كان يحظى بإحترام قمبيز.

وظل قائما وذلك لأن قمبيز تذكر فضل يهوا الذى فى ارض بين النهرين وكان إلها يشبه اهورا مزدا ثم ان اليهود كانوا مساعديه فى مقاومة المصريين ثم انهم فى الفنتين كانوا قوة لصد الا ثيوبيين وقد وافق قمبيز اعترافا بوفائهم له هذا أن يعطيهم بعض المزايا ولم يكن عند اليهود أفضل من الامتيازات الدينية فكان آنذاك غير ممكن ان تقدم على مذابحهم اضاحى الهولوكاوست (holocaustes) وكما ورد فى سفر الخروج (Ex. 8/ 216) أن موسى كان على علم بكل المتناقضات بين الديانة اليهودية والمصرية **وهو ما ظل حقيقة دائما.** و يذكر فانسنت أنه فى انحاء كثيرة فى مصر كان الكبش والجدى مقدسين ولذلك لم يكن للمصريين أن يضحوا بهما وقد زاد الأمر حرجا ان الفنتين كلها كانت تحت سيطرة عبادة خنوم ثم هذا المعبد هو الذى كان موضع احترام قمبيز بينما قد هدم كل المعابد المصرية ثم ايضا الحرية الكاملة! للعبادة بالنسبة لليهود (ص ٣٧٣) ثم فى بند (٣٨) من بردى ستراسبورج (٢٧) (يذكر أن خنوم كان ضدنا (قول اليهود) منذ أن اتى هنانيش Henanish)رسول اسرائيلى اتى من عند ملك الفرس ومعه أمر بتضحية الخروف:(٤١٢-٤١١ ق . م.) وهذا الذكر كان من عند كهنة خنوم الاله الكبش يلاحظ المؤلف الآ تفسير لذلك القول إلا بسبب التعصب الدينىFanatisme religieux وان الذى زاد فى اثارة كهنة خنوم الدينية ايضا ان وجود الحامية الاجنبية قد اثار فى نفوسهم النعرة الوطنية اذن فالمؤلف يشير ايضا الى ان بجانب هذا التنافر الدينى بين اليهود والمصريين ثورة كامنة فى النفوس وطنية سياسية حركتها الديانات كما اشار الى ذلك مونيته (ص ١٠١ ملاحظة ٣٣) وفى ص ٣٧٩ يقول فانسنت ان ذروة الخلاف والمشكلة كان بسبب ذبح الحامية اليهودية الارامية judeo araméens الخروف الذى كان كهنة خنوم يعتقدون أن روح خنوم قد تجسدت فيه ثم فى ص ٢٥٧ يقول فانسنت معلقا على ذلك بقوله «ان ليس هناك شيء سبب هذا كله غير ذبح خروف عيد الفصح «l' agneau pascal» فكان ذلك اثباتا لما ورد فى بلوتارخوس (انظر ملاحظة ١٥٣).

(٣٤) فيلو	Philo, Moses I, 174
(٣٥) فلندرز بيترى	Petrie (Flinders), Egypt and Israel p.118-119.
(٣٦) بلوتارخوس	Plut. 32 — 363.D
	Plut-. 33 — 363 F.
(٣٧) ديوجين لايرتيوس	Diogenes Laertius, Lives and Opinions - Eminent Philosophers, XIII,.35.
(٣٨) بلوتارخوس	Plut 75 — 381B.
ثم فى ذكره ليوربيدس : أنظر	Plut 75 Z 381 BEur Tro. 887-8.
(٣٩) بلينيوس	Plinii, Naturalis Historia,XXXVII, 89.
(٤٠) بلوتارخوس	Plut. 10 — 355.- 74 — 381.

(٤١) بلوتارخوس . Plut. 74 — 380 F. 67 — 378.

(٤٢) بلوتارخوس . Plut. 76 — 382.

(٤٣) ايرمان : Erman (Adolph), La Religion des Egyptiens p. 192 -193.

(٤٤) جريفيث ثم جاردنر . J.E.A., XII p 228 Griffith; and Gardiner, Egyptian Grammer p. 197.

(٤٥) داراسي Annales de Serv des Ant. 1918, t. XVIII Daressy; Inscr Tentyrites, p. 189;

الخشـــاب El-Khashab, Cocks, the Cat and the Chariot of sun. Zeitschrift fur Papyrol. u. epigraphik, 1984.

(٤٦) ديفوت . E. Devaut, Les maximes de Ptah-Hermitage (No. 1116 A Pap. - Trad . et commantaire par Scharf 1936 - Die Literatur der Aegypter p. 294 - 302 (N.51).

Drioton (E), La Religion Egyptienne, l'Histoire des Religions

(٤٧) سترابون Strabon, XVII, I, 46.

(٤٨) بلوتارخوس فى جريفيت Griffith - Plut. 19 — 358 D.

(٤٩) بادج Budge, (Wallis) The Gods of the Egyptians p. 350

(٥٠) ديودوروس Diodorus I, 88, 4 - 5.1,90,2,3.

(٥١) جيرود وادجار O. Gueraud, SPhinx composites au Mus. du Caire, J. No. 37538 A. S.A.E. 1935 p.6 sq., Edgar, Greek Sculpture No 25754 p, 59 and pl. XXVIII.

ثم أنظر فرانسوادوماس فى (MEFR) ((2-١٩٧٧) ص ٤٣٦ «الملك إله معدود بين التاسوع» نص محفور فى معبد سيتى الاول الاسرة (١٩) قرب مناجم ذهب الريديسية بوادى ميا Mia

(٥٢) بيردريزيه Perdrizet, La terre-cuites grecque d'Egypte p. 80.

(٥٣) تيرنر Eric Turner, "My Lord Apis"- Recherches de Papyrologies II, p. 118:

παρά τῷ κυρίῳ· Απιδι.

(٥٤) الخشاب EL-Khashab, Ὁ ΚΑΡΑΚΑΛΛΟΣ ΚΟΣΜΟΚΡΑΤΩΡ. (J.E.A. t 47 1961)

(٥٥) أنّ لفظ آمون تعنى حسب رأى مانيتون الخفاء كما يقول بلوتارخوس Plut9 — 354 D

ثم يقول ومن هنا كانوا يعتقدون أن τὸ κεκρυμμένον — — καὶ τήν κρύψιν.

الإله الاول الأعظم الذي هو فى كل مكان διὸ τὸν πρῶτον θεόν ὄν παντὶ ....

آمون الذى ينادونه كالخفى الذى لا يرى....

(٥٦) سترابون trabon XVII, I, 40.

(٥٧) ديودوروس Diod I, 87, 2.

(٥٨) ديودوروس Diod I, 87, 2.

(٥٩) ديودوروس Diod I, 87, 2.

(٦٠) ديودوروس Diod I, 87, 2.

(٦١) ديودوروس Diod I, 87, 3.

(٦٢) ديودوروس Diod I, 87, 7.

(٦٣) ديودوروس Diod I, 87, 7.

(٦٤) ديودوروس Diod I, 89, 2.

(٦٥) بلوتارخوس Plut. 75 — 38 B.

(٦٦) بلوتارخوس Plut. 75 — 381 B.

(٦٧) بروجش هاينريش ثم دوماس في Brugsch (Heinrich), Religion und Mythologie der Alten Aegypter, p. 315. Cf. Bibliotheca Orientalis - Jahrgang XXIV No. 5/6 Sept. 1967-Otto (Eberhard), Gott und Mensch nach den ägyptischen Tempelschriften der griech - römischen Zeit — Abhandlungen der Heidelberger Akademie der Wissenschaften, Phil-hist. klasse. Par F. Daumas (1967).

(٦٨) بلوتارخوس Plut. 21 — 359 D.

(٦٩) بلوتارخوس Plut. 21 — 359 D.

(٧٠) بلوتارخوس Plut. 21 — 359 D.

(٧١) بلوتارخوس Plut. 70 — 379

(٧٢) بلوتارخوس Plut. 70 — 379

(٧٣) بلوتارخوس Plut. 70 — 379 B.

(٧٤) بلوتارخوس Plut. 31 — 362

(٧٥) بلوتارخوس Plut. 22 — 359 B.

(٧٦) Plut. 31 — 363 B:

οὕτως ἀκριβῆ ποιούμενοι παρατηρησιν ὥστε κἄν μιάν ἔχῃ τρίχα μέλαιναν, ἢ λευκήν ἄθυτον ἡγεῖσθαι, θύσιμον γὰρ οὐ φίλον εἶναι θεοῖς.

إذ يقومون بالفحص الدقيق حتى اذا وجدوا فيه (العجل) ولو شعرة بيضاء أو سوداء كان في نظرهم لا يصلح للضحية فالتضحية لا تكون بما تحب الآلهة.

Diod. I, 88, 4 - 5. (٧٧) ديودوروس

τούς δέ πυρρούς βοῦς συγχωρηθῆναι θύσιν θία τὸ δοκεῖν τοιοῦτον τῷ χρώματι γενόνεναι, Τυφῶνα τόν ἐπιβουλεύσαντα μὲν Ὀσίριδι, τυχόντα δὲ τιμωρίας ὑπὸ τῆς Ἴσιδος διά τὸν τἀνδρός φόνον.

ديودوروس: فالثيران الحمراء يمكن التضحية بها فالمعتقد أن ذلك اللون هو لون ست الذى تآمر ضد اوزيريس فعاقبته ازيس لقتل زوجها.

Herodotus II, 38. (٧٨) هيرودوتوس

τρίχα ἢν καὶ μίαν ἴδηται ἐπεοῦσαν μέλαιναν οὐ καθαρὸν εἶναι νομίζει.

فاذا رأوا حتى ولو كانت به شعرة سوداء واحدة حكموا عليه انه غير نقى.

Herod. II, 38: (٧٩) هيرودوتوس

δίζηται δέ ἐπὶ τούτῳ τεταγμένας τῷ τις ἱερέων καὶ ὀρθοῦ ἑστεῶτος τοῦ κτήνεος ὑπτίου .....

لفحص ذلك عين احد الكهنة لهذا العمل فكان يوقف العجل ثم يلقيه على ظهره (يبحث عن شية)، ثم يخرج لسان الحيوان فاذا كان نقيا يذبحه.

ἀσήμαντον δὲ θύσαντι θάνατος ἡ ζημίη ἐπικεέται.

ثم انه يقول بان عقوبة الموت هو جزاء من يذبح عجلا لا يحمل علامة الا دن بذبحه

انظر بقية العلامات الخاصة بالعجل فى هيرودوتوس ٣-٢٨ ثم ملاحظة (١١١).

Plut. 31 — 363 B: (٨٠) بلوتارخوس

τόν δέ μέλλονται θὐεσθαι βοῦν οἱ σφραγισταὶ λεγόμενοι τῶν ἱερέων κατεσημαίνοντο, τῆς σφραγίδος ὥς ἱστορεῖ Κάστωρ, γλυφὴν μέν ἐχούσης ἄνθρωπον εἰς γόνυ καθεικότα ταῖς χερσίν ὀπίσω περίηγμέναις, ἔχοντα κατὰ τῆς σφαγῆς ξίφος ἐγκείμενον.

والعجل الذى سيقدم ضحية يعلم بواسطة من يسمون بين الكهنة بالختامين وكما يقرر كاستور يحمل هذا الخاتم نقشا لرجل يجلس على ركبتيه و يداه مر بوطتان خلف ظهره وغائر فى رقبته سيف).

Plut. 31 — 363 B: (٨١) بلوتارخوس

ἀλλὰ τοὐναντὶον, ὅσα ψυχαῖς ἀνοσίῳν ἀνθρώπων και ἀδίκων εἰς ἕτερα μεταμορφουμένων σώματα συνείληχε.

وهده الضحية على عكس غيرها تحتوى على اى تقمص لروح رجل (لارواح رجال) شريرين فاسدين خلف اجسام اخرى.

Plut. 31 — 363: (٨٢) بلوتارخوس

διὸ τῇ μὲν κεφαλῇ τοῦ ἱερείου καταρασαμενοι καὶ ἀποκὸψαντες εἰς τον ποταμὸν ἐρρίπτουν πάλαι, νῦν δέ τοῖς ξένοις ἀποδίδονται.

ولهذا كانوا يستمطرون عليها اللعنات وكانوا يقطعونها فيما سبق و يرمونها فى النهر اما الآن (أى فى عصر بلوتارخوس) يبيعونها للأجانب . (رأس العجل) .

(٨٣) بلوتارخوس	Plut. 33 — 364 B.
(٨٤) بلوتارخوس	Plut. ibid 33 — 364 B;
	Plut. 33 — 364 B.
(٨٥) ايليانوس	Aelianus - Animals XI, 10.
ثم بروجش	Brugsch (Heinrich), Religion und Mythologie der Alten Aegypter p. 657
ثم ايضا جريفيث عن بلوتارخوس .	Griffith, (Plut), De Osiride et Iside p. 443
(٨٦) بلوتارخوس	Plut. 43 — 368 C.
انظر ايضا ملاحظة (١٠٠)	
(٨٧) بلينيوس	Plinius, op. cit. VIII, 184.
(٨٨) بلوتارخوس	Plut 52. — 372 D.
(٨٩) بلوتارخوس	Plut. 43 — 368 C.
(٩٠) بلوتارخوس	Plut. 52 — 372 D.
(٩١) بلوتارخوس	Plut. 52 — 372 D.
(٩٢) بلوتارخوس	Plut. 43 — 368 C.
(٩٣) بلوتارخوس	Plut. 43 — 368 D.
(٩٤) أيليانوس	Aelianos, XI, 10.
انظر ايضا ملاحظة (١٣٥)	
(٩٥) ايليانوس	Aelianos, XI, 10.
(٩٦) ايليانوس	Aelianos, XI, 10.
(٩٧) ايليانوس	Aelianos, XI, 10.
(٩٨) ايليانوس	Aelianos, XI, 10.
(٩٩) ايليانوس	Aelianos, XI, 10.
(١٠٠) ايليانوس	Aelianos, XI, 10.
(١٠١) هيرودوتوس	Herod. III, 38.
(١٠٢) ايليانوس	Aelianos, XI, 10.
(١٠٣) بلينوس	Plinius, VIII, 184.
أنظر ايضا هيرودوتوس	Herod. 28.
(١٠٤) بروجش	Brugsch (H.) Religion und Mythologie der Alten Aegypter p. 315.

(١٠٥) بروجش — Brugsch (H.) ibid.

(١٠٦) بلوتارخوس — Plut. 21 — 359 C.

(١٠٧) بروجش — Brugsch p. 657.

(١٠٨) بروجش — Brugsch p. 94.

(١٠٩) بروجش — Brugsch p. 406.

(١١٠) سترابون — Str. XVII, I, 31.

(١١١) سترابون — Str. XVII, I, 31.

انظر ايضا هيرودوتوس (٣،٢٨) ملاحظة (٧٩)

(١١٢) سترابون — Str. XVII, I, 31.

(١١٣) ايليانوس — Aelianus XI, 10.

(١١٤) ايليانوس — Aelianos, XI, 10.

(١١٥) ايليانوس — Aelianos, XI, 10.

(١١٦) ايليانوس — Aelianos, XI, 10.

(١١٧) ايليانوس — Aelianos, XI, 10.

(١١٨) ايليانوس — Aelianos, XI, 10.

(١١٩) ايليانوس — Aelianos, XI, 10.

(١٢٠) ايليانوس — Aelianos, XI, 10.

(١٢١) بلوتارخوس — Plut. 56 — 374 B.

(١٢٢) بادج — (Wallis) Budge, The Gods of Egyptians - Study in Egyptian Mithology - Vol. II, p.349

ثم أنظر ايضا أميانوس — Cf also Ammianus Mar. op. cit. XXVI 714 (7.-17)

(١٢٣) بلنيوس — Plinius, VIII, 184.

(١٢٤) دريوتون — E. Drioton, Hist. de Rel. Eg.

(١٢٥) سترابون — Str. 17, I, 31.

(١٢٦) سترابون — Str. 17, I, 31.

(١٢٧) بلنيوس — Plinius VIII, 185

(١٢٨) بلنيوس — Plinius VIII, 185.

(١٢٩) بلنيوس — Plinius/VIII, 185.

(١٣٠) بلنيوس — Plinius LXXI, 185

(١٣١) عبد المحسن الخشاب-التياترو القديم.

(١٣٢) بلنيوس — Plinius LXXI, 186.

(١٣٣) بلنيوس — Plinius LXXI, 186.

(١٣٤) تور كان — Turcan (Robert) Mithras Platonicus-Recherches sur l'hellenisation philosophique de Mithra p. 88 et note 195-(Bouklops)et p. 93 n.27 et p. 94;p. 111 n. 46; et p. 115n.66

ثم أنظر ايضا : Bidez, La vie de l'Empereur Julien p. 221.et p. 224.

ثم انظر تور كان Turcan p. 121 note 114. et n. 121.

Aussi p.87 et Clemen C.,Fontes historiae religionis persicae, 76, 26 S. aussi note (183).

ثمّ أنظر et Aussi p. 117 et p. 118 n. ٧٥.

Chr. Lacombrade (edit.) de Jul, Discours II p. 94.

(١٣٥) ايليانوس — Aelianos, XI, 10.

(١٣٦) كونراد — Conad (J. Randolf) The Horn and the Sword-The Hist. of Bull as symbol of power and Fertelity p. 84. p.201-Cooke (Harold), Osiris study in Myths, Mystries and Religions:

فيه ذكر ان اليهود بعد ان رحلوا عن مصر كانوا تواقين الى أن يرجعوا الى عبادة ابيس المصرى ـ وهذا مصداق لقوله تعالى واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم (سورة البقرة ٩٢).

انظر مراجع اخرى فى كونراد ص ١١٢.

ثم انظر كونراد (ايضا ص ٢٠١-٢٠٢).

بادج — Budge(Wallis)and Meek, from Fetish to God in Anc. Egypt.

ثم ايضا : (Henry)P. Smith, In Rel. of Israel

وكل هؤلاء الكتاب يتفقون على أن هارون النبى كان فى مصر قبل اليهودية وانه كان كاهنا لعجل ابيس ولذا فلم يعتبروه هرطقيا عندما صنع تمثالا لعجل ابيس من الذهب.

(١٣٧) فى مقاله — Daremberg et Saglio (Alektryonen Agonis)

ثم أنظر ايضا : ايليانوس — Aelianus; Varia Hist. II, 28.

ثم أيضا لوكيانوس — Lucian. De Gymn., 37.

(١٣٨) جرانت — Grant (Michael), The World of Rome p. 176.

(١٣٩) جوزيفوس — Jos. Jewish Ant. XIII, 68.

(١٤٠) بيفان — Bevan, A Hist. of Eg. under Ptol. D;n. (1938) p. 286 f.

(١٤١) جوزيفوس — Jos. J. Ant. XIII, 77-78.

(١٤٢) جوزيفوس Jos. J. Ant. XIII, 63.

(١٤٣) جوزيفوس Jos. J. Ant. XIII, 63.

(١٤٤) جوزيفوس Jos. J. Ant. XIII, 383 - 385.

(١٤٥) جوزيفوس Jos. J. Ant. XIII, 71.

(١٤٦) جوزيفوس Jos. J. Ant. XIII, 71.

(١٤٧) جوزيفوس Jos J. Ant. XIII, 72.

(١٤٨) جوزيفوس Jos. Jewish War VII, 424.

(١٤٩) جوزيفوس Jos. J. War. VII, 425.

(١٥٠) جوزيفوس Jos. J. Ant. XIII, 67-68.

(١٥١) جوزيفوس Jos. J. Ant. XIII, 65.

(١٥٢) جوزيفوس Jos. J Ant. XIII, 66.

(١٥٣) بلوتارخوس Plut. 72 — 380 B.

(١٥٤) ديودوروس Diod 1, 89 (5).

ثم انظر ايضا هيرودوتوس Herod 35, II, 69.

فيما يخص حديثه عن اختلاف المصريين فى تقديسهم التمساح فى اقليم واعتباره عدو فى اقليم آخر.

(١٥٥) جوزيفوس Jos. J. Ant. XIII, 65.

(١٥٦) جوزيفوس Jos. J Ant. XIII, 69.

(١٥٧) جوزيفوس Jos J. Ant. XII, 259 - 260.

(١٥٨) جوزيفوس Jos. J. Ant. XIII, 74.

(١٥٩) فلندرز بيترى Petrie (F). Hyksos and the Israelite Cities p. 2-School of Archeology in Egypt and Egyptian Research Accounts Vol.(79).

(١٦٠) جوزيفوس Jos. J. War, VII, 427-428.

(١٦١) بوشيه لوكليرك Bouché Leclerq, Hist. des Lagides II, p. 41.

(١٦٢) جوزيفوس Jos. J. Ant. XIV, 131.

(١٦٣) جوزيفوس Jos. J. Ant. XIV, 131.

(١٦٤) جوزيفوس Jos. J. Ant. XIV, 131-132.

(١٦٥) جوزيفوس Jos. J. Ant. XIV,152.

(١٦٦) جوزيفوس Jos J. Ant. XIV, 132.

(١٦٧) روث Wroth, Brit, Mus. Cat. Byz.C..-Barthis.

(١٦٨) اميانوس Ammianus M. XVIII. 6/5, XVII. 5/3.

(١٦٩) سترابون	Str. XV, 3, 13.
(١٧٠) كيمونت	Cumont, Les Religions orientales dans le Paganisme romain p. 236 n. 2
(١٧١) بلوتارخوس	Plut 46 — 369 E.
(١٧٢) توركان -	De antro Nympharum-J.R Harris, The Oriental Cults in Roman Britain—Etudes preliminaires aux Religions orientales dans l'Empire romain, p.7,S;cf. Turcan p.85 n.173 et p 134 n.173.
ثم أنظر أيضا :	Corpus inscriptionum et monumentorum religionis mithracae; Vermaseren I-II Cf. Turcan p. 85 n. 172.
(١٧٣) هيرمان	Jahrbuch für Antike und Christentum 1960 p. 34; Der letzte Apisstier par (Alfred) Hermann.
(١٧٤) اتو	Otto (Eberhard), Beiträge zur Geschichte der Stierkulter in Aeg. (1938).
(١٧٥) فيرماسيرن	Vermaseren and Karter Sibbes,The monuments of the Hellenistic Roman period from Egypt - Apis II - (II pl. CCVII No. 576)
(١٧٦) بلوتارخوس	Plut. 56 — 373 E.
(١٧٧) بلوتارخوس	Plut. 56 — 373 F.
(١٧٨) بلوتارخوس	Plut. 56 — 373 E.
(١٧٩) بلوتارخوس	Plut. 56 — 373 E.
(١٨٠) بلوتارخوس	Plut. 56 — 373 E.
(١٨١) بلوتارخوس	Plut. 56 — 374 .
(١٨٢) بلوتارخوس	Plut. 56 — 374 .
(١٨٣) بلوتارخوس	Plut. 56 — 374 .
(١٨٤) ابشتين	(Isidore) Epstein,Judaism-A Historical presentation(Caballah) , p. 277 f

(185) Rene Guenon, Symboles Fondamentaux de la science Sacree.
Ch. VI, p.68f. La Science des Letters

(علم الحروف Ilmul Huruf)

تحليـــل وتعليـــق

يرى الأستاذ جينون Guenon في بحثه هذا أن ادعاء اليهود بأن لديهم في لغتهم عناصر أصيلة من اللغة الطبيعية الأزلية يرى في ذلك ادعاء غرور pretention illusoire فلا يجد الإنسان فيما يدعون إلا بقايا عناصر منقوصة وتشو يه لا دلالة ولا معنى لهما ثم يفترض المؤلف احتمال أن اللغات المقدسة تتفرع من لغة قدسية hieratique كونها الموحى اليهم بها وأما التأكيد على اعتبار اللغة العبرية هي التي نزل بها الوحي الأول الأزلي فليس له إلا وضع فلسفي عام عندهم في تقاليدهم وليس من صميم المذهب القابالي اليهودي أي فلسفة exoterique وعنده أن الدليل على هذا وجود مثل ذلك التأكيد في التقاليد الأخرى غير القابالية بالنسبة للغاتها وإذن فلا يجب أن يؤخد التأكيد اليهودي بمعناه الحرفي أو أن نسلم به ففي اللغة العربية وهي لغة سامية أيضاً كاللغة العبرية نجد أن هذا الرأي يتردد في كل مكان تستعمل فيه اللغة العربية أي أن اللغة العربية هي اللغة المقدسة أو اللغة الأصلية للبشر ولكن ذلك أيضاً غير حقيقي فالقرآن يذكر أن لغة آدم هي اللغة السوريانية syriaque وليست اللغة العربية وعن هذا الذكر القرآني للغة البشر الأولى يرى جينون فيما يخص القول بأن اللغة العبرية هي اللغة الأولى التي نزل بها الوحي الأول للانسان كما يقول H. Warrain « أن الفرض القابالي بأن اللغة العبرية هي التي علمها

الله الانسان الأول » يرى جينون أن هذا الرأى المتداول السائر بين الناس ليس له أساس ولا سند ثابت و يتعارض تماماً مع تعاليم الإسلام الواضحة التى تقول بأن لغة آدم هى اللغة السوريانية langue syriaque وأن هذه اللغة السيريانية لا تمت بصلة ما إلى اقليم سوريا الحالى ولا أن اسم هذا الإقليم يمت بسبب إلى أى لغات قديمة ثم يقول إنه حسب ترجمة معنى اسم سيريا معناه فى اللغة السنسكريتية senscrite « شمس اشراقية » وكما يفسر ذلك illumination solaire (ص ٦٩) وعنده أن هذا الاسم حقيقة سنسكريتى وربما أتى من كلمة (سير sur) السنسكريتية التى تعنى **(الضوء)** ثم أنه يرجع هذا الاسم إلى جزيرة سيريا أو سوريا التى تكلم عنها هومر والتى تقع فى اقليم أوجيجى Ogygie مما يحتمل أنها كانت جزيرة ثولا أو تولا Tula فى أقصى الشمال القطبى hyperborreenne أى فيما بعد الرياح الشمالية وكانت عاصمتها تسمى مدينة الشمس (هيليو بوليس) [أنظر أيضاً فصل XII صفحات ١١٦ ــ ١١٩] وإلى هذه الجزيرة حيث تتطور الشمس وهذا ما يعتبره جينون ظاهرة مبهمة غامضة وربما ترجع هذه التطورات الشمسية هذه إلى طبيعة التطورات الشمسية فى هذه الأرجاء القطبية وفى نفس الوقت يجد فى ذلك اشارة إلى مسار الأبراج أو دورة الشمس على هذه الأرض القطبية فيما حول القطب (ص ١١٦) .

وهكذا يرجع قوله هذا إلى أن هذه الأرجاء القطبية يستمر فيها ضوء الشمس فترة طويلة (٦ أشهر) ومن هنا أتى وصفها (شمس اشراقية) ثم يقول أن سيريا هو الاسم السنسكريتى للشمس « Syria est le nom senserit du Soleil » (ص ٦٩) . ثم يذكر أنه إلى هذه الجزيرة تولا Tula ينتمى طائر الفنكس Phenix الرمز الفلكى symbole Cyclique وهكذا يذكر الأستاذ « Stuart Poole » عالم النقوذ فى كتالوجه (نقود الاسكندرية بالمتحف البريطانى) صفحات LVI ثم ص LXXXVI فى بحثه الأبراج ضمن مجموعة النقود الفلكية فى عهد الامبراطور Antoninus Puis القرن الثانى الميلادى تمثيل طائر الفنكس Phoenix على قطع نقود البللون لهذا الامبراطور مصحوباً بكلمة aiwv اليونانية بمعنى قرن أو عصر رمزاً لابتداء الدورة الفلكية فى مصر التى تسمى بالدورة الثوصية Thosiac المصرية (أنظر الخشاب ــ النقود فى مصر القديمة) .

وعند جينون أن رمز مدينة الشمس الفلكى (وهى غير مدينة الشمس On المصرية التى سميت فيما بعد بهذا الاسم) هو طائر الفنكس وهو ما يسمى فى التقاليد العربية بالرخ (Rokh) أو الفنكس الذى لا يهبط إلى الأرض إلا على جبل قاف (Qaf) وهو جبل فى المنطقة القطبية و يقول جينون أن من هذا الجبل كما ورد فى التقاليد الهندية والفارسية باسم غير اسمه العربى قاف يأتى السوما soma أو الامبرواز ambroisie أى غذاء الآلهة (ص ١١٨) .

ثم أن اسم مدينة الشمس القطبية هذه قد أطلق فيما بعد على مدينة هون On المصرية كما أن اسم مدينة طيبة كان أولاً اسما لعاصمة اقليم أوجيجى Ogygie القطبى ومن هنا يرى جينون

أن تنقل هذه الأسماء القديمة المتوالى على مر الدهور أمر هام فيما يتعلق بانشاء المراكز الروحية الثانية أو الجديدة فى العصور المتتالية و يقول أن تأسيس مدن المراكز الجديدة هذه له صلة وثيقة بوجود اللغات المختلفة التى استعملت وسيلة أو أداة للتعبير عن أشكال التقاليد أو الديانات المنزلة للشعوب وهذه هى اللغات التى يسميها المؤلف **باللغات المقدسة** والتى هى **ترجمات للغة الإلهية الأولى** وأن هذه التسمية عنده هى التى اتخذتها الأساليب القابالية Kabalistique للتفرقة بين اللغات المقدسة وغير المقدسة أى كما يقول اللغات profanes أو vulgaires كما نجد ذلك أيضاً فى اللغات الأخرى غير اليهودية .

وإنى أعتقد أن هذا أمر طبيعى فانظر ماحدث بعد ذلك فى العصور الحديثة من ترجمة الكتب السماوية إلى اللغات الحديثة غير تلك اللغات الأولى اليهودية والعربية للتوراة والقرآن فالتوراة قد ترجم من اليهودية إلى اليونانية فى عصر فيلاديفوس وهى لغة العالم القديم الهيلانى وفى الاسكندرية بالذات المركز الأول الروحى الثقافى فى عالم ما بعد الاسكندر الأكبر ثم أن الاسكندرية هى البلد الهيلانى والمدينة الذهبية التى ورثت أثينا أكبر وأهم المدن فى العالم القديم اليونانى أم القرى ومنارة الحضارة اليونانية قبل الاسكندرية ثم ترجم بعد ذلك إلى اللغة اللاتينية لغة العصور الوسطى وانتصار المسيحية على الوثنية نهائياً وفى روما بالذات المركز الروحانى لكل العالم المسيحى حتى الآن ثم بعد ذلك كتبت التوراة بلغات العالم المسيحى الحديثة كلها بعد قيام القوميات المتعددة وانهيار الامبراطورية الرومانية السياسية فى الغرب وقيام سلطة الكنيسة المسيحية الدينية حتى لقد أطلق على التوراة صفة polyglotte أو ذو اللغات العدة .

ثم ترجم القرآن من العربية إلى لغات المراكز الاسلامية غير العربية الكثيرة المنتشرة فى كل أنحاء العالم الحديث بلغاته العديدة وهذه اللغات الحديثة لا تعتبر بالتأكيد لغات مقدسة فهى لا تصل إلى قداسة اللغة الأصلية التى ترجم بها الوحى أولاً بواسطة من أوحى اليهم به من الأنبياء والمرسلين بدليل أن هذه اللغات الأولى المقدسة كالعربية يتعلمها و يدرسها بالأزهر مركزها الهام الأول المؤمنون الحديثون غير العرب و بقيت مع لغاتهم القومية دائماً .

ثم أن نظرية جينون هذه لتأسيس المراكز الروحية الجديدة وعلاقتها الوثيقة باللغات المقدسة تنطبق تماماً على ما أوردناه فيما سبق عندما طلب الكاهن اليهودى الأعظم هونيا الرابع من الملك بطليموس السادس (محب أمه) طلب منه السماح له بتأسيس معبد قدس جديد فى مصر بمدينة عين شمس بعد أن دنست بيت المقدس القديم بفلسطين سياسة الملوك السلوكيين اليونان حكام سوريا وفلسطين فسمح له الملك محب أمه بانشاء معبد قدس ثانى جديد بمصر فى مدينة الشمس المصرية بشرط أن يكون هذا المعبد الثانى المصرى مطابقاً لشريعة موسى **وصورة طبق الأصل** من معبد **القدس الفلسطينى القديم الأول** وكان ذلك على أساس ما ورد

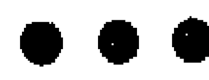
بالتوراة فى نبوءة أشعيا (١٦/ ١٨ـ١٩) إذ يقول « فى ذلك اليوم يكون فى أرض مصر خمس مدن تتكلم لغة **كنعان** وتحلف برب الجنود يقال لاحداها مدينة الشمس ، فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب وسط أرض مصر وعمود للرب عند تخيمها » وهكذا أقام هونيا الرابع معبده طبقاً لشريعة موسى وعلى غرار معبد بيت المقدس القديم الأول بفلسطين .

كما أن جينون يرى أن كل مركز روحى ثانى جديد بعد المركز الأول (الأقدس) يعتبر صورة من المركز الروحى الأقدس الأول أى supreme et primordiale فكل لغة مقدسة hieratique يمكن اعتبارها صورة أو انعكاساً للغة المقدسة الأولى الأصلية par excellence أى التى يسميها باللغة المفقودة الضائعة التى غابت عن الأجيال المظلمة فيما بعد وكذلك بالنسبة للمركز الأقدس قد أصبح بالنسبة لهذه الأجيال المظلمة أيضاً خفياً لا يمكن الوصول إليه ــ لا كما يدعى اليهود فالأمر لا يتعلق هنا ببقايا عناصر منقوصة وتشو يه لا معنى ولا دلالة لهما بل على العكس فذلك تطبيق عادى حتمته وأوجبته ضرورة ظروف زمنية خاصة بمواقع هذه المراكز تبعاً لما يقوله سيدى محيى الدين ابن عربى فى القسم الثانى من كتابه الفتوحات المكية : أن كل نبى أو مرسل « revelateur » كان عليه أن يستعمل لغة مفهومة بالنسبة لهؤلاء الذين يتجهون إليهم بالرسالة أو الوحى ولذا يجب أن تناسب هذه اللغة عقلية هذه الشعوب .

هذا رأى صائب بالنسبة للغات التى تستعمل أداة للتعبيرات المختلفة عند الناس وهذه إذن اللغات المقدسة التى تعتبر بحق من عمل الموحى إليهم و بدونها يعتبرون غير جديرين بالقيام بدورهم .

ثم يقول جينون أن الرأى عنده بالنسبة للغة الأولى أنها أصلاً غير بشرية « non humaine » كما هو الأصل فى التقليد الأزلى وأن الكتابات التقليدية ليست **إلا ترجمة باللغات البشرية** لهذه اللغة الأولى وقد ثبت هذا فى Veda الهندية والقرآن .

ثم أن كل لغة مقدسة تشترك فى الوضع أو الطبيعة فيما يخص مبانيها ومعانيها كصدى أو انعكاس للغة الأولى الأزلية وأن ذلك يمكن أن يعتبر ترجمة بأشكال مختلفة لهذه اللغة الأزلية فبالنسبة للغات المقدسة تتجانس فيها مبانى تلك اللغات أى الشكل الرمزى لعلامات كتابتها (الحروف) « la forme symbolique des signes employes pour l'ecriture » [أنظر ما يذكره جينون ص ٧٠ ملاحظة (١) من تغيير علامات الكتابة العبرية] ؛ ثم على الخصوص بالنسبة للغتين العربية والعبرية تتداخل علاقة **الإعداد بالحروف** و بالتالى علاقة **الإعداد** هذه **بالكلمات** التى تتكون من هذه **الحروف** صدى للغة الأزلية .



رمزية دور الدم المحيي

IX. Les Fleurs Symboliques

فى البـاب التـاسع ص ٩٦ باب الزهور الرمزية « les Fleurs Symbliques » يذكر الأستاذ جـينـون بمناسبة رمزية دور الدم الـحيوى أمثلة خاصة برمزية هذا الدور وكلها ترمز إلى أن للدم دور مؤثـر بـالنسبة لمبدأ البعث واخصاب الأ رض واحيائها فيقول أن سيلان الدم وأثره الـحيوى المـخصبّ كما حدث لأدونيس (Adonis) فى الأسطورة اليونانية يظهر فى الرمزية المسيحية للدم مستشهداً بذكر الأستاذ شار بونو لا ساى « Charboneaux Lassay » لمنظر من القرن الثانى عشر يرى الانـسـان فيه « حربة يقطر منها دم الشهيد المصلوب قطرات-تتحول إلى ورود » كذلك فى منظر آخر من القرن الثالث عشر ممثل على زجاج كتدرائية « Angers » انجرس « يسيل فيه الدم المـقـدس فى مجـرى و يـتفتح وروداً » ثم يقول جينون أن هذا له صلة مباشرة بمبدأ الـحيو ية للدم الـذى يـنـتـقـل إلى عـالمـنـا و يـتـمـثـل فى نـظام دنيانا : « avec le principe vital transpose » « ici dans l'ordre cosmique » ثـم أنـه حـسـب الـنظرية القابالية Kabalistique فإن تساقط نقط الـدم هـذه يـشـبه النّدى الذى ينزل من السماء والذى مبعثه وفقاً لهذه النظرية القابالية « شجرة الـــحـيـاة Arbre de Vie » بمـا لـه مـن تـأثير حـيوى منعش . فأثر هذا المطر من تساقط نقط الدم المـحـيـى الرمزية له صلة بفكرة تجدد الـحياة والبعث والاخصاب وهو ما يتطابق تماماً مع الفكرة المـسـيـحية فى الفداء والبعث « Redemption » ثم يشير جينون بمناسبة رمزية الدم هذه واخصابه الأ رض وانـبـاتها الزهور إلى أسطورة أدونيس Adonis اليونانى الذى اشتهر بحسن جماله إذ هاجمه خـنـزيـر وحشى وأحـدث بـخرطومه جرحاً مميتاً فى جنبه أسال دمه على الأ رض فأحياها فأنبتت زهـرة حلوة ثم أنه يرى أن رمزية الزهرة هنا ترتبط بالـخلق خاصة : soit repporte uniquement وأن الـبـراكريتى Prakriti (الطبيعة) تتمثل أكثر بنفس à la production de la manifestation الأ رض الـتـى يحـيـيـهـا الـدم (ص٩٦) representee par le meme sol que le rang vivifie (et que la parkriti soit plutot

أفليس الدليل على صحة قول هذا العالم الفيلسوف وصدق نظر القدماء لرمزية وحيوية الدم ما نجده عندنا اليوم من أن هذه الرمزية للدم وحيويته تصبح حقيقة واقعة لفاعلية هذا الدم المحيى وانعاشه وانقاذه للبشر فعلا إذ نستعين به على انقاذ الحياة وانعاشها واسعاف من أصابتهم الأخطار بالعلاج به للخلاص من الخطر بنقل الدم إلى أوعيته الداخلية فى الجسم وله عندنا وفى العالم كله بنوك لهذا العنصر المحيى المنقذ للحياة المحدد لها يتبرع لبنوكه الخيرون بدمائهم انسانية ورحمة بمن يحتاجونه منهم . وكان الناس لا يعرفون قديماً للدم هذه الطرق العلاجية فكانوا يشربون دم العجل فى المناسك المثروية ودم عجل أبيس الفدو العظيم بمصر وقريباً كان عندنا بمصر فى مراسم الزار تشرب المريضة جسمانياً أو نفسياً من دم الضحية الذى يراق عليها وهى جالسة فى طشت بثيابها اعتقاداً منهم فى الدم ودوره وقوة تأثيره الشفائى من الذبيحة التى يوصى بذبحها الأسياد كما كان يفعل العابدون فى مراسم دخولهم عبادة مثرا ايماناً بدور الدم هذا كما قدمنا كذلك الذين كانوا يبشرون منهم ببعث الأرواح التى يرمز إليها بالنحل تنبعث من ذبح العجل المثروى ولكن عند التضحية لم يظهر هذا النحل رمز الأرواح ولم يكن له وجود بل هو دم العجل الذبيح الذى يخرج منه فتسعى لشربه الأرض ممثلة ثعباناً لتخصب وتنبت وتزدهر أما الأرواح فلم تكن إلا رمزاً للنتاج البشرى والازدهار والوفرة .

رقم الايداع : ٨٩/٢٥٤١
ترقيم دولى : ٢ـ ١٢٧ـ ١٣٣ـ ٩٧٧

فهرس الكتاب

المقدمة

صفحة

التصويب		السطر	صفحة
Adklepiades		١١	٢٣
Asklepios		١١	٢٤
	يودايوس	٢٠	٣٧
	الكالدانيين	٢٨	٦٢
Cynopolis		١٥	٧٩
	الرموز	٢٢	٧٩
Cuneiform		٢١	٨٨
	الوحدانية	٢٠	٨٩
Epaphos		٢٢	٩٦
Jahwism		١٦	١٠٥
Jeroboum		٢١	١٠٥
Macrocosme		٢٠	١١٦
Bouphonia		٢٦	١٢٥
	و يتوسلون اليه	١٨	١٢٧
Hochschaetzung		١٠	١٣٢
Themistocles		١٦	١٣٢
Labyrinthos		٢٦	١٣٢
Thot		٢٤	١٣٥
	أبيس	٢٨	١٣٥
Hegemonikos		١١	١٣٨
	ألقاب الديميورج فى مجموعة	١٢	١٣٨
Cnostiques		٢	١٤٦
Aries	Walbrook	٧	١٤٨
Pasiphae		١١	١٥٣
Cornucopiae	Evans	٢٩	١٥٦
Steatite		٨	١٥٨
Guenon	glyphe	٢٩	١٧١
Dynamis		٢٥	١٧٨
	إلى قيام دولة هونيا	٥	١٩٠
et que Prakriti soit plutot representee par le meme sol pue le sang vivifie		١٩	٢٤٧

اليهود فى مصر والخروج منها

لما أمر الله موسى باخراج اليهود من مصر كما ورد فى ذكر الله الحكيم « ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعادى فاضرب لهم طريقاً فى البحر يبساً لاتخف دركاً ولاتخشى غرقا طه (٢٠)/٧٦ ـ ٧٧ صدق الله العظيم .

وفى التوراة الخروج ٣ : ٧ ـ ١٠ « فقال الرب انى قد رأيت مذلة شعبى الذى فى مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم انى علمت أوجاعهم ، فنزلت لأنقذهم من أيدى المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة و واسعة إلى أرض تفيض لبناً وعسلاً ، إلى مكان الكناعنيين والحيثيين والأموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين والآن هوذا صراخ بنى إسرائيل قد أتى إلىّ ورأيت أيضاً الضيقة التى يضايقهم بها المصريون فالآن هلم فأرسلك إلى فرعون وتخرج شعبى بنى إسرائيل من مصر » .

كان الخروج إذن بتدبير من موسى عليه السلام بأمر من الله وكما بين الكتاب المقدس فقد كان اليهود فى وضع غير ملائم أتوا إلى مصر وكانوا منعزلين عن الناس وخرجوا من مصر ـ غير مبالين بل كانوا فرحين بذلك ـ إلى سيناء ، وقد طلب موسى إلى فرعون أن يبعد بقومه عن العاصمة المصرية مسيرة ثلاثة أيام ليكون بعيداً عن المصريين حتى لايغضب الناس إذا ماضحى اليهود بأضحية يتعارض ذبحها مع التعاليم المصرية (الخروج ٨/٢٧ ـ ٢٨) .

كان اليهود فعلا فى ضيق شديد من أمرهم ، فهم قبل رسالة موسى يخالفون المصريين فى عبادتهم فبينما المصريين يعبدون أوزوريس وايزيس وحورس كانوا هم من عبدة « ست » كما سنرى .



مكتبة مدبولى
٦ ميدان طلعت حرب القاهرة ت ٧٥٦٤٢١
MADBOULI BOOKSHOP 6 Talat Harb SQ. Tel: 756421

طبع بالمطبعة الفنية ـ ت : ٣٩١١٨٦٢